

المقدمة بقلم ماهر عبد الأحد

كريستوف يوهان  
آرنولد

Johann Christoph  
Arnold

# لماذا نغفر؟

W h y F o r g i v e ?

قصص حقيقية عن الشفاء من سرطان الكراهية والانتقام

# لماذا نغفر؟

Why Forgive?

قصص حقيقية عن  
الشفاء من سرطان الكراهية والانتقام

بقلم  
يوهان كريستوف آرنولد  
Johann Christoph Arnold

المقدمة بقلم  
ماهر عبد الأحد

دار المحراث للنشر 

Plough Publishing House

يرجى مشاركة هذا الكتاب مع أصدقائكم، ولا تترددوا في إرساله في البريد الإلكتروني أو طبع الكتاب كلياً أو جزئياً، ولكن الرجاء عدم إجراء أيّ تغيير بأيّ طريقة كانت. وإذا رغبتُم في عمل نُسخ متعددة منه لتوزيعه على نطاق واسع، أو إعادة استنساخ أجزاء منه كرسائل إخبارية أو دورية، فالرجاء مراعاة القيود التالية:

- لا يجوز إعادة نشره لمكاسب مادية.
- يجب إدراج عبارة الائتمان التالية: «حقوق الطبع والنشر لدار المحرّات للنشر Plough Publishing House - سنة 2008م. تم استخدامه بعد الإذن.»

إنّ كتاب يوهان كريستوف آر نولد Johann Christoph Arnold: «لماذا نغفر؟» عن نسخته الإنجليزية: «Why Forgive?» والمقدمة بقلم ماهر عبد الأحد هو من إصدار دار المحرّات للنشر Plough Publishing House، في عناوينها التالية :

Walden, NY, USA  
Robertsbridge, East Sussex, UK  
Elsmore, NSW, Australia  
www.plough.com/ar

الترقيم الدولي للكتاب الإلكتروني:  
ISBN: 978-0-87486-717-6

طبعة أولى سنة 2014م  
طبعة ثانية سنة 2016م  
طبعة ثالثة سنة 2022م

جميع الحقوق محفوظة  
Copyright © 2008 by Plough Publishing House  
All Rights Reserved

هناك قانون صعب ...  
عندما يجرحنا أحدٌ، لن نشفى إلى أن نغفر له.

قَوْلٌ مِنْ  
آلان باتون Alan Paton  
كاتب من جنوب إفريقيا  
وناشط مناهض للفصل العنصري

# محتويات الكتاب

- المقدمة.....7
- تمهيد.....10
- 1 سرطان النّمة والاستياء.....13  
بريندا، آن كولمان وبنّتها فرانيسس وابنها دانيال
- 2 التغلّب على الكراهية بالمحبة.....20  
جوردون ويلسون، ستيفن ماكdonald، كريس كاريير
- 3 إنهاء دوامة الحقد.....33  
جاريد، هيلّا إيرلنتش، يوسف بن العازر
- 4 باركوا الذين يضطهدونكم.....44  
موميا أبو جمال، مارتن لوثر كينغ، الفتاة روبي بريجز
- 5 أجبوا أعداءكم.....55  
كريستيان دو تشرجي، إلياس شقور، بشارة عوض،  
عز الدين أبو العيش، نعيم عتيق، مريم بهنام
- 6 الغفران والعدالة.....69  
يونيّل دوركام، بيل جادويك وابنه مايكل
- 7 الغفران عندما تكون المصالحة مستحيلة.....83  
مارياتا جيجر، الأم آن، جولي
- 8 الغفران في الحياة اليومية.....91  
تجارب من حياة المؤلف، هاينريش آرنولد وأنا ماري،  
جم وكارولين ويكس

9 الغُفران في الزواج ..... 108

يوهان وفيرينا، هانز ومار جريت، إيد وكارول

10 مسامحة الوالد المُسيء أو الوالدة المُسيئة ..... 120

رونالد، كارل كايدرلينج، ماري، كيت، سوزان

11 مسامحة أنفسنا ..... 135

ديلف فراننشام، ديفيد هارفي، جون بلمر، ريتشارد

12 تحمُّل مسؤولية الذنوب ..... 148

ستيف، يوهان كريستوف بلومهارت، مارك ودبي، هانز، سارة

13 إلقاء اللوم على الله ..... 160

زوهار جيمبرلن، تجربة من الحياة الشخصية للمؤلف، أندريا،

جوناثان وجريتشين

14 رقرقة الماء ..... 174

جان بولس سامبوتو وفنسنت، موكامانا وأزيري،

• خاتمة الكتاب ..... 198

• المؤلف ..... 200

• برودرهوف ..... 202

## المقدمة

**لماذا نغفر لأسباب واضحة؟** سؤال يراود كل إنسان في كل يوم، وذلك لأن الإنسان لا يمكنه أن يعيش لوحده بل يتحتم عليه مشاركة/ اقتسام الحياة مع الآخرين. ولأننا جميعًا خطاة، أي أننا غير كاملين، فبال تأكيد سيكون هناك «احتكاك» بعضنا مع بعض، على مختلف الأصعدة والمستويات. الأمر الذي يضعنا في كل موقف أمام مفترق طرق: أنسامح ونتنازل عن حقنا أم نطالب بحقنا ونرد الاعتبار بأي وسيلة/ ثمن كان؟

أمّا الشيء الرائع في هذا الكتاب «لماذا نغفر؟» فإنه لا يعطي النصائح أو الحلول الجاهزة لهذا السؤال الجوهري، بل يسرد العديد من القصص والمواقف الحقيقية لأناس عايشوا مواجهة مواقف في حياتهم. فاختار قسم منهم أن يسامح ويشاركنا بخبرته قبل وبعد اختياره للمسامحة/ الغفران للشخص المتعدي، في حين لم يتمكن القسم الآخر من اتخاذ قرار بمسامحة الطرف الآخر، ويشاركنا بخبرته كيف أستمّر في حياته الشعور بالرغبة في الانتقام وكيف أن هذا الشعور صار ينخر في حياته كما تأكل النار الحطب!

فيحاول هذا الكتاب بهذه الطريقة أن يساعدنا على أن نكتشف بأنفسنا الجواب لهذا السؤال: أنغفر أم لا؟ ويساعدنا على أن

نجيب على السؤال الذي عادة ما يكون المفتاح لقرارنا في المسامحة، وهو: من هو الأقوى: المنتقم، أم، المسامح؟

وهناك خيط واحد يربط معظم القصص في هذا الكتاب، إن لم يكن جميعها، بالأخص القصص والاختبارات التي عاشها ولا يزال يعيشها الشعبان اليهودي والفلسطيني، وهذا الخيط هو أننا جميعنا عبارة عن «ضحايا الضحايا».

أي أن الشعب اليهودي كان ضحية قسوة النازية، الذي أنتج التطرف الإسرائيلي. والشعب الفلسطيني ضحية قسوة التطرف الإسرائيلي، الذي أنتج التطرف الفلسطيني/الإسلامي. واليوم العديد من الناس/الشعوب هم ضحية التطرف الإسلامي ... وهكذا.

كما حصل اليوم في سوريا والعراق واليمن وليبيا ... حيث العديد من حالات التعدي وسلب الحقوق والقتل التي أنشأت جيلاً بأكمله من الضحايا لضحايا العنف والتطرف الناتج بسبب أجيال من البشر الذين لم يتعلموا الغفران.

فما لم يبادر شخص شجاع ويقوم بكسر هذه الحلقة المفرغة من «دماء تطلب دماء» واتخاذ قرار شجاع بالمسامحة والغفران لمن كان هو المبتدئ بالتعدي، فسيستمر «حجر الرّحى» هذا بطحن الناس جيل بعد جيل، وإنتاج أجيال من الضحايا الراغبين بالانتقام لينتجوا ضحايا آخرين.

أمّا يسوع المسيح فهو الوحيد الذي أعطى الجواب/الحل لهذه المعضلة عندما نادى بالغفران المجاني المقدم من قبل أبينا السماوي، ولكن هذا الغفران وإن كان مجانياً إلا أنه مشروط بشرط واحد: الله/أبونا السماوي مستعد ليغفر لنا «جميع» تقصيراتنا



بشرط أن نكون نحن مستعدين لنغفر لمن أساء إلينا، والتحرر من الشعور بالتقصير تجاه أنفسنا والآخرين.

فلو قررنا أن لا نغفر للآخرين تقصيرهم تجاهنا لفقدنا هذا الامتياز بالحصول على غُفران مجاني لجميع ما اقترفناه من تعديات كل أيام حياتنا، وسيبقى الشعور بإدانة الذات أو الآخرين يراودنا كل أيام حياتنا، وسنعيش الجحيم على الأرض!

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: مَنْ المستفيد من عملية الغُفران، أهو الشخص الذي يَغفر أم الشخص الذي يُغفر له؟ وكما قال أحد الفلاسفة المسيحيين: يشبه عدم الغُفران شخصاً يشرب السمَّ كل يوم ويتمنى أن يموت الشخص الآخر! وصلاتي أن يساعدنا هذا الكتاب على اكتشاف البلمس لشفاء أنفسنا من مرض فتاك أسمه «عدم الغُفران»، وبدلاً من أن نسأل: «لماذا نغفر؟» نقول: «لماذا لا نغفر؟»

المقدمة بقلم المهندس

**ماهر عبد الأحد**

مؤسس منظمة الرجاء والسلام

للحقوق المدنية في العراق منذ عام

2004م:

[www.hpj-iraq.org](http://www.hpj-iraq.org)

ومنسق حملة «قوة المسامحة» في

العراق - أربيل عام 2012م:

[www.musamaha.com](http://www.musamaha.com)

ومدير موقع حياة المحبة Life Agape:

[www.laii.org](http://www.laii.org)



## تمهيد

ذات صباح في سبتمبر 1995م، وبينما كنتُ جالسًا احتسي القهوة وأقرأ الصحف المحلية، ارتعبتُ حين قرأتُ نبأ في الجريدة عن اختطاف فتاة من منطقتنا عمرها سبع سنوات، وفي وضح النهار. ولقد تابعتُ القصة عن كثب في خلال بضعة أيام تلت.

وفي غضون أسبوع، عُثِرَ على الفتاة في منطقة مُشَجَّرَة على بُعد بضعة مئات من الأمتار فقط من سجن المدينة، وقد تعرّضت للاغتصاب، وممارسة الشذوذ الجنسي، والضرب حتى الموت. والأسوأ من ذلك هو أن الرجل الذي اعترف بارتكابه للجريمة، تبين أنه من أحد معارف الطفلة — بل إنها كانت تثق به.

أمّا رد فعل الجمهور فكان مُتَوَقَّعًا: هذا الرجل يستحق الموت. وكان مرشحًا جدًّا لعقوبة الإعدام بموجب قانون الولاية الجديد لعقوبة الإعدام. ومع أن المدعي العام كان قد وعد بتقليل العقوبة لمدة أقصاها عشرين عامًا في مقابل الحصول على معلومات تؤدي إلى الوصول إلى مكان جثة الطفلة، إلّا أن المدعي العام عاد وعدل عن وعده بعد بضعة أيام فقط قائلاً إنه تعاهد مع الشيطان وخدع القاتل من أجل أن يدُلَّه القاتل على مكان جثة الطفلة، وإنه يطمح إلى أن يصبح أول مدعي عام في تاريخ نيويورك الحديث يقوم بإرسال قاتل إلى غرفة الموت. بل إنَّ سكان المدينة الذين تمت

مقابلتهم في الصحيفة المحلية اقترحوا أن تطلق السلطات سراح هذا المجرم المٌغتصب حتى يتمكنوا هم بأنفسهم من أن «يتولوا أمره». ومع أن مشاعر السُّخط هذه مفهومة، إلا أنني تساءلت: أيمن لهذا السُّخط أن يُعزِّي أسرة الضحية النائحة؟! وشعرتُ بيقين تام بصفتي قسيسًا بما يجب أن يكون ردُّ فعلي: فقمْتُ بتنسيق زيارة يقوم بها ممثلون من مجتمع كنيسة للمشاركة في الجنازة، وأرسلتُ باقة من الزهور لوالدي الطفلة. وحاولتُ جاهدًا زيارة الأسرة، ولكنني لم أنجح في تحقيقها. إلا أنني كنتُ ما أزال حزينًا. إذ جاءني إحساس بطريقة ما بأنه يجب عليَّ زيارة القاتل، لكي أجعله يتواجه مع هول أفعاله، وأساعده في الوصول إلى نقطة يتندَّم فيها بصدق على ما اقترفه — فقد كان في نظري حتى تلك اللحظة وحشٌ مجهولٌ.

**وأنا أعلم بأن الناس سسينظرون** إلى مثل هذه الزيارة بِشكٍّ وارتيابٍ، إن لم يسيئوا فهمها كُليًا، ولكنني كنتُ مقتنعًا بأن هذا واجبي. وهكذا وجدتُ نفسي بعد بضعة أشهر جالسًا بمفردي في سجن المدينة وجهًا لوجه مع ذلك القاتل وهو غير مُكبَّل بالأغلال. وقد حرَّكتُ تلك الساعات التي أمضيتها في تلك الزنزانة أحشائي وتركتُ في داخلي عدة أسئلة بلا جواب — وفي الحقيقة كانت تلك الأسئلة هي التي قادتني في النهاية إلى كتابة هذا الكتاب. وأذكر منها: لماذا يجب عليَّ أو على أيِّ شخص آخر أن يغفر لهذا الرجل؟ وما الذي سيغيِّره الغُفران؟ أيمنني أن أغفر له إن لم يُبدِ أيَّ شعور بالندم؟ وحتى لو تندَّم، أيحقُّ لي أن أغفر له، لأنه لم يؤذني شخصيًا؟

وبعد مضي أقل من ثلاثة أشهر على زيارتي، واجه القاتل أخيرًا أسرة ضحيته. لقد كانت قاعة محكمة المقاطعة مُكتظة بالناس؛

وعندما دخلنا القاعة أمكننا التحسُّس بالأجواء المشحونة بالعداء هناك. وبعد إعلان العقوبة — التي كانت السجن المؤبد دون الإفراج المشروط — أدلى القاضي بتصريحٍ وجَّهه إلى المتهم قائلاً له: «أرجو أن تكون الجحيم التي تُواجهها هنا الآن في السجن مجرد بداية للجحيم التي ستُواجهها في الآخرة.»

وسُمِح أخيراً للمتهم بأن يتكلم ببضع كلمات. فقال بصوت مرتفع ومرتعش لوالدي الطفلة إنه «آسف فعلاً» على الألم الذي تسبَّب فيه لهما — وإنه يُصَلِّي يوميًا طالبًا الغُفران. ومع انتشار موجة من الهمسات الغاضبة بين جمهور الحاضرين، سألتُ نفسي أصعب سؤال على الإطلاق: «أيمكن الغُفران لمثل هذا الرجل، على أي حال؟»

## سرطان النِّقمة والاستياء

يجب على مَنْ يختار الانتقام أن يحفر قبرين.

مَثَل صيني

إِنَّ الْغُفْرَانَ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى السَّلَامِ وَالسَّعَادَةِ. وهو سرٌّ أيضًا، الذي إنْ لم نبحث عنه ظلَّ مَخْفِيًّا عَنَّا. وليس المقصود من هذا الكتاب أن يكون دليلًا عمليًّا للغُفران — لأنه من المستحيل أن نخبر شخصًا عن كيفية الغُفران — ولكنني آمل حقًّا في أن يساعد هذا الكتاب على توضيح السبب وراء الحاجة إلى الغُفران.

إِنَّ الْغُفْرَانَ ممكن تطبيقه. وهذا هو ما تظهره قصص هذا الكتاب، حيث تُعلِّم الناس على أن يغفروا حتى في أصعب الظروف. فأنا آمل من خلال سرد تلك القصص في أن أقودك إلى باب الغُفران. وبمجرد وصولك إلى الباب، ستكون أنت الشخص الوحيد الذي يكون بمقدوره فتحه.

ماذا يعني الغُفران في الحقيقة؟ لقد قال سي. إس. لويس: «إِنَّ الْغُفْرَانَ يتعدى حدود العدل والإنصاف البشري؛ إذ إنه يصفح عن تلك الأمور

التي لا يمكن الصفح عنها أبدًا»<sup>[1]</sup> فهو أكثر من مسألة إعدار. فعندما نعذر شخصًا ما على ما اقترف، فإننا نعمل على التغاضي عن السيئة التي ارتكبها ولا نعاقبه عليها. ولكننا عندما نغفر له، فإننا لا نسامحه على خطأ أو فعل شرٍّ مُتعمَّد فحسب، بل إننا نحيطه بالمحبة أيضًا، ونسعى إلى إعادة تأهيله واستعادته مرة أخرى إلى الطريق السليم. وربما لا يكون غُفراننا مقبولاً دائماً، لكن بمجرد المبادرة بتقديم الغُفران ستصبح نفوسنا طاهرة من مشاعر النُّقمة والاستياء. وربما نَظَلُّ مجروحين بجروح عميقة، ولكننا لن نستخدم أوجاعنا لإلحاق المزيد من الآلام بالآخرين.

عندما نعيد باستمرار تذكُّر الذكريات السلبية بطريقة بحيث نتذكَّر إساءة معينة فعلها شخص آخر بحقِّنا، يستفحل الأمر فينا ويصبح ضغينة. ولا يهم ما إذا كان سبب هذه الضغينة حقيقياً أو خيالياً: إذ إنَّ تأثير كليهما واحد. فبمجرد الوصول إلى تلك النقطة، سنجد أن الضغينة تبدأ تَأكُل بنا وتخلق القلق والاغتمام في نفوسنا حتى تطفح خارجاً وتؤدي إلى تَأْكُل كل شيء من حولنا.

ونحن كلنا نعرف أشخاصاً يشعرون بالمرارة والغيض. فمثل هؤلاء الأشخاص لديهم ذاكرة مذهلة لأدقِّ التفاصيل، وينغمسون بإفراط في فخ الشفقة على الذات وفي مرارة الاستياء. وتراهم يُصنِّفون جميع الإساءات التي تَلَقَّوها من الآخرين بحسب نوعها، وهم مستعدون دائماً لأن يُظهِروا للآخرين مدى الضرر الذي لحق بهم. أمَّا ظاهرياً فقد يبدو هادئين ومتماسكي النفس ومُنضِطين، غير أنهم مملوؤون داخلياً بكراهية مكبوتة.

[1] سي. إس. لويس C. S. Lewis كاتب وباحث من أيرلندا الشمالية، وهو الذي كتب

سلسلة الأطفال الشهيرة «نارنيا Narnia».

ويدافع هؤلاء الناس باستمرار عن مشاعر الغضب التي في داخلهم على المواقف الجائرة بحقّهم: فهم يشعرون بأنهم تعرضوا لأذى عميق جدًّا في أكثر الأحيان، وهذا في نظرهم يعفيهم إلى حدٍّ ما عن ضرورة الغُفران. إلّا أن هؤلاء الناس بالذات هم الذين يحتاجون إلى أن يغفروا للآخرين أكثر من غيرهم. فقلوبهم مملوءة أحيانًا بالبُغض والغِلِّ ومرارة الاستياء لدرجة أنهم لم يَعدْ لديهم القدرة على المحبة.

منذ ما يقرب من عشرين سنة، تحدثنا أنا ووالدي كثيرًا مع امرأة لديها مثل هذه المشاعر بالذات، محاولين مساعدتها. فقد كان زوجها مُشْرِفًا على الموت، ولكنها كانت مُتصلِّبة وعديمة الإحساس وبلا مشاعر كالصَّخْرِ. وكانت في نظر العالم تعيش حياة غير ملومة: إذ كانت شديدة الترتيب والنظافة والدقة في العمل، وتعمل بجد ونشاط، وأمينّة، ومقتدرة، ويمكن الاعتماد عليها — ومع ذلك لم تستطع أن تحب. وبعد أشهر من الصراع، اتضح السبب وراء شعورها بفتور القلب: إذ إنها لم تقدر على أن تغفر. ولم تستطع أن تشير إلى أذية كبيرة واحدة، إلّا أن نفسها كانت مُثْقَلَة بآلاف الضغائن الصغيرة.

إنَّ مشاعر الاستياء هي أكثر من مجرد نظرة سلبية للحياة. فهي مُدمِّرة، وتدمِّر الإنسان الذي يحملها أيضًا. والتمسُّك عمدًا بالضغائن على شخص آخر له تأثير كارثي على الروح. فهو يفتح الباب للشرِّ، ويجعلنا مُعرِّضين لأفكار الحقد والكراهية وحتى القتل. فإنه يدمِّر أرواحنا، ويمكنه أن يدمِّر صحتنا أيضًا. ونحن نعلم بأن الإجهاد النفسي يمكن أن يسبب قرحة في المعدة أو صُداغًا نصفيًا، ولكننا غالبًا ما نعجز عن رؤية العلاقة بين مشاعر الاستياء والأرق على سبيل المثال. فقد أظهر أيضًا الباحثون الطبيون وجود صلة

بين الغضب المكبوت والنوبات القلبية؛ فيبدو أن الذين يكتمون استيائهم يكونون عرضة للإصابة بالأمراض أكثر بكثير من أولئك القادرين على نزع فتيل الغضب والاستياء عن طريق التنفيس عن مشاعرهم وهمومهم.

**بريندا Brenda امرأة شابة**، طُلب مني مساعدتها منذ وقت ليس ببعيد. فكانت قد تعرّضت للاعتداء الجنسي من قبل عمها القسيس. ورغم أنها كانت بلا أدنى شك ضحية بريئة لرجل فاسد فسادًا مُروّعًا، إلا أنه كان يبدو بأن بريندا هي التي كانت تجعل بؤسها يتواصل — ولو جزئيًا. فكانت ترفض بل لم يكن بمقدورها أن تجمع قواها الروحية لكي تغفر.

وأخيرًا، صرخت بريندا إليّ مُستغيثة من شدة اليأس، بعد أن أسكتها الخوف من الفضيحة وإدمانها على الكحول لعدة سنوات — الإدمان الذي كان مُعذِّبها (عمها) يدعمه بتقديم مشروب الفودكا لها هدية يومية. ولقد جرّبت شتى أنواع السبل لانتشالها من وضعها المُرّ قبل أن تأتي إليّ. فقد عُرض عليها مشورات مُكثّفة من الأطباء النفسانيين، وكان لديها كل وسائل الراحة المادية التي تتمناها. وكان لديها عمل جيد وشبكة واسعة من الأصدقاء الداعمين لها، وبُذلت كل الجهود لإعادتها إلى وضعها الطبيعي. ورغم كل ذلك، كانت مشاعرها تتأرجح بصورة كبيرة ما بين الضحك المبتهج المفرط والبكاء الذي لا يمكن إيقافه. وأخذت تُسرف في تناول الطعام يومًا ثم تصوم وتضرب عنه في اليوم التالي. وكانت تشرب — قنينة بعد قنينة.

ربما كانت بريندا واحدة من أصعب الناس الذين حاولتُ مساعدتهم. فكنْتُ مترددًا للغاية في تحميلها أيّ ذرّة من الشعور بالذنب، ومع ذلك بدا واضحًا لي أنها هي وحدها القادرة على



أن تبادر بعملية الشفاء. فما لم تتعلم أن تبدأ الغُفران للشخص الذي أساء إليها، فإنها تَظَلُّ ضحيته. ولكن للأسف، كانت جميع مساعداتنا عَبَثًا. وَلَمَّا كانت غاضبة ومرتبكة، أخذت تغرق بعمق كبير في اليأس والكآبة والإحباط، وأخيرًا، وبعد محاولتها خنق نفسها، نُقِلْتُ إلى المستشفى.

إنَّ الجراح النفسيّة التي يُخَلِّفها الاعتداء الجنسي تستغرق سنوات حتى تلتئم؛ وغالبًا ما تترك مثل هذه الجراح آثارًا نفسيّة دائمة. ولكن يجب أن لا يؤدي الأمر إلى الشعور بالعذاب مدى الحياة أو الانتحار. وأعرفُ حالات مشابهة لحالة بريندا، ولكنني وجدتُ أن الضحايا حصلوا على تحرُّر وحياة جديدة عندما غفروا للمُسيئين إليهم، وغفروا أيضًا لأولئك الذين سمحوا باستمرار جريان الاعتداء أو لأولئك الذين فشلوا في رؤية ما كان يحدث في أوانه لأجل إيقاف الاعتداء. وهذا لا يعني النسيان أو التغاضي عن الأمر — ولا يتوقف الأمر هنا بالتأكيد على شرط الالتقاء وجهًا لوجه مع المعتدي، الأمر الذي لا يُنصَح به. غير أنه يعني بالتأكيد اتخاذ قرار واعٍ بالتوقُّف عن الكراهية، لأن الكراهية لا يمكنها المساعدة أبدًا. فهي تنتشر في الشخص كالسرطان حتى تُدمِّره بالكامل.

**آن كولمان Anne Coleman** وهي أمٌّ من ولاية ديلاوير الأمريكية، التقيتُ بها قبل عدة أشهر، وأخبرتني بما حدث لابنها دانيال، الذي لم يستطع أن يغفر، فقالت:

عندما قُتِلت بنتي فرانسيس في عام 1985م أصابني التدمير الكامل. ففي صباح أحد الأيام تلقيتُ مكالمة هاتفية من بنت

أختي في لوس أنجلوس، وقالت لي: «فرانسيس ماتت، فقد أطلق عليها النار.»



فرانسيس

ولا أتذكر الصراخ، لكنني صرختُ فعلاً. وخططت للذهاب إلى كاليفورنيا في الحال، وفكرتُ وأنا على متن الطائرة في أنه بإمكانني أن أقتل شخصاً ما فعلاً: فلو كان معي سلاح ورأيتُ القاتل، لكنّ قد قتلته على الأرجح.

وعندما نزلتُ من الطائرة أصبحتُ قلقة على الطريقة التي سأقابل بها ابني دانيال، الذي سيصل بالطائرة من ولاية هاواي. إذ كان دانيال رقيباً في الجيش ومُدرباً على القتل.

وعندما وصلنا، أنا وابني دانيال، إلى مركز الشرطة في صباح اليوم التالي، كان الشيء الوحيد الذي أخبرونا به هو أن بنتي فرانسيس ماتت، وأن أيّ شيء آخر ليس من شأننا. وللأسف ظلّ الحال هكذا طوال الأيام التي مكثنا فيها في لوس أنجلوس. ثم أخبرني ضابط شرطة المباحث بأنه إن لم يتم القبض على الجاني في خلال أربعة أيام، فيجب أن لا أتوقع أنهم سيقبضون عليه لاحقاً! ثم استطرد قائلاً: «فنحن لدينا عدد كبير جداً من جرائم القتل في هذا الجانب من المدينة، ولا نصرف وقتاً على جرائم القتل سوى أربعة أيام.»

أثار هذا الكلام غضب ابني دانيال. وعندما رأى دانيال أن مركز الشرطة غير مهتم حقًا بالعثور على قاتل أخته، أراد أن يشتري رشاشة من نوع «عوزي» ويحصد الناس حصداً. ولم ينبهنا أحد بما سنراه عندما ذهبنا لناخذ سيارة بنتنا فرانسيس من موقع الجريمة. فقد نزفت فرانسيس حتى الموت في سيارتها. إذ اخترقت الرصاصات الشريان الأورطي وقلبها ورئتيها كليهما. وقد اختنقت بدمها. وماتت في وقت مبكر من صباح يوم الأحد، وأخذنا سيارتها في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الثلاثاء. وكانت السيارة تبعث برائحة نتن. ولم تبرح تلك الرائحة من ذهن ابني دانيال، الذي أراد الانتقام بأسوأ طريقة. فقد أراد فعلاً أن يتحرّك شخص ما ليفعل شيئاً يشفي الغليل — ليكون إجراءً من إجراءات العدالة لمقتل أخته.



دانيال

ولاحظتُ على مدار العامين ونصف العام التاليين أن دانيال تسوء حالته بسرعة، ثم جاء يوم عندما وقفتُ بجانب قبر أخته لأشاهده وهو يُنزل إلى الأرض ليُدْفَن هو أيضاً. لقد انتقم أخيراً وأخذ بثأر أخته — أخذه من نفسه، بالانتحار. لقد رأيتُ ما تفعله الكراهية: إذ إنها تُدمر ذهن الإنسان وحياته.

## التغلب على الكراهية بالمحبة

يقول التاريخ: لا تترج شيئاً على هذا الجانب من القبر. لكن وأنت حيّ الآن، يمكن للموجة العاتية للعدالة التي تشتاق إليها، أن تهيج وتنهض، فتتناغم قافية الأمل والتاريخ.	لذا أرجُ تغيراً عظيماً في البحر بعيداً عن ساحل الانتقام. وآمنُ بأن هناك ساحلاً أبعد يمكن الوصول إليه من هنا. وآمنُ بالمعجزات وينابيع التعافي والشفاء.
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

مقطع مترجم من قصيدة للشاعر شيموس هيني Seamus Heaney  
وهو بريطاني من آيرلندا الشمالية  
حائز على جائزة نوبل في الأدب لسنة 1995م

**أمسك جوردون ويلسون Gordon Wilson بيد بنته** عندما انحصرا  
تحت جبل من الأنقاض. وكان ذلك في عام 1987م عندما كان وبنته  
ماري يحضران مراسم سلمية للجنّاز لأحد الأشخاص في مدينة  
إنيسكيلين في آيرلندا الشمالية، حيث انفجرت قنبلة إرهابية. وفي  
نهاية ذلك اليوم، توفيت ماري وتسع مدنيين آخرين، ونُقل ثلاثة  
وستون شخصاً آخر إلى المستشفى لإصابتهم بجراح.

ومن المثير للدهشة أن جوردون رفض الانتقام قائلاً إن الكلمات الغاضبة لا يمكنها إعادة بنته، ولا إحلال السلام في بلده. وقال جوردون لمراسلي بي بي سي بعد ساعات قليلة من الانفجار:

لقد فقدتُ بنتي، وسنفتقدها طبعًا. ولكنني لستُ غاضبًا. ولا أحمل أيَّ ضغينة ... فهذا لن يعيدها ... ولا تسألوني من فضلكم عن السبب ... لأنه ليست لديَّ إجابة. ولكنني أعلم بأنه لا بد وأن هناك قصداً من وراء موتها. ولو لم أفكر هكذا لانتحرتُ. إذ إنَّ موتها جزء من خطة أعظم ... وسنتقابل معاً مرة ثانية.



جوردون ويسون

وقال جوردون لاحقاً إنَّ كلامه هذا لم يقصد به أن يكون ردًّا لاهوتياً عن مقتل بنته. فقد خرج كلامه ببساطة من صميم قلبه. وبعد مضي أيام وشهور على الانفجار، أخذ جوردون يصارع روحياً من أجل أن يحيا مُلتزماً بحسب كلامه هذا. ولم يكن أمراً كهذا سهلاً، لكن كان هذا الكلام بمثابة شيء يتمسك به، وشيء يقوِّيه روحياً في الساعات الحالكة.

وكان يعلم أن الإرهابيين الذين قضاوا على حياة بنته لم يشعروا بالندم على الإطلاق، والتزم بموقفه من أنهم يجب أن

يُعاقَبوا ويودَعوا في السجن. ومع ذلك، فقد أُسيء فهمه وسُخر منه من قِبَل الكثيرين لأنه رفض السعي للانتقام لحياة بنته. فقد قال:

سيواجه هؤلاء المسؤولون عن ارتكاب هذا الفعل الإجرامي دينونة الله، التي هي أكبر من موضوع مغفرتي لهم ... وسيكون خطأ من جانبي أن أعطي أيَّ انطباع بأنه يجب السماح للمسلحين ومنفذي التفجيرات بالسير في الشوارع بحرية. ولكن ... سواء تَمَّت محاكمتهم هنا على الأرض بقانون المحاكم أو لم تتم ... فإني سأبذل قصارى جهدي الإنساني من أجل أن أظهر لهم الغُفران ... أمَّا الكلمة الأخيرة فهي بيدِ الله.

لقد أتاح الغُفران الذي قدَّمه جوردون للقتلى فرصة له لكي يتقبَّل وفاة بنته المفاجئ، وقد امتد تأثير هذا الغُفران إلى أبعد من جوردون شخصيًا. فقد كسرت كلماته، على الأقل وقتيًّا، دائرة القتل والانتقام هناك في بلده: فقد أَحَسَّ قادة المليشيات البروتستانتية بالذنب لشجاعة جوردون لدرجة أنهم لم يقوموا بردِّ انتقاميٍّ.

إننا في بعض الأحيان نميل إلى الادعاء بأننا لا نستطيع أن نغفر للآخرين ما اقترفوه بحَقِّنا حتى لو أدركنا حاجتنا إلى أن نغفر لهم. إذ نبرر موقفنا بأن الأمر عسير جدًّا، وصعب جدًّا؛ وقد نظن أن القدرة على الغُفران ربما لا يتمتع بها سوى القديسين، لا نحن البقية من الناس العاديين. وقد نظن إمَّا أننا انجرحنا زيادة على اللزوم بمرة واحدة، وإمَّا أن جانبنا من القصة قد تم تحريفه، وإمَّا أنه لم يقدر أحد أن يفهم ما مررنا به.

لقد تأثر بقصة ستيفن مكدونالد Steven McDonald العديد من الأمريكيين، ولكن بدا أن مجرد قليلين هم الذين فهموا أن غفرانه الذي قام به لم يكن عملاً بطولياً باهراً لقوة إرادة خارقة الطبيعة. لقد كان ستيفن ضابطاً في البوليس في مدينة نيويورك حين أُطلق الرصاص عليه في عام 1986م، أثناء استجوابه لثلاثة من الشباب في المتنزه المركزي للمدينة سنترال بارك Central Park، فأصيب على أثرها بالشلل من الرقبة إلى أسفل. ولم يكن قد مضى على زواجه سوى عام واحد آنذاك، وكانت زوجته حاملاً في شهرها الثاني.

وكان الشخص الذي هاجم ستيفن يدعى شافد جونس Shavod Jones الذي كان يسكن في أحد مشاريع الإسكان الفقيرة في حي هارلم بمدينة نيويورك؛ في حين كان ستيفن يعيش في مقاطعة ناساو الغنية التي تقطنها غالبية بيضاء. وكان من الممكن أن تنتهي المقابلة القصيرة بين الاثنين بالسجن لأحدهما وبالشعور بالاستياء مدى الحياة للآخر. إلا أن ستيفن كان قد بدأ في مراسلته مع شافد في محاولة لأن يعطي «سلاماً وهدفاً» لحياة ذلك الشاب، حتى من قبل إطلاق سراح شافد. فكتب ستيفن قائلاً:

لم يبرح من ذهني هذا السؤال عندما كنتُ مُستلقياً في المستشفى وناظراً إلى السقف: لماذا أطلق عليّ الرصاص؟ فقد كنتُ مُتحيّراً في هذا الأمر، ولكنني أدركتُ أنني لا أستطيع أن أكرهه، إذ إنَّ الظروف هي التي جاءت به إلى ذلك المتنزه بعد ظهر ذلك اليوم، ومعه مسدس مُخبأ في سرواله.

فلم أكن أنا سوى شارة شرطي في نظر ذلك الصبي، وزيّ يُمثِّل الحكومة. فقد كنتُ في نظره النظام الظالم الذي جعل أصحاب العقارات يفرضون إيجارات للشقق القذرة والمُقزَّزة

في المباني المتداعية؛ وقد كنتُ أمثلُ في نظره وكالة المدينة التي عمدت إلى إصلاح الأحياء السكنية الفقيرة وإعادة تنظيمها وترميمها ومن ثم طردت السكان الفقراء منها بحجة تحسين المستوى، سواء كانوا مواطنين صالحين ملتزمين بالقانون أو بائعي مخدرات أو مجرمين؛ وقد كنتُ أنا في نظره مجرد ضابط آيرلندي ظهر فجأة في نزاع محلي في حيِّهم الفقير وغادر دون أن يفعل شيئاً، لأنه لم يكن هناك أيُّ خرق لقانون جدير بالاهتمام ويستحق التعب.

وبالنسبة إلى شافُد جونس كنتُ كبش الفداء، والعدو. فلم يرني إنساناً، أو شخصاً له أحبائه، أو زوجاً وأباً لبكرٍ سيولد قريباً. فقد اقتنع بالأساطير الرائجة في مجتمعه عن الشرطة، القائلة: «إنَّ الشرطة يتسمون بالعنصرية، وسرعان ما يلجؤون إلى العنف، لذلك سلِّح نفسك ضدهم». لا، لا يمكنني أن ألوم جونس. فقد فشل المجتمع في زرع الثقة بيننا منذ فترة طويلة قبل أن يتقابل شافُد جونس مع ستيفن ماكدونالد في سنترال بارك؛ ذلك المجتمع الذي يتألف من أسرته، والهيئات الاجتماعية المسؤولة عنه، والناس الذين جعلوا من المستحيل على والديه أن يعيشا معاً تحت سقف واحد ...

في بعض الأيام، حينما أشعر بأنني بحالة صحية سيئة، ينتابني شعور بالغضب. ولكنني أدركت أن الغضب هو مشاعر انفعالية مهدورة بلا فائدة ... وأشعر أحياناً بالغضب على ذلك المراهق الذي أطلق النار عليّ. ولكنني أشفق عليه في أغلب الأحيان. وأملّي الوحيد هو أن يتمكن من تغيير وإصلاح حياته لكي يساعد الناس بدلاً من إيذائهم. وأنا أسامحه، وأمل في أن يحصل على السلام الروحي وعلى هدف صالح لحياته.



لم يَرَدَّ شافُدَّ على خطابات ستيفن في البداية، وعندما رَدَّ عليها فشلت المراسلة معه، لأن ستيفن رفض طلبه لمساعدته في الحصول على إطلاق سراح مشروط. بعدئذ، وفي أواخر عام 1995م، تُوِّفِّي شافُدَّ في حادث اصطدام دراجة نارية في شارع ماديسون بعد مضي ثلاثة أيام فقط من إطلاق سراحه من السجن.

عندما زرتُ ستيفن في منزله بجزيرة لونج آيلند في نيويورك منذ عدة أشهر، أدهشني على الفور سلوكه اللطيف وعينه اللامعتان المفعمتان بالحيوية - وأدهشني من ناحية أخرى مدى عجزه وإعاقته. فالحياة على كرسي متحرك صعبة للغاية ولا يقبلها حتى المُسنِّين، فكم بالحري انتزاع حياة مليئة بالنشاطات الحيوية من شخص في سنِّ التاسعة والعشرين. فإنه أمرٌ مُدمرٌ حقًا. أضف إلى ذلك، فإنه لديه ثقب في القصبة الهوائية للتنفس من خلالها، أمَّا ابنه ذو العشر سنوات من العمر فلم يتمكن مطلقًا من معانقته. فهذا هو ستيفن ماكdonald. ومع ذلك كله، فإني لم أشعر بأيِّ غضب أو استياء في داخله.

وتكلَّم ستيفن بصوت هادئ ولكن بكلام وثيق، وفتح لي قلبه مُعبرًا بصراحة عن مشاعره الخاصة والعميقة وموضِّحًا لي كيف أن تعرُّضه لإطلاق النار دفعه إلى إعادة تقييم حياته كلها، فقال لي:

في البداية كان الغُفران سبيلًا لي يُمكنني من مواصلة الحياة، وأسلوبًا لإيقاف هيجان الغضب من جراء هذا الحادث الفظيع. ولكنني أدركت فيما بعد أنني كنتُ أعيش حياة أنانية، وأنني أنا نفسي كنتُ بحاجة إلى الغُفران. فقد توضَّح الأمر لي بهذه البساطة.



ستيفن وزوجته باتي وابنهما كونار

لقد وجد ستيفن هدفًا ومعنىً لحياته عندما بدأ يُعلِّم الناس الغُفران ويتحدَّث معهم عنه؛ فهو يتحدث باستمرار في المدارس الابتدائية والثانوية وفي حفلات التخرُّج. ويرى أن هذه هي المهمة التي سلَّمها له الله.

وبعد مضي أحد عشر عامًا من إطلاق الرصاص على ستيفن، لا تزال زوجته باتي وفيةً له وتدعمه وتساعده. وهما يخوضان المجاهدات الروحية يوميًا بشأن حالته المُعاقاة وآثارها على زواجهما. وغالبًا ما كان على ستيفن محاربة مشاعر الإحباط والكآبة، حتى أنه صارع مع أفكار الانتحار. غير أنني عندما سألتَه إنْ كان الغُفران نفسه صراعًا روحيًا عنده، قال: «لا، إنه نعمة إلهية.»

لا يمكن أن يكون الغُفران سهلاً عندما يُجرح الإنسان بجروح بالغة. إلا أننا نواجه خياراً من بين خيارين حتى في أشدّ عذاباتنا: إمّا أن نحب وإمّا أن نكره، إمّا أن نغفر وإمّا أن ندين، إمّا أن نسعى للمصالحة وإمّا أن نسعى للانتقام. وربما قد استسلم ستيفن سابقاً لمشاعر الاستياء، ولكنه بفضل اختياره لطريق السلام والمصالحة، فإنه يعمل على تغيير حياة الكثيرين ويؤثر فيها حتى هذا اليوم.

ومن أحد الأبطال الذين يعتز بهم ستيفن هو مارتن لوثر كينغ Martin Luther King. ففي أثناء زيارتنا له، طلب من ممرضته أن تضع أمامه مجموعة من أقوال زعيم الحقوق المدنية، فقرأ منها سطره المفضل لديه: «إنَّ الغُفران ليس عملاً عرضياً، بل موقفاً دائماً.»

**غفر كريس كارير Chris Carrier** لرجل الذي معظمنا يتمنى له الموت. فعندما كان كريس صبياً في العاشرة من عمره في مدينة ميامي الأمريكية، تعرّض للاختطاف والاعتداء عليه من قبل أحد موظفي والده السابقين، ثم ترك هناك ليموت في متنزه أيفركليدز الشاسع والمليء بالمستنقعات في ولاية فلوريدا، فكتب كريس قائلاً:

لم يكن يوم الجمعة بتاريخ 20 ديسمبر 1974م يوماً عادياً بالنسبة إليّ. إذ كان آخر يوم لنا في المدرسة قبل إجازة عيد الميلاد، الكريسماز، وعليه غادرنا المدرسة مبكراً.

نزلتُ من حافلة (أتوبيس) المدرسة في الساعة 1.15 بعد الظهر، وبدأتُ أمشي متجهاً إلى البيت. وبدأ أن هناك رجلاً كبير السن يسير باتجاهي على الرصيف وكأنه يعرفني. ولم أكن إلا على بعد منزلين من البيت، حتى قدّم إليّ نفسه بأنه

صديق لوالدي. وأخبرني بأنه يُعدُّ حفلة لوالدي، وطلب مني مساعدته في تزيين المكان.

وافقتُ، ومشيتُ معه في الشارع عائدين إلى مركز الشباب المحلي حيث أوقف سيارته التي كانت كارافان بهيئة منزل متنقل. وبمجرد دخولي السيارة، وضعتُ أغراضي جانبًا، وجلستُ مرتاحًا.

اختفت مدينة ميامي التي كنتُ أعرفها بسرعة من أمامي عندما كان يقود سيارته شمالًا. وأوقف السيارة على جانب الطريق في منطقة بعيدة عن حركة المرور في الضواحي خارج المدينة. وادّعى بأن الاستدارة قد فاتته. فأعطاني خريطة وطلب مني أن أبحث عن رقم معين، ثم ذهب إلى مؤخرة السيارة مُدّعيًا بأنه «سيجلب شيئًا ما».

وفيما كنتُ منتظرًا وانظر إلى الخريطة شعرتُ بلسعة خاطفة في كتفي ثم لسعة أخرى. فالتفتُ ورائي، فرأيتَه يحمل مِعولًا يشبه الفأس لتكسير الجليد في يده. ثم سحبني من مقعدي وألقى بي إلى الأرض. فجلس بركبتيه عليّ وأخذ يطعنني في صدري عدة مرات. فتوسّلتُ إليه أن يتوقف عن هذا، ووعدته بأنه لو تركني أذهب فلن أخبر أيَّ شخص بما حدث.

وعندما انزاح عني، شعرتُ بارتياح لا يوصف. ثم أخبرني بأنه سيُلقي بي في مكان ما، وبعدها سيتصل بأبي تلفونيًا ليُعرِّفه بمكاني. وسمح لي بأن أجلس في مؤخرة السيارة وهو يقودها. ولكنني أدركتُ الحقيقة المؤلمة وهي أنني عاجز عن فعل أيَّ شيء في وضعي هذا. وعندما سألتَه لماذا يفعل

هذا بي، قال: «إنَّ أباك كان السبب في أن أخسر مبلغًا كبيرًا من أموالِي.»

وبعدما قاد السيارة لِمَا يقرب من الساعة، اتجه إلى طريق جانبي تراي. وأخبرني بأن هذا هو المكان الذي سيأتي إليَّ أبي ليأخذني منه. وسرنا معًا بين الأحراش، وجلستُ حيث أمرني أن أجلس. وآخر ما أتذكر هو رؤيته وهو يمضي في طريقه ويتركني.

وبعد مضي ستة أيام، وفي مساء يوم 26 ديسمبر، عثر أحد صيادي الغزلان المحليين على الصبي كريس. وكان رأسه مُلطَّخًا بالدماء وعيناه سوداوين ومُتورمتين، فقد أُطلق عليه الرصاص في رأسه، واخترقت الرصاصة رأسه. وبأعجوبة، لم يكن هناك أيُّ تلفٍ في الدماغ، لكنه لم يتذكَّر أيَّ إطلاق نار.

في الأشهر التي تلت ذلك، كان كريس يصارع يوميًا مع شعوره بعدم الأمان، لِعِلمه بأن خاطفه لا يزال طليقًا. وكان عليه أيضًا أن يتقبَّل محدودية حالته البدنية التي سبَّبتها جروحه: فقد أُصيب بالعمى في أحد عينيه ولم يمكنه المشاركة في الألعاب الرياضية التي تتطلب مصادمات بدنية. وكان، مثل أيِّ مراهق، قلقًا بشأن مظهره.

كان كريس يكره التحدُّث مع الناس عن نجاته من تلك الحادثة، ويتذكَّر كيف بدأ يتساءل: «ماذا لو تخلَّت عن إنقاذي تلك «الأعجوبة» وتركتني في حالة مزرية تامة؟» والأمر العجيب هو أنه عند سنِّ الثالثة عشر مرَّ بتغيير روحي. فقد بدأ يرى ذلك الكابوس الذي حدث له بطريقة مختلفة. وأدرك أن جروحه كان من الممكن أن تكون أسوأ من هذا بكثير — وفي الحقيقة، فإنه كان يمكن أن

يموت. وأدرك أيضًا أنه لا يستطيع أن يَظَلَّ غاضبًا إلى الأبد. فقرر أن ينصرف وإلى الأبد عن مشاعر العداة والانتقام والشفقة على الذات.



كريس كاريير

وبعد اثنتي وعشرين سنة، وفي يوم 3 سبتمبر من عام 1996م، تَلَقَّى كريس مكاملة تليفونية التي تَغَيَّرَتْ حياته على أثرها مرة أخرى. فعندما كان في البيت، اتصل به مُحَقِّق من قسم شرطة مدينة كورال جابلِس لإبلاغه بأن هناك رجلاً يُدعى ديفيد ماك أليستر قد اعترف بأنه هو الذي قد اختطفه. فقد كان ديفيد يعمل سابقًا في عائلة كريس ممرضًا مساعدًا لعم كريس المُتَقَدِّم في السِّنِّ. وقد فُصِّل من عمله بسبب مشاكله

في شرب الخمر. فزار كريس ديفيد في اليوم التالي. ويقول كريس:

عندما زرته ما بعد ظهر ذلك اليوم، امتلأ قلبي بالشفقة على ذلك الرجل. فلم يَعدْ ديفيد ماك أليستر مُخْتَطِفًا مُخِيفًا. لقد كان رجلاً شَيْخًا في السابعة والسبعين من عمره وهزيلًا ووزنه أكثر بقليل من ستين رطلاً. وقد أصبح أعمى بسبب مرض المياة الزرقاء في عينيه، وقد تُلِفَتْ صحته بسبب الإدمان على شرب الكحول والتدخين. ولم يَعدْ له لا أصدقاء ولا عائلة. أيُّ بكلمة أخرى، كان رجلاً يواجه الموت ولا يصاحبه سوى مشاعر الندم.

وعندما بدأتُ أتحدث مع ديفيد كان قاسياً إلى حدٍّ ما. فأعتقدُ أنه ظنَّني ضابط شرطة آخر. فسأله أحد أصدقائي الذي رافقني بعض الأسئلة البسيطة التي قادتني إلى الاعتراف بأنه قد اختطفني. ثم سأله بعد ذلك: «هل تمنيت يوماً أن تخبر ذلك الصبي الصغير بأنك آسف على ما فعلته به؟» فأجاب ديفيد بشكل قاطع: «أتمنى لو أستطيع ذلك.»

عندئذٍ قدَّمتُ نفسي له. ومع أنه لم يستطع رؤيتي، إلّا أنه أمسك بيدي وقال لي إنه آسف على ما فعله بي. وبالمقابل، قدَّمتُ له الصّفح وعرضتُ عليه صداقتي.

ويقول كريس إنه لم يكن صعباً عليه أن يغفر لديفيد، لكن وسائل الإعلام ما تزال لا تفهم لماذا أو كيف غفر له. لقد أُعجبت وسائل الإعلام بقدرته على الصّفح والغفران، ولكنها لم تستطع أن تدرك ما الذي دفعه إلى مثل هذا الصنيع. فعادة ما تقف وسائل الإعلام عاجزة عن الفهم عندما يظهر للعيان موضوع المغفرة؛ فيبدو أنها لا تركز إلّا على مأساة الاختطاف وتفاصيل تعذيبه. غير أن كريس يكتب ما يلي:

هناك سبب واقعي للغفران. فعندما يخطئ الآخرون بحقننا، يمكننا أن نتجاوب مع هذا الأمر بطريقتين، إمّا أن نسعى للانتقام من الشخص الذي أخطأ بحقننا، وإمّا أن نغفر له. ولو اخترنا الانتقام، فسيستهلك الغضب حياتنا ويسيرها. فعندما يقوم المرء بخدمة الأخذ بالثأر، يصبح شخصاً فارغاً. إذ من الصعب إشباع مشاعر الغضب، ويمكن أن يصبح الثأر أمراً

معتادًا لدى المرء. إلّا أن الغُفران يتيح لنا فرصة قلب صفحة جديدة ومواصلة الحياة.

وهناك سبب مُلزم آخر يدفع الإنسان إلى الغُفران. فالغُفران عطية إلهية — إنه رحمة. فالغُفران عطية حصلتُ عليها أنا شخصيًا ومنحتها للآخرين. وفي كلتا الحالتين، كان الغُفران إشباعًا وفرحًا لروحي.

وفي الأيام التي أعقبت هذا اللقاء الصعب، بدأ كريس بزيارة ديفيد في أغلب الأوقات وعلى قدر استطاعته، وعادة ما كان يصطحب زوجته وبنتيه في زيارته. وأمضى الرجلان ساعات في الحديث، وتلاشت قساوة الرجل المُسنّ تدريجيًا. ولاحقًا، في إحدى الأمسيات، بعد ثلاثة أسابيع من بدء الزيارات، وبعد أن أودع كريس صديقه المريض إلى الفراش لينام، مات ديفيد.

**تُظهر لنا قصص جوردون وكريس وستيفن،** وربما بشكل أفضل من كل القصص الأخرى في هذا الكتاب، التناقضات في السرّ الذي نسميه «الغُفران». ويجد معظمنا صعوبة بالغة في التخليّ حتى عن الضغائن الصغيرة نسبيًا، غير أنّ هؤلاء الرجال الثلاثة الذين عانوا أكثر بكثير من أسوأ كوابيسهم، كانوا قادرين على أن يغفروا بسهولة لا تصدق. وربما لا يرجع الفضل في ذلك إليهم شخصيًا كبشر وإنما إلى إيمانهم بقوة إلهية عُلّيا أعظم منهم. وفي النهاية، فإنّ هؤلاء الرجال لم يستمدوا قوتهم للغُفران بفضل بحثهم عن السلام الروحي فحسب بل أيضًا بفضل إيمانهم بالله، الذي بذل ابنه الوحيد يسوع المسيح على الصليب من أجل خطايا العالم.



## إنهاء دوامة الحقد

نتمنى لو كانت المسألة مجرد وجود بعض الأشرار الذين يقتربون أفعالاً شريرة في مكان معين، فيصبح عندئذ من الضروري مجرد عزلهم عنّا والقضاء عليهم. إلّا أن الخط الفاصل ما بين الخير والشرّ يخرق قلب كل إنسان. فمَنْ يرغب في القضاء على جزءٍ من قلبه؟

قَوْلٌ مِنْ

ألكساندر سولجينيتسن Aleksander Solzhenitsyn

أديب ومعارض روسي، كتب مُنتقِداً معسكرات الاتحاد السوفيتي للعمل القسري، وحائز على جائزة نوبل في الأدب سنة 1970م

**الصلاة الربانية التي يتلوها الملايين منذ صغرهم، تعزّي كثيرين مِنّا ولاسيّما في الأوقات الصعبة أو أوقات الأزمات، وتتضمن هذا التضرّع: «وَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمَذْنِبِينَ إِلَيْنَا.»** غير أنّ السؤال هو: ما مدى الجدّيّة التي نتعامل بها مع تلك الرسالة التي تحملها هذه الكلمات؟ أيّ بمعنى أن نحصل على القوة لنغفر للآخرين، عندما ندرك احتياجنا الشخصي لغفران ذنوبنا. غير إنّ هذا الإدراك لحاجتنا الشخصية إلى مغفرة الذنوب لا نتقبّله بسهولة. فيبدو أنه من الأفضل لنا دائماً أن نتشبّث بِبرّنا الذاتي وبفضيلتنا البشرية وبتلميع وجوهنا وشخصياتنا أمام الآخرين.

ولتوضيح معنى طلبة المغفرة أعلاه في الصلاة الربانية، روى يسوع المسيح القصة التالية:

لِذَلِكَ يُشَبِّهُهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ. فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمَحَاسَبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلَافٍ وَزَنْةٍ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمْرَ سَيِّدِهِ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفِيَ الدَّيْنَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، تَهَلَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ. وَلَمَّا خَرَجَ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفْقَائِهِ كَانَ مَدْيُونًا لَهُ مِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلًا: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيقَهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلًا: تَهَلَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَلَمْ يردْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي سَجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ.

فَلَمَّا رَأَى الْعَبْدُ رُفْقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جَدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلُّ مَا جَرَى. فَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ، كُلُّ ذَلِكَ الدَّيْنِ تَرَكَتَهُ لَكَ لِأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟ وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلُّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ. (متى 18: 23-34)

إنَّ أقوى حافز عندنا الذي يحفِّزنا دائماً إلى أن نغفر للآخرين هو تجربتنا الشخصية عندما يُغفر لنا، وإدراكنا لمدى حاجتنا الشديدة إلى الغُفران للذنب الذي ارتكبناه نحن بحق الآخرين.

**يروى جاريـد Jared**، وهو طالب جامعي أمريكي من أصل إفريقي من ولاية بوسطن، قصة صراعه مع الغُفران قائلاً:

كنتُ في السادسة من عمري عندما تيقَّظتُ لحقيقة العنصرية: فقد خرجتُ من البيئة المحمية لبيتنا إلى العالم — لأبدأ بالدوام في مدرسة ابتدائية محلية تقع في شارعنا وتبعد بمجرد مسافة قليلة عن منزلنا. فذهبتُ إلى هذه المدرسة لمدة شهر واحد فقط قبل أن يفرض قانون المدينة عليَّ الانتقال إلى مدرسة أخرى في الجهة الثانية من المدينة ونقلي بالحافلات إليها كل يوم. أمّا والداي فلم يفرحا بهذا؛ لأنهما أرادا أن أداوم في مدرسة حيث أكون فيها معروفاً ومحبوباً. وكنا يمتلكان مزرعة في الريف، لهذا انتقلنا إلى هناك ...

كان والدي مناضلاً في حركة الدفاع عن الحقوق المدنية للأفارقة الأمريكيين، وعَلَّمنا أن نحب الجميع ونحترمهم سواء كانوا بيضاً أو سوداً. ولم أكن أُقيِّم الناس بحسب عرقهم في ذلك الوقت. وبرغم ذلك، كنتُ الطفل الأسود الوحيد في المدرسة، وكان من الواضح أن العديد من الأطفال الآخرين قد تعلَّموا الكراهية. ويمكن للأطفال أن يكونوا وحشين بشأن الفروق التي يلاحظونها فيما بينهم وبين الآخرين. فقد يبدوون بسؤال بريء: لماذا لون بشرتك بُنيٌّ؟ ولكنهم يبدوون بعد ذلك بالضحك والسخرية، لأنهم يرون أن البشرة البنية تختلف إلى حدٍّ ما؛ فقد علَّمهم أحد الأشخاص ذات مرة أن هذا اللون ليس «طبيعياً».

لقد شعرتُ بأنني في المكان غير المناسب. فكنتُ وكأنني سمكة خارج الماء، فلم يُسهَّل هؤلاء الأطفال الأمر عليَّ.

وأذكر بصفة خاصة حادثة أثّرت فيَّ للغاية. ففي ذات يوم، قدّمتُ أحد أصدقائي البيض إلى صديق أبيض آخر في حافلة نقل الركاب، ومنذ ذلك الحين، بدأ يجلسان دائماً معاً، أمّا أنا فأهملاني وتركاني.

لاحقاً، وعندما أصبحتُ في الصف السابع في المدينة، كان هناك ولد أبيض في فصلي، يُدعى شان، وكان التلميذ الوحيد الأبيض في المدرسة كلها. فكُنّا نعامله وكأنه من نفايات البشر ونسخر منه بألقاب عنصرية ونعتدي عليه بالضرب. فأفرغنا حقننا على الناس البيض فيه، مع أنه لم يفعل أيَّ شيء لإيذاء أيِّ مِنّا. لقد كُنّا غاضبين. فقد كان في نظرنا رمزاً لكل ما عرفناه عن البيض وتاريخهم: إذلال شعبنا، الإعدامات شنقاً خارج إطار القانون، والغوغاء، وتجارة العبيد. فسكبنا كل استيائنا وغضبنا على هذا الولد.

وأستطيع أن أرى الآن أن ما فعلناه بالولد شان كان عملاً باطلاً. لقد كُنّا بهذا عنصريين، بذات العنصرية التي كان البيض يتّصفون بها التي جعلتنا نكرههم. ولا أزال حتى هذا اليوم أسأل الله الغُفران عن الأذية التي تسبّبتُ فيها للولد شان. وأنا عازم على مسامحة أولئك الأولاد الذين لم تجرؤ قلوبهم على تقديم المحبة لي عندما كنتُ الفتى الأسود الوحيد في وسطهم.

**هيلّا إيرليتشن Hela Ehrlich**، من أفراد مجتمعات برودرهوف المسيحية،<sup>[2]</sup> وهي من أصل يهودي، نشأت في ألمانيا النازية. وتمكنت

[2] برودرهوف أو كنيسة الحياة المشتركة مذكورة عدة مرات في هذا الكتاب، وتجدرنبذة عنها في آخر الكتاب.

أسرتها من الهجرة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبالتالي نجت من معسكرات الموت. ومع ذلك، عانوا كثيرًا. فقد توفي والدها ولم يكن عمره سوى 42 عامًا، وفقدت هيللا كل أجدادها من ناحيتي



هيللا إيرلنتش

الأب والأم إضافة إلى جميع أصدقاء الطفولة في الهولوكوست (محارق إبادة اليهود في ألمانيا). وتُخبرنا الأخت هيللا عن صراعها الطويل مع مرارة البُغض والاستياء وعدم رغبتها المستمرة في الغُفران، حيث وصل رفضها للغُفران ذروته وتأزّم حالها ذات يوم أثناء اجتماع لمجتمع الكنيسة كله. فاسمعوها تحكي عن مشاعرها إثناء ذلك الاجتماع:

جلستُ وأنا أرتعش. وأثناء جلوسي تجلّى الأمر لي فجأة بأني لو نظرتُ إلى قلبي لوجدتُ بذور الكراهية فيه هناك أيضًا. وأدركتُ أن بذور الكراهية موجودة في كل إنسان. فهناك أفكار التكبر والغرور، ومشاعر السُخط على الآخرين، وفتور القلب، والغضب، والحسد، وحتى اللامبالاة — فهذه الأمور هي الجذور نفسها لتلك المجازر التي حدثت في ألمانيا النازية. وهنا أدركتُ بوضوح غير مسبوق أنني أنا شخصيًا بحاجة ماسة إلى نعمة الغُفران لخطاياي، وأخيرًا شعرتُ بتحرُّر كامل.

**يوسف بن ألعازر Josef Ben-Eliezer** فرد آخر من أفراد كنيستنا برودرهوف، وُلد في عام 1929م في مدينة فرانكفورت، ألمانيا، لأبوين يهوديين من أوروبا الشرقية. وقد هاجر والداه من بولندا، مثل آلاف غيرهما، هرباً من الاضطهاد والفقر. إلا أن أسرتهما لم تتج من أي منهما، لا من الاضطهاد ولا من الفقر. فيحكي لنا يوسف قائلاً:

حصلت أول مواجهة لي مع معاداة السامية عندما كان عمري ثلاث سنوات فقط. إذ كُنّا نشاهد ذات مرة من نافذة منزلنا الواقع في شارع اوستئيندشتراسا Ostendstraße رتلًا من شباب هتلر وهم يسيرون وينشدون نشيدًا وطنيًا مرعبًا، بحيث تمكنتُ أنا أيضًا من فهم معناه رغم صغر سني آنذاك، فكان النشيد: Wenn Judenblut vom Messer spritzt (بمعنى: عندما تسيل دماء اليهود من خناجرنا). ولا أزال أتذكر الرعب الذي كان يظهر على وجهي والدي.

وسرعان ما قررت أسرتنا مغادرة البلد، ورجعنا إلى بلدة روزفادوف المطلّة على نهر سان في بولندا في نهاية عام 1933م. وكان معظم سكانها من اليهود: من حرفيين، وخياطين، ونجارين، وتجار. وكان هناك قدر كبير من الفقر، ولكننا رغم تلك الظروف كُنّا نُعتبر من الطبقة الميسورة. وعشنا في بلدة روزفادوف طوال الستة أعوام التي تلت.

وفي عام 1939م بدأت الحرب العالمية الثانية، وما هي إلا أسابيع حتى دخل الألمان روزفادوف. واختبأ والدي وشقيقي الأكبر في العليّة، وكلما طرق أحدهم بابنا وسأل عنهما، قلنا إنهما ليسا في المنزل.



يوسف بن اليعازر

ثم جاء الإعلان  
العام الرهيب: على كل  
اليهود التجمّع في ساحة  
البلدة. ولم يُعطَ لنا أيّ  
مهلة سوى بضع ساعات.  
فأخذنا ما استطعنا  
حمله — مجرد وضعناه  
في صُرّة من القماش  
لنتمكن من حمله على  
ظهورنا. وأجبرتنا قوات  
الأمن الخاصة النازية  
(وحدات إس إس) على  
المشي من ساحة البلدة

إلى نهر سان، الذي كان يبعد عدة أميال عن القرية. وكان  
جنود بزيهم العسكري يركبون دراجات نارية بمحاذاتنا من  
كلا الجانبين. ولن أنسى أبدًا كيف توقف أحدهم وصرخ فينا  
لكي نسرع في مشينا؛ ثم جاء إلى والدي وضربه ضربة قوية.  
وعند ضفة النهر، كان هناك جنود آخرون بزيهم  
العسكري ينتظروننا. فقاموا بتفتيشنا بحثًا عن الأشياء  
القيمة — نقود، أو مجوهرات، أو ساعات. (ولحسن الحظ،  
لم يجدوا المبلغ الذي أخفاه والدي في ملابس أختي الصغيرة.)  
ثم أمرونا بعبور النهر إلى أرض لا نعلم إلى أيّ بلد تنتمي. ولم  
نتلقَ أيّ تعليمات بما يجب علينا أن نفعله، لذلك وجدنا مأوى  
في قرية عبر النهر.

وبعد أيام قليلة سمعنا فجأة أن الألمانين سيحتلون هذه المنطقة أيضًا. فانتابنا الذعر، فاشترى والدي بالأموال التي أخفوها، ومتشاركين مع أسرتين أو ثلاث، حصانًا وعربة لكي تحمل الأطفال الصغار والأشياء القليلة التي تمكّننا من حملها على ظهورنا.

وسافرنا شرقًا باتجاه روسيا، على أمل الوصول إلى الحدود قبل حلول الظلام، ولكننا وجدنا أنفسنا في غابة كبيرة عندما حلّ الظلام. وهناك هاجمنا مسلحون وطلبوا مِنّا تسليم كل ما نملك. لقد كانت لحظات مخيفة، ولكن كان هناك بعض الرجال في مجموعتنا مِمَّنْ كانت لديهم الشجاعة لمقاومتهم. وفي النهاية، انصرف عنا المسلحون آخذين معهم دراجة وبعض الأشياء الصغيرة الأخرى.

أمضت أسرة يوسف سنوات الحرب في سيبيريا. ونجح يوسف بأعجوبة في الهروب إلى فلسطين عام 1943م. وبعد الحرب العالمية الثانية، التقى يوسف بيهود نجوا من معسكرات الاعتقال النازية. فيقول:

بدأت الدفعات الأولى من الأطفال الذين تمّ تحريرهم من معسكري الاعتقال بيرغن بيلسن Bergen-Belsen وبوخنفالد Buchenwald بالوصول إلى فلسطين في عام 1945م. وارتعبتُ مما سمعته عما مرّ به هؤلاء الأولاد، الذين لم يَكُنْ عمر بعضهم سوى اثنتي أو ثلاث أو أربع عشرة سنة. وكان مظهرهم وكأنهم طاعنون في السنّ. فأُسييتُ مُذهلاً أمام كل هذا.



وصارعتُ معنويًا مع موضوع الاحتلال البريطاني للبلد طوال الثلاث سنوات التي تلت. وامتلأت بالكراهية للبريطانيين، وخاصة بعدما بدأوا بوضع قيود على هجرة الناجين من الهولوكوست إلى فلسطين. وقُلنا إننا نحن اليهود لن نذهب مرة أخرى كالغنم للذبح، على الأقل ليس بدون خوض قتال ضارٍ. وشعرنا بأننا نعيش في عالم من الوحوش، وبأننا يجب أن نكون كالوحوش مثلهم للبقاء على قيد الحياة والدفاع عن وجودنا.

وعندما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، دارت حروب أكثر بين اليهود والعرب من أجل الأرض. والتحقّت بالجيش لأنني كنتُ مقتنعًا بأنه لم يَعدْ بإمكانني السماح لنفسني بأن أُسْحَقَ بالأقدام ...

وأثناء حملاتنا العسكرية على رام الله واللد، أمرتُ كتيبتي الفلسطينيين بالمغادرة خلال ساعات. ولم نسمح لهم بأن يرحلوا بسلام لكننا هاجمناهم بدافع الكراهية المطلقة. فضربناهم واستجوبناهم بوحشية. حتى إنّ بعضهم قُتل. ولم تَكُن لدينا أوامر بفعل هذا، ولكننا تصرفنا بمبادرتنا الذاتية. فقد أطلقنا العنان لأوطأ غرائزنا البشرية وأحقرها.

وفجأة، وَمَضَتْ أمام عيني طفولتي في زمن الحرب في بولندا. واسترجعتُ في ذهني تجربتي عندما كنتُ طفلًا في العاشرة من عمري وأنا أُطرد من موطني. فها هم الناس أيضًا هنا أمامي — رجال ونساء وأطفال — يفرّون بكل ما يمكنهم حمله. وكان هناك خوف في عيونهم، ذلك الخوف الذي كنتُ أعرفه أنا شخصيًا جيدًا. فأصبحتُ حزينًا للغاية، ولكنني كنتُ

تحت الأوامر، وواصلتُ في تفتيشهم عن أشياء ثمينة. وعلمتُ  
بأنني لم أعد ضحية، لكنني الآن أملك القوة والنفوذ.

وسرعان ما ترك يوسف الجيش، ولكنه ما زال غير سعيد. ونبذ  
الديانة اليهودية، ثم نبذ الدين برُمته، وحاول أن يعطي معنى للعالم  
من خلال تفسير شروره بالمنطق. غير أن هذا الأسلوب لم ينجح معه  
ولم يُعطه لا السلام الروحي ولا الفرح الروحي. وفي النهاية، جاء  
إلى أحد مجتمعات برودرهوف المسيحية، حيث يحيا جميع أفرادها  
حياة المقاسمة والفقر والتعاون والتكريس المؤبد، فقال:

لقد اختبرت هنا واقعية الغُفران أول مرة في حياتي. وأسأل  
نفسي: «كيف لا يمكنني أن أغفر للآخرين مع أنني أنا نفسي  
بحاجة إلى الكثير من الغُفران باستمرار؟» والأهم من هذا  
كله، فأنا مليء بالأمل بأنه في يوم ما لعلَّ الروح القدس نفسه  
الذي خَلَّصني يتملِّك على الناس في جميع أنحاء العالم.

**كان لكل من جاريد وهيلا ويوسف أسبابًا وجيهة لعدم مسامحة  
أعدائهم. فمن وجهة النظر البشرية كانوا أبرياء. إذ كانت الأعباء  
التي حملوها نتيجة لظلم وكراهية الآخرين لهم وليس نتيجة لظلم  
كراهيتهم للآخرين. ولهذا كان لهم كل الحق في أن يشعروا بمشاعر  
المظلومين التي شعروا بها.**

ولا أحاول للحظة أن أُلَمِّح في كلامي إلى أنه من السهل  
مسامحة أولئك الذين ذبحوا أسرتك، وأصدقائك، وجيرانك، إلا أن  
تجربتي الكبيرة في هذا المجال باعتباري قسيسًا ومرشدًا اجتماعيًا  
تتيح لي أن أقول إنَّ أولئك الذين لا يستطيعون مسامحة مضطهديهم

يَظَلُّونَ هم أنفسهم ضحايا مُضْطَهَدِيهِمْ لفترة طويلة بعد انتهاء الألم الجسدي أو الخطر.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ جاريد وهيلا ويوسف — عندما تبدَّلت الأدوار ولعبوا دور الظالم — تمكنوا من أن يروا أنفسهم يصبحون مثل أولئك الظالمين الذين عانوا منهم كثيرًا جدًا هم شخصيًا مع عائلاتهم. ووجدوا جميعهم، كما وجد كثيرون غيرهم، أنه لا يمكنهم إنهاء الدورة الرهيبة للكرهية ولا يمكنهم تحرير أنفسهم من أهوال ماضيهم إلاَّ بالغفران.

## باركوا الذين يضطهدونكم

هناك بعض المسائل التي يقف المرء في حيرة من أمره أمامها، ولاسيما عند رؤية خطايا الناس، ويسأل نفسه: أينبغي استخدام القوة أم المحبة والتواضع؟ اختاروا دائماً المحبة المتواضعة. فلو عزمتم على ذلك عزيمة قطعية، لأمكنكم إخضاع العالم كله. إذ إنَّ التواضع المليء بالمحبة له تأثير قوي بشكل مذهل، فإنه أقوى من كل شيء، ولا مثيل له.

قَوْلٌ مِنْ

فيودور دوستويفسكي Fyodor Dostoevsky

وهو من أكبر الكُتَّاب الروس ومن أفضل الكُتَّاب العالميين

**قال يسوع المسيح في الموعظة على الجبل** إنه يجب أن نحب أعداءنا — وفي الحقيقة، فإنه قال أيضاً إنه يجب أن «نبارك» الذين يضطهدوننا. ولم يكن هذا مجرد خطاب، فإنه قد أظهر هذه المحبة بوضوح وبشكل لا لبس فيه بكلماته من على الصليب حين قال: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأنهم لا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.» (لوقا 23: 34) كما صَلَّى استيفانوس، أول شهيد مسيحي، صلاة مشابهة لهذه الصلاة عندما تعرّضت حياته لنهاية مأساوية رمياً بالحجارة، إذ قال: «يَا رَبُّ لَا تَقِمَ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيئَةُ.» (أعمال 7: 60)

ويسخر الكثير من الناس من هذا الأمر، مُعتبرينه حماقة مُدمِّرة للذات. فيقولون: كيف يمكننا محبة أولئك الذين يسعون إلى إيذائنا أو تدميرنا؟ وعندما قدَّمتُ لصديقي موميا أبو جمال Mumia Abu-Jamal نسخة من هذا الكتاب قبل طباعته، وهو كاتب أمريكي من أصل إفريقي، وقد نالتُ كتبه استحسان النُّقد الأدبي، ولكنه ينتظر حُكم الإعدام في سجن ولاية بنسلفانيا، كان ردُّ فعله بهذه الطريقة:

من السهل على الناس الذين يعيشون في مكان يشبه الفردوس، الذين لديهم ما يكفي من الطعام والمزارع والأراضي والمنازل



موميا أبو جمال

الجميلة والشركات التجارية، وما إلى ذلك، أن يعظوا عن الغُفران. ولكن، هل من العدل حقًا قول ذلك للذين يعيشون في جحور من الجحيم — بلا وظيفة، ومهددون بموت وشيك بسبب الجوع — أولئك الذين وصفهم الكاتب فرانز فانون بأنهم «تعساء الأرض؟» فهل

ينبغي أن يغفروا للملايين البدينين، الذين يتغذَّون جيدًا، الذين صَوَّتوا لصالح مجاعتهم؟ الذين صَوَّتوا لصالح الحرب؟ الذين صَوَّتوا لإقامة السجون؟ الذين صَوَّتوا لقمعهم المؤبَّد؟ الذين يتمنون من صميم قلوبهم لو لم يَكُنْ قد وُلِدَ الفقراء

في هذا العالم مطلقًا؟ أينبغي أن يغفروا لهم من أجل القمع القادم؟ ومن أجل الإبادة الجماعية القادمة؟

**أما مارتن لوثر كينغ Martin Luther King**، فكان من الأشخاص الذين رأوا أنهم يجب أن يغفروا. وقد كتب في كتابه الذي كان من أفضل الكتب مبيعًا في عام 1963م بعنوان «Strength To Love» (أي بمعنى القوة للمحبة) ما يلي:

ربما لا توجد وصية من وصايا يسوع المسيح يصعب تنفيذها مثل وصية محبة الأعداء. وقد شعر بعض الناس بصدق بأن ممارستها الفعلية غير ممكنة. فيقولون إنه من السهل أن تحب أولئك الذين يُحبُّونك، ولكن كيف يمكن للمرء أن يحب أولئك الذين يسعون علنًا وبكامل المكر لأن يهزمونه...؟ وحاشا لو وصية محبة الأعداء أن تكون وصية حالم متدين مثالي، بل هي ضرورة مطلقة لبقائنا على قيد الحياة. فالمحبة حتى لأعدائنا تُعتبر مفتاحًا لحل مشاكل عالمنا. فليس المسيح بشخص مثالي غير عملي؛ بل إنه واقعي وعملي ... إنَّ الرد على الكراهية بالكراهية يضاعف من الكراهية، مما يزيد من ظلمة ليلة خالية سلفًا من النجوم. إذ لا يمكن للظلام أن يطرد الظلام؛ فالنور وحده قادر على ذلك. ولا يمكن للكراهية أن تطرد الكراهية؛ فالمحبة وحدها قادرة على ذلك. أما الكراهية فتضاعف الكراهية، والعنف يضاعف العنف، والخشونة تضاعف الخشونة في دوامة الدمار المنحدرة ... فالمحبة هي القوة الوحيدة القادرة على تحويل العدو إلى صديق. فلن نتخلص أبدًا من عدو ما بمقابلة الكراهية

بكراهية؛ وإنما نتخلص من العدو بالتخلص من العداوة. فالكراهية بطبيعتها مُدمِّرة ومُمزِّقة؛ في حين أن المحبة بطبيعتها تخلق وتبني. فالمحبة تُغيِّر الآخرين وتُصلِّحهم بقوة شافية.

ويرجع الفضل في نمو التزام مارتن لوثر كينغ بالمحبة وفي اتخاذها كسلاح سياسي إلى إيمانه المسيحي، ولكن كان هناك أيضًا طابع عملي (براغماتي) في تفكيره. فقد عَلِمَ بأن الأمر يحتاج إلى عقود من الزمان من أجل اعتراف الحكومة بحقوقهم المدنية، التي كانوا قد حُرِّموا منها لما يقرب من مئتي عام لمجرد لون بشرتهم، وعلم بأنه سيضطر هو ورفاقه الأمريكيين من أصل إفريقي للعيش لعقود في المناطق نفسها التي كانوا يناضلون فيها آنذاك، من أجل تحقيق هذا الهدف. فلو سَلَّموا أنفسهم إلى مشاعر البُغض ومرارة الاستياء بسبب المعاملة التي كانوا يتلقونها، فسوف يَحْتَدُّ الأمر ويتحوَّل إلى عنف، وهذا من شأنه أن يؤدي ببساطة إلى مزيد من السُّخط والبغضاء في المستقبل. وسوف يؤدي أيضًا إلى بناء جدران الكراهية العنصرية بشكل أعلى من السابق بدلًا من تهديمها. فلا يمكن إنقاذ لا الأمريكيين الإفريقيين — ولا الأمريكيين البيض — من «دوامة الدمار المنحدرة» إلاَّ بالخُفْران لمضطهديهم. فالخُفْران وحده قادر على أن يمضي بنا قُدُمًا إلى مستقبل أكثر إشراقًا. فقد قال مارتن لوثر كينغ:

يجب أن نُنمِّي مقدرتنا على الخُفْران ونحافظ عليها. فالذي تنقصه القابلية على الخُفْران، تنقصه أيضًا القابلية على محبة أخيه الإنسان. ومن المستحيل حتى الشروع في فعل محبة الأعداء دون قبول مُسَبِّق لضرورة مسامحة أولئك الذين

يلحقون بنا الشر والأذى، مرارًا وتكرارًا. ومن الضروري أيضًا أن ندرك أن الغُفران هو فعل يجب أن يبدأه دائمًا الشخص



مارتن لوثر كينغ

الذي تعرض للظلم، أو الضحية التي تعاني من إساءة بالغة، أو الشخص الذي تَلَقَّى ظُلْمًا فظيعةً، أو الشخص الذي تحمَّل بعض أفعال القمع الرهيبة. وربما يطلب الظالمون المغفرة. وربما يعودون إلى رشدهم، ويجتازون بعض الطرق المُغبرة المليئة بالضياح،

كالابن المُبذَّر (الابن الضال)، وقلوبهم تخفق عطشًا للحصول على الغُفران. غير أنه ليس هناك شخص قادر حقًا على سكب مياه الغُفران الدافئة سوى الشخص المجروح، ذلك الأب المُحب الذي ينتظر ابنه في البيت [الأب السماوي].

ولا يعني الغُفران تجاهل ما تمَّ اقترافه أو إعطاء تسمية كاذبة أو زائفة لعمل شرير. وإنما يعني بالأحرى أن الشر لم يَعدْ يُشكِّل حاجزًا أمام العلاقة. فالغُفران هو المُحفِّز الذي يخلق المناخ اللازم لبداية جديدة ولقلب صفحة جديدة ...

ونقول لألَّدَّ خصومنا: «سنباري قدرتكم على تعذيبنا بقدرتنا على تحمُّل المعاناة. وسنقابل قوة العنف بقوة الروح. فافعلوا بنا ما تشاؤون، وسنظلُّ نحبيكم. ولا يمكننا أن نطيع قوانينكم الظالمة بضمير طاهر، لأن رفض التعاون مع الشرِّ



التزام أخلاقي، مثلما أن التعاون مع الخير التزام أخلاقي هو الآخر. وألقوا بنا في السجون، وسَنَظِّلُ نحبكم. وأرسلوا الجُناة ومرتكبي أعمال العنف المُقْبَعِينَ إلى مجتمعنا في منتصف الليل واضربونا واتركونا نصف ميتين، وسَنَظِّلُ نحبكم. أَمَّا أنتم فكونوا متأكدين من أننا سننهيكم بقدرتنا على تحمُّل المعاناة. ففي يوم من الأيام سنفوز بحريتنا، لا من أجلنا فقط. فسناشد قلوبكم وضمايركم بطريقة بحيث إننا سنفوز بكم في هذه العملية، وسيكون انتصارنا انتصارًا مزدوجًا.

**في ربيع عام 1965م،** خرجتُ في مسيرة مع مارتن لوثر كينغ في مدينة ماريون بولاية ألاباما، حيث رأيتُ عن كثب محبته العميقة وتواضعه في مواجهة الظلم الفظيع. فقد كنتُ في زيارة لأصدقاء قدماء في جامعة تسكيجي في تلك الولاية عندما سمعنا خبر موت جيمي لي جاكسون، وهو شاب أُطلق عليه الرصاص قبل ثمانية أيام من ذلك التاريخ، عندما اخترقت قوات الشرطة مظاهرة في إحدى الكنائس في مدينة ماريون. فتجمهرَ في المدينة رجال شرطة الولاية من جميع أنحاء وسط ولاية ألاباما وضربوا المتظاهرين بالهراوات أثناء تدفقهم إلى الشوارع.

وقد وصف المارة في وقت لاحق ذلك المشهد بأنه كان مشهدًا من الفوضى المطلقة حيث حطم المتفرجون البيض كاميرات الصحافة وأطلقوا النار على مصابيح الشوارع، في الوقت الذي كانت قوات الشرطة تهاجم الرجال والنساء بوحشية، واستمر بعضهم في الركوع والصلاة على درجات كنيستهم. وكانت جريمة جيمي أنه اعترض شرطيًا كان يضرب والدته بلا رحمة. وكانت عقوبته أن يُطْلَق النار عليه في معدته وأن يُضْرَب بالهراوة على رأسه لغاية الموت

تقريبًا. وبعد أن رفض المستشفى المحلي إدخاله لتلقي العلاج، نُقل إلى مدينة سلما في ولاية كاليفورنيا، حيث استطاع أن يخبر الصحفيين بقصته. ومات بعد عدة أيام.

وعند سماعنا بخبر موت جيمي، توجَّهنا إلى مدينة سلما على الفور. وكانت معاينة الفقيد في المصلَّى الصغير لكنيسة منطقة براون، حيث كان التابوت مفتوحًا. ومع أن مُتعهِّد الدفن بذل قصارى جهده لتغطية إصابات جيمي، إلَّا أنه لم يستطع إخفاء الجروح التي في رأس جيمي: ثلاث ضربات قاتلة، عرض كل منها بوصة وطولها ثلاث بوصات، الأولى فوق أذنه، والثانية في قاعدة الجمجمة، والثالثة في الجزء العلوي من رأسه.

وحضرنا مراسم الجناز في الكنيسة هناك ونحن مُرتعشون مما شهدناه، حيث كانت المراسم الأولى من بين اثنتين. وكانت القاعة مكتظة بنحو ثلاثة آلاف شخص (وكثيرون غيرهم كانوا يقفون في الخارج)، أمَّا نحن فجلسنا على عتبة النافذة في الخلف. ورغم كل هذا الحشد إلَّا أننا لم نسمع مطلقًا أيَّ نبرة غضب أو انتقام في صلاة الجنازة. بل بالعكس، فقد فاض روح التشجيع من الحاضرين في الكنيسة، وبصفة خاصة عندما رنموا ترنيمة العبيد القديمة: «Aint gonna let nobody turn me round» (أي بمعنى: لن أسمح لأحد بأن يجعلني أراجع).

وذهبنا فيما بعد إلى كنيسة صهيون الميثودية في مدينة ماريون، وكان الجو السائد هناك أكثر هدوءًا بدون أيِّ شكٍّ. غير أن صَفًّا طويلًا من قوات شرطة الولاية كانوا واقفين في شُرْفة دار محكمة المقاطعة الواقعة في الجهة المقابلة للكنيسة، وأيديهم على هراواتهم، ومركزين نظرهم علينا. وكان هؤلاء هم الرجال أنفسهم الذين هاجموا السود في مدينة ماريون منذ مجرد أيام قليلة. أمَّا

حشد البيض المُتَجَمِّعين عند قاعة المدينة القريبة من الكنيسة فلم يكونوا أقل رعبًا. فقد كانوا مُجهَّزين بالنواظير والكاميرات للقيام بمسحنا وتصويرنا نحن الحاضرين في الكنيسة بدقة شديدة لدرجة أننا شعرنا بأنه تَمَّ وضع علامة على كل واحد مِنَّا.

وعند المقبرة، تحدَّث مارتن لوثر كينغ عن الغفران والمحبة. وناشد أفراد شعبه أن يُصلُّوا إلى الله من أجل رجال الشرطة، وأن يغفروا للقاتل، وأن يغفروا لأولئك الذين اضطهدوهم. ثم أمسك بعضنا بأيدي بعض ورَمَّنا ترنيمة «We shall overcome» (أي بمعنى سنفوز). لقد كانت لحظات مؤثِّرة لا تُنسى. فإنَّ كان هناك مكان في العالم له جميع الدواعي للكراهية أو الانتقام، فسيكون هذا المكان. غير أننا لم نحسَّ مطلقًا بأيِّ شيء من هذا القبيل، ولا حتى من جانب والدي جيمي.

كان الذهاب إلى مدينة سلما محفوفًا بالمخاطر. فبعد أربعة أيام فقط من الجنازة، قُوبِلَ المتظاهرون بالغاز المسيل للدموع وهم في طريقهم إلى مدينة مونتغومري عاصمة ولاية ألاباما، وداستهم الشرطة الخيَّالة بأرجل الخيول وضربتهم بلا رحمة. وبعد ذلك بيومين، تعرَّض قسيس أبيض من مدينة بوسطن، واسمه جيمس ريب، للضرب المبرح في مركز مدينة سلما، ومات متأثِّرًا بجراحه بعد يومين فقط. وفي غضون الأسابيع الثلاثة التي تلت، قُتِلَت فيولا ليوزو بطلق ناري، وهي امرأة بيضاء من مدينة ديترويت، عندما كانت تُقَلُّ بسيارتها رجلاً أسود خارجًا من مظاهرة لإيصاله إلى منزله. (لقد فعلنا نحن أيضًا الشيء نفسه تقريبًا قبل أسبوع واحد فقط من ذلك الحادث، عندما أوصلنا ثلاث نساء كُنَّ بحاجة إلى وسيلة مواصلات تُقلهنَّ إلى مدينة ماريون).

وبعد عدة سنوات، تأثرت بشدة عندما قرأتُ عن عمل الغفران الرائع الذي قام به أولاد مدينة سلما في تلك الأيام نفسها من شهري فبراير ومارس 1965م. إذ كان التلاميذ المحليون قد نظموا مسيرة سلمية بعد انتهاء دوام المدرسة، وإذا بمأمور المدينة كلارك السيئ السمعة يصل. فبدأ مع رجاله في دفع التلاميذ ونخسهم بالعصي، وسرعان ما أخذ الأولاد يركضون. فاعتقد الأولاد والبنات في البداية أن رجال كلارك كانوا يسرون بهم إلى مركز توقيف البلدية لحجزهم، ولكن سرعان ما أصبح واضحاً لهم بأنهم كانوا متجهين إلى معسكر السجن الواقع في خارج المدينة بمسافة خمسة أميال تقريباً. ولم يهدأ رجال الشرطة إلا بعد أن أخذ الأولاد بالتقيؤ. غير أن الشرطة زعمت لاحقاً أنها لم تكن تريد سوى أن تُنهِك «حُمى المظاهرات» في مدينة سلما للتخلص منها للأبد.

بعد أيام قليلة من هذا الحادث، نُقل المأمور كلارك إلى المستشفى بسبب آلام في الصدر. والأمر الذي لا يمكن تصديقه هو أن أولاد المدارس في سلما نظموا مسيرة ثانية خارج دار المحكمة، ولكنهم قاموا هذه المرة بترتيل الصلوات من أجل هذا المأمور ورفع لافتات تدعو له بالشفاء العاجل.

**وروبرت كولس Robert Coles**، وهو طبيب نفساني للأطفال ومشهور في أمريكا، قد لاحظ موقف التسامح العجيب نفسه لدى الأولاد عندما عمل في مستشفى مدينة نيو أورلينز بولاية لويزيانا في عام 1960م. فقد عارض الأهالي البيض علناً قرار المحكمة الفيدرالية الخاص بإلزام مدارس المدن بإنهاء الفصل العنصري فيها، ولم يكتفوا بسحب أولادهم من أي مدرسة تسمح بوجود طالب أسود

فيها فحسب بل صاروا أيضًا يعتصمون أمام المدارس لمنعهم من الدخول إليها.

**أَمَّا الفتاة روبي بريدجز Ruby Bridges**، في السادسة من عمرها، فكانت الفتاة الأمريكية من أصل إفريقي الوحيدة في مدرستها، وهذا معناه أنها كانت أيضًا الطالبة الوحيدة في تلك المدرسة لمدة من الوقت. وكان لابد من حمايتها لعدة أسابيع من قبل ضباط شرطة فيدراليين أثناء ذهابها يوميًا إلى المدرسة. وفي ذات يوم، رأتها المعلمة وهي تُتمِّم بكلماتٍ حين كانت تعبر صفوف الآباء البيض الغاضبين وهم يرمونها بالشتائم والهتافات العنصرية. وعندما ذكرت المعلمة ذلك أمام الطبيب روبرت كولس انتابه الفضول قائلاً: «ما الذي كانت تقوله؟»

فلما سأل الطبيب روبرت الفتاة روبي عما كانت تقوله أجابت أنها كانت تُصَلِّي من أجل الآباء البيض. فاندesh روبرت. وسألها باستغراب: «ولماذا تُصَلِّين من أجلهم؟» فأجابت: «لأنهم بحاجة لِمَنْ يُصَلِّي من أجلهم». فقد كانت الفتاة روبي قد سمعت ذات مرة في الكنيسة كلمات يسوع المسيح وهو يموت على الصليب قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»، فأثرت كلماته فيها. فرأى الطبيب روبرت في الفتاة روبي، وفي الأطفال من أمثالها، أنهم بذور للولادة الجديدة للبلاد.

**وحاشا لغفراننا للآخرين أن يجعلنا ضعفاء** أو ننجرح معنويًا بسهولة، إذ إنه يُقَوِّي حياتنا وعملنا وجهودنا. فهو يثمر لجميع الأطراف نهاية إنسانية حقيقية لأصعب المواقف، لأنه يتيح لنا أن نطرح عَنَّا متاهات مجازاة الشرِّ بالشرِّ، ومنطق العدالة بالمنظور البشري، ويتيح لقلوبنا

أيضاً أن تحيا السلام الحقيقي. والأكثر من ذلك، فإنه يثير سلسلة من ردود الأفعال الإيجابية التي تأتي بثمار غُفراننا التي حصدناها إلى الآخرين أيضاً وتفيدهم وتباركهم.

## أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضَيْكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لِأَنَّهُ إِنْ أَحَبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيَّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعُشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعُشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.

قَوْلٌ مِنْ

السيد المسيح

(متى 5: 44-48)

**جيمس كريستensen James Christensen** وهو من أحد معارفي في روما الذي هو رئيس دير الترابيين هناك «Trappist monastery» (وهي إحدى الحركات الرهبانية)، سمعتُ منه مؤخرًا قصة رائعة عن الغفران قبل حدوث واقعة مروعة لهم. ففي عام 1996م اختطفت مجموعة إسلامية متطرفة في الجزائر — الجماعة الإسلامية المسلحة G.I.A — سبعة من زملاء جيمس الرهبان في جبال الأطلس

بالجزائر، وهددتُ باحتجازهم رهائن حتى تفرج فرنسا عن العديد من مواطنيها المسجونين. وعندما رفضت الحكومة الفرنسية مطلبهم، نَحَرْتُ تلك الجماعة أعناق الرهبان.

ارتعبتُ فرنسا كلها نتيجة لذلك، ودقَّت في آن واحد نواقيس كل كنيسة من كنائس فرنسا الكاثوليكية البالغ عددها 40000 كنيسة تخليدًا لذكرى الرهبان. إلا أن ما أثارَ فعلاً في من هذه المأساة كان شيئاً مختلفاً تماماً، حيث وقعتُ ظلاله بهدوء قبل عامين من تلك الحادثة.

**لقد كان كريستيان دو تشرجي Christian de Chergé** رئيس دير الرهبان الترابيين للفرع الجزائري، وكان قد هجس قبل المذبحة الجزائرية بهاجس غريب أنه سيموت ميتة شنيعة. وكتب رسالة يغفر فيها لمغتاليه الذين سيغتالونه مستقبلاً. وختم الرسالة وتركها مع والدته في فرنسا. ولم تُكتشف هذه الرسالة إلا بعد مقتله، وفيما يلي جزء منها:

لو حصلتُ الواقعة في يوم من الأيام — وربما اليوم — وأصبح أنا ضحية للإرهاب الذي يبدو أنه يشمل كل الأجانب الذين يعيشون في الجزائر، فأودُّ أن يتذكَّر كُلُّ من المجتمع الذي أعيش فيه وكنيستي وأسرتي أن حياتي قد قدَّمْتُها لله وللجزائر؛ وأودُّ أن يقبلوا بأن الرب الوحيد لكل الحياة لم يكن غافلاً عن هذا الرحيل الفظيع.

وعندما يحين ذلك الوقت أودُّ أن تتاح لي الفرصة لكي أسأل الله الغُفران لي ولإخواني البشر، وفي الوقت نفسه أن أغفر من كل قلبي للشخص الذي سيقتلني.



فأنا لم أكن راغبًا في ميتة كهذه؛ ويبدو لي أنه من الضروري أن أذكر ذلك — فكيف لي أن أبتهج إذا كان الجزائريون الذين أحبهم قد أُتِّهِموا جُزَافًا بقتلي؟  
وأشكر الله على حياتي التي سأفقدوها. وفي شكري هذا، الذي أقدمه لكل شيء يحدث في حياتي من الآن فصاعدًا، فأنا بالتأكيد ... أودُّ أن أشم لك هنا في صلاتي يا صديق لحظاتي الأخيرة الذي لم تعرف سابقًا ما تفعله الآن ... وأُسَلِّمُكَ لرعاية الله الذي أرى وجهك في وجهه. وَلَعَلَّ بعضنا يجد بعضًا في الفردوس، يا أيها «الصوص الطيبين» الفرحين، إن كان ذلك يرضي الله، الذي هو أبونا لنا كلنا، لي ولكم.



كريستيان دو تشرجي

من الواضح أن رئيس الدير هذا وإخوته الرهبان لم يكونوا مجرد رجال شجعان من الذين قبلوا بموتهم. فكان هناك الكثير من أمثالهم. إلّا أن هؤلاء الرجال امتلأوا بروح التواضع النادر والمحبة الغفورة بحيث لا يمكن وصف هذا الروح إلّا بأنه شبيه بروح المسيح.

**تحتاج إسرائيل وفلسطين إلى المصالحة** بقدر ما تحتاج إليها بعض الأماكن الأخرى في هذه الأرض. ففي عام 1988م سافرت في أول مرة لي إلى تلك الأرض التي مزقتها الحروب، حيث التقيت إلياس شقور، وهو أسقف ملكي (من طائفة الملكيين الكاثوليكين)

وناشط فلسطيني عمل لسنوات طويلة بلا كلل من أجل السلام. واستمرت صداقتنا حتى هذا اليوم، وقد زار إلياس مجتمعاتنا المسيحية برودرهوف مرتين.

ويمكن أن يتوقع الكثيرون أن إلياس له ما يبرره لكي يمتلئ صدره بهرارة الاستياء والحقد. فهو «إنسان بلا وطن» منذ أن دُمِّرَتْ

قريته في عام 1947م، وسُجِنَ أكثر من مرة وتحمل سنوات من المضايقات والمعاملة الوحشية على أيدي الحكومة الإسرائيلية. ومع ذلك، فإنَّ إلياس هو واحد من الناس الذين أعرفهم الممتلئين بأكثر المحبة والتواضع والرحمة. فمع أنه فلسطيني نازح إلا أنه ملتزم بفكرة «أن اليهود يستحقون وطنًا، لا لأنهم



إلياس شقور

يهود، بل لأنهم بشر.» وفي زيارته الأخيرة لمجتمعنا المسيحي في بريطانيا، ذكّرنا بنقطة هامة قائلاً:

إذا كان قلبي مليئًا بالغُفران لليهود، والصهاينة، والجنود الذي كسروا عظام أخي وسجنوا والدي — فعندئذ يمكنني الذهاب إلى ذلك اليهودي وإخباره بالحقيقة وجهًا لوجه، وسيشعر بأنني أحبه، حتى لو كرهتُ ظلمه ... فأنا أُفضِّل دعوته للاهتمام على تغيير الأدوار واضطهاده، لئلا أصبح أنا الظالم — حاشا!

**ونعيم عتيق الكاهن الفلسطيني المعروف** من كاتدرائية القديس جورج في القدس، له وجهة نظر مماثلة. فقد تَعَلَّمَ الْغُفْران من والده الذي خسر كل شيء بسبب الجيش الإسرائيلي في عام 1948م. فيقول:



نعيم عتيق

عندما يكره الناس  
غيرهم، تبتلعهم قوة  
الكرهية وتستهلكهم  
استهلاكاً كاملاً... لذلك،  
فإنَّ نصيحتي لأخي  
الإنسان هي كالآتي:  
وَاصِلْ مصارعة مشاعر  
الكرهية والاستياء.  
فأحياناً تكون لك القوة  
والنفوذ، وأحياناً تشعر  
بأنك مهزوم. ولا تدع

أبداً الكراهية تتغلب عليك كُلياً، رغم أن الأمر صعب  
للغاية...

ولا تتوقف أبداً عن سعيك لأن تحيا وصية المحبة  
والْغُفْران. ولا تخفف من قوة رسالة يسوع المسيح: فلا  
تُعْرِض عنها، ولا ترفضها وكأنها غير واقعية وغير عملية. ولا  
تُنْقِص منها بحسب ما ترتأي، في محاولة لجعلها أكثر مناسبة  
للحياة اليومية في العالم. ولا تُغَيِّرْها من أجل أن تناسبك.  
فاحفظها كما هي، وتطلَّعْ إليها، وتشوِّقْ إليها، واعمل مع  
الله من أجل تحقيقها.

**وبشارة عوض مجروح المشاعر بسبب نصيبه من الظلم** مثل الكثيرين في جهتي الصراع العربي - الإسرائيلي. وهو أيضًا من أحد معارفي الفلسطينيين. وأخبرني مؤخرًا عن صراعه الروحي طوال حياته مع موضوع المسامحة، فقال:

في عام 1948م مات آلاف الفلسطينيين في الحرب الفظيعة التي قامت بين العرب والمستوطنين اليهود وتشرّد عدد أكبر من هذا. ولم تسلم عائلتنا من هذه الحرب. فقد قُتل والدي برصاصة طائشة، ولم يكن هناك مكان دفن لائق. فالجميع كانوا يخشون مغادرة المنطقة خوفًا من أن يصيبهم الرمي من كلا الجانبين؛ ولم يكن هناك لا كاهن ولا قسيس ليصلي. لذلك قرأت لنا الوالدة من الكتاب المقدس، والرجال الذين كانوا موجودين هناك دفنوا والدي في ساحة الدار. فلم يكن من الممكن أن يأخذوه إلى المقبرة العادية في المدينة.

وهكذا أصبحت الوالدة أرملة في سن التاسعة والعشرين، وتركتها الحادثة مع سبعة أطفال. ولم يكن عمري آنذاك سوى تسع سنوات. وقد علّقنا لأسابيع في مرمى النيران ولم نتمكن من مغادرة غرفة السرداب. ثم أجبرنا الجيش الأردني ذات ليلة على الهروب إلى البلدة القديمة. وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي رأيتُ فيها منزلنا وأثاثنا. وهربنا ولم نأخذ أيّ شيء معنا سوى الملابس التي على ظهورنا، حتى أن بعضنا لم يكن مرتدياً سوى البيجامة ...

وكُنّا لاجئين في المدينة القديمة. فتم وضعنا في غرفة تخزين الكيوسين التي لم يوجد فيها أيّ أثاث. وأعطينا أسرة مسلمة بعض البطانيات وشيئًا من الطعام. لقد كانت الحياة

صعبة جدًا؛ وما أزال أتذكر الليالي التي كنّا نذهب فيها للنوم بلا أكل.

كانت الوالدة قد درست التمريض، فحصلت على وظيفة في مستشفى مقابل 25 دولارًا في الشهر. وكانت تعمل



بشارة عوض

ليلاً وتواصل دراستها نهارًا، وقد وضعونا نحن الأطفال في دور الأيتام. وقبلت مدرسة إسلامية أخواتي البنات، أمّا نحن الصبيان فقد وُضِعْنَا في منزل تديره سيدة بريطانية. وكان هذا كارثة حقيقية بالنسبة إليّ. لأنني، أولاً، فقدت والدي، والآن أصبحت بعيداً عن والدي وأسرّي.

وكان مسموح لنا بزيارة المنزل مرة في الشهر، ولكننا من ناحية أخرى بقينا في منزل الصبيان لمدة اثني عشر عامًا. فها أنا وشقيقي وثمانون ولدًا آخر هنا في منزل الصبيان هذا حيث استمرت معاناتي. ولم يكن لدينا ما يكفي من الطعام. وكان الطعام سيئًا والمعاملة قاسية.

ذهب بشارة عندما بلغ سنّ الرشد إلى الجامعة في الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح مواطنًا أمريكيًا. وعاد لاحقًا إلى إسرائيل وعمل معلمًا في مدرسة مسيحية. وعندما يتذكر السنين السابقة يقول:

في تلك السنة الأولى من وظيفتي شعرتُ بالإحباط الشديد. فلم أنجز الكثير، وشعرتُ بالهزيمة ... إذ كانت هناك كراهية متزايدة لليهود الظالمين: فقد كان كل تلاميذي فلسطينيين، وجميعهم عانوا بالطريقة نفسها التي عانيتُ بها ... ولم أتمكن من مساعدة تلاميذي بسبب مشاعر الكراهية نفسها التي كانت فيَّ أيضًا. فقد آويتُها في نفسي منذ طفولتي حتى من دون أن أدرك ذلك.

وفي تلك الليلة صليتُ إلى الله بدموع. وسألتُه المغفرة للكراهية التي أكنُّها لليهود والمغفرة لسماحي للكراهية بأن تسيطر على حياتي. فأخذ الله مني في تلك الليلة مشاعر الإحباط والكراهية واليأس ووضع محلها المحبة.

**لقد أصبح عز الدين أبو العيش معروفًا** لدى الكثيرين بفضل قصته التي تتسم بروح المغفرة والتسامح لقتلة بناته الثلاثة وبنت أخيه في حرب غزة عام 2008 - 2009م بين الإسرائيليين والفلسطينيين. فهو يؤمن إيمانًا وجدانيًا بضرورة التعايش السلمي بين الناس، ولاسيما بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وأيضًا الاحترام المتبادل، بل حتى محبة بعضهم لبعض. ويؤمن أن حلَّ القضية الفلسطينية يكمن في السلام والمصالحة بين الطرفين، لأنه يرى أن الناس لا يختلف بعضهم عن بعض؛ فجميعهم لديهم قلب نابض ورغبة في السلام، على خلاف ما يراه على الصعيد السياسي.

وقد عمل عز الدين طبيبًا لأمراض العقم في مستشفى إسرائيلي، وأيضًا باحثًا طبيًا، وهو أول طبيب عربي من غزة يعمل في مستشفى إسرائيلي، حيث كان يعالج مرضاه من فلسطينيين وإسرائيليين بغض النظر عن هويتهم. ولذلك كان لديه الكثير من زملاء



عز الدين أبو العيش

العمل والأصدقاء والمعارف في إسرائيل، والكثير من هذه العلاقات كانت حميمة للغاية. ثم إنه قد حصل على شهادات طبية متخصصة من جامعات دولية معروفة.

ويعرف عز الدين جيداً معنى المعاناة، لأنه قاسى كثيراً، هو وأهله، مما أفرزته أحداث عام 1948م عند تأسيس دولة إسرائيل. وكانت طفولته صعبة للغاية، وعانى من الحرمان والظروف

المعيشية القاسية جداً وبشكل غير معقول. وقد اشتغل أشغالاً شاقة ومختلفة، وهو في عزِّ صباه. غير أنَّ كل هذه الحياة القاسية خلقت في داخله تصميمًا وعزمًا وطموحًا وسعيًا لمستقبل أفضل له ولشعبه. ويمكن قراءة قصة حياته الكاملة في كتابه بالعربية «لن أكره» وبالإنجليزية «I Shall not Hate» وقد حاز عز الدين أبو العيش على جوائز دولية تقديرية كثيرة. وهو يقوم حالياً بترويج السلام والمصالحة هو وأولاده وبناته. وقد أسس مؤسسة «Daughters for Life Foundation» إحياء لذكرى بناته الثلاث، حيث تقدم هذه المؤسسة المنح الدراسية لتشجيع الشابات لمتابعة دراساتهم في جامعات فلسطين وإسرائيل ولبنان والأردن ومصر وسوريا.

ولم يأتِ قراره بمسامحة اليهود بهذه السهولة. فقد صارع داخلياً في نفسه في هذا الموضوع، إذ كانت أصوات كثيرة تدعوه

إلى الانتقام والأخذ بالثأر، ولكن كان هناك صوت آخر يدعو إلى التسامح وعدم إراقة الدماء وكسر دوامة الشرّ والانتقام، وكان ذلك الصوت هو صوت ضميره. فكان يتساءل مِمَّنْ سيأخذ الثأر، يأخذه من أولئك الأطفال الإسرائيليين الأبرياء الذين كان يساعدهم على أن يولدوا؟ أم من أمهاتهم؟ أم من تلك الأسرة اليهودية التي قدّمت له عملاً أثناء صباه؟ أم من أصدقائه الإسرائيليين؟ أم من زملاء عمله في المستشفى في إسرائيل؟ أم من أصدقائه من دعاة السلام اليهود؟ وقد استضافته إحدى مدارس كنيستنا في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2014م ليتحدّث إلى طلاب الثانوية عن تجاربه في الحياة، وعن طموحاته وأمنيّاته للآخرين. وهو مليء بالحماسة والإيمان بقدرة الإنسان على تغيير الأوضاع من حوله. وبالرغم من أن دموعه كانت تسيل أثناء إلقائه الخطاب على الطلاب بسبب عذابه القلبي ولوعته وحزنه على فقدانه لبناته الثلاث، وبالرغم من الحرمان الذي لاقاه في طفولته وشبابه وهو يتعرّع في مخيم جباليا في غزة، إلّا أننا رأينا أنه لم يسلم نفسه إلى فخ الكراهية وجنونها وتهوُّرها، رافضاً أن يقع في براثن الأحقاد المريضة. فلم يدعها تستولي عليه، بل نشل نفسه منها، واختار طريق السلام والمسامحة والمصالحة والكرامة الإنسانية. لأنه يعلم أن روح الانتقام والعنف لا تنتمي إلى الروح الإنسانية الأصيلة، بل هي دخيلة عليه، ولا تفرز سوى الخراب والموت. وهو لا يريد أن يعيش وفقاً لها بل وفقاً لروح الحياة.

وهنا نتذكر كلام السيد المسيح وهو على الصليب عندما صلّى إلى أبيه السماوي من أجل قاتليه، قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأنهم لا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.» (لوقا 23: 34) وهو يؤكد على أن إيمانه بالله ودينه الإسلامي هو الذي يُقوِّيه على المضي في طريق السلام والغفران والمسامحة.



**ومن الملفت للنظر أن قصة عز الدين أبو العيش** تشبه قصة يوسف بن العازر في كتابه «مسيرتي في البحث» وبالإنجليزية «My Search» الذي ينحدر من خلفية يهودية، وتشبه قصة إلياس شقور الفلسطيني المسيحي في كتابه «أخوة الدم» وبالإنجليزية «Blood Brothers». فزى أن هؤلاء الثلاثة، مسلم ويهودي ومسيحي، عانوا الأمرين من جراء أحداث زمان الحرب العالمية الثانية وأحداث عام 1948م، وما خلفته من أحداث وحروب ومآسي. وقصصهم تُقطّع القلب. إلا أنهم لم يسلّموا أنفسهم للبُغض والكراهية والعنف بل اختاروا طريق الغفران والسلام والمصالحة والمؤاخاة.

**في المجتمع الذي يشدّد على حماية وصيانة الذات** من أيّ أذى، وعلى تشجيع النزعة الفردانية، فإنّ أعمال المغفرة يجري تجنبها، إنّ لم تكن مُحترقة. حتى إنها يُنظر إليها ضعفاً؛ إذ إنّنا تعلمنا في مجتمعات البلاد على أن نطالب بحقوقنا ونحميها، لا أن نتنازل عنها.

**غير أنّ رجا شحادة، المحامي الفلسطيني لحقوق الإنسان،** يُفند كل هذا ويجادل في أن يسوع المسيح قلبَ هذا المنطق رأساً على عقب عندما دعا الناس إلى الغفران لأعدائهم. فيقول:

تحمل ممارسة الغفران الكثير من القوة. فعندما يملك المرء الوسيلة والقدرة على أن يغفر للآخرين، فهذا تأكيد على كرامته الإنسانية ... وربما يكون من الصعب فهم ذلك، ولكن لو تكلمنا بصورة جادة، فأنا أعتقد أنه لو أردنا أن يحلّ السلام هنا، فلا بد من وجود الغفران ... فيجب أن نغفر للإسرائيليين ما فعلوه بنا.

**مريم بهنام، فتاة عراقية مسيحية بعمر 10 سنوات، غفرت لداعش (تنظيم الدولة الإسلامية) ولكل ما عملوه بها وبأسرتها،**



مريم بهنام

وطلبت الصلاة لأجلهم. فقد صارت أسرتها من النازحين في العراق، لأن داعش هجم على بلدتهم المسيحية قره قوش، الواقعة في سهل نينوى، في عام 2014م، وأخرجوهم من بيوتهم، وسيطروا على البلدة، مما اضطرت أسرتها إلى الفرار إلى مدينة أربيل، لتعيش في معسكر اللاجئين هناك، تاركة ورائها جميع أموالها وأملاتها.

وقد تناقلت وسائل الإعلام خبر غفران مريم لداعش، على اعتباره خبراً مفاجئاً، وغير مألوف. فكان قلبها البريء المفعم بالمحبة والطفولة وبمحبة يسوع المسيح، يطفح غُفراناً للذين أخرجوها من بيتها. وتقول إنَّ الله لا يحبها هي وحدها فحسب، بل يحب أيضاً جميع الناس. وهو يحب الأشرار أيضاً، ولكنه يكره الشيطان. وكانت ممنونة لله لأنه حماهم، وأوعزت شكرها إلى أن: «الله أحبنا، ولم يقبل أن يدع داعش يقتلنا.»

كان ذلك في حديث لها مع الصحفي عصام ناجي من القناة الفضائية سات 7. ثم سألتها الصحفي:

- ما إحساسك نحو أولئك الذين أخرجوك من بلدتك وسببوا لك كل هذه المتاعب؟

- لن أفعل لهم أيَّ شيء، لكن أسأل الله أن يسامحهم.
- أتقدرين على أن تسامحيهم أنت أيضاً؟
- نعم.
- ولكن مسامحة الذين يضطهدوننا أمر صعب للغاية، أو، هل هو سهل؟
- لن أقتلهم، فلماذا أقتلهم؟ فأنا مجرد زعلانة من إخراجهم لنا من بيتنا.

ثم قالت إنها تفتقد صديقاتها في المدرسة. وسألها الصحفي:

- ألا تُحسِّين في بعض المرات بأن يسوع تخلَّى عنكِ وترككِ؟
- لا، لكنني أبكي أحياناً على بيتنا وعلى قره قوش. غير أنني لست زعلانة من الله، لأننا تركنا قره قوش. بل أشكره لأنه سترنا، وجاء بنا إلى هنا، حتى لو كُنَّا نعاني هنا، ولكن الحمد لله الذي أنقذنا.
- أنتِ علمتني أشياء كثيرة.
- شكراً وأنتِ أيضاً علمتني.
- ماذا علمتُكِ أنا؟
- يعني أنتِ لم تعلمني، لكنكِ أحسستِ بمشاعري. نعم أحسستِ بمشاعري. لأنه كان عندي مشاعر، وأريد من الناس أن يعرفوا ما مشاعر الأطفال هنا في معسكر اللاجئين وفي هذه الظروف.

ثم تساءل الصحفي فيما إذا كانت تعرف بعض الترانيم،  
فقالت: «نعم، أعرف الكثير.» فطلب منها أن تُرَنِّم ترنيمتها المفضلة.  
فأخذت تُرَنِّم هذه الترنيمة:

ما أبهج اليوم الذي	آمنتُ فيه بالمسيح
أضحى سروري كاملاً	ورنَّ صوتي بالمديح

حبي لفاديّ المجيد	يومًا فيومًا سيزيد
عمرٌ جديد يومٌ سعيد	يومٌ اتحادي بالحبيب

بجاذبِ الحب أتى	فيا لحبِّ فائقٍ
ورَدَّنِي إلى الهدى	بفضل عهدٍ صادقٍ

حبي لفاديّ المجيد	يومًا فيومًا سيزيد
عمرٌ جديد يومٌ سعيد	يومٌ اتحادي بالحبيب

نرى هنا مدى حاجتنا إلى أن نتعلم من الأطفال البراءة والمحبة  
والغُفران. لقد قال يسوع المسيح:

الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ  
تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. (متى 18: 3)

## الْغُفْرَانُ وَالْعَدَالَةُ

الحَقُّ بِلاَ مَحَبَّةٍ يَقْتُلُ، وَالْمَحَبَّةُ بِلاَ حَقٍّ كِذْبٌ.

قَوْلٌ مِنْ

ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold

لاهوتي ألماني تأسست على يده مجتمعات برودرهوف المسيحية Bruderhof

**يُوئيل دوركام Joel Dorkam**، وهو صديق عزيز من كيبوتس «تسوبا» في إسرائيل،<sup>[3]</sup> كان قد شهد عذاب وصعوبات مماثلة من نواح كثيرة لتلك التي مرَّ بها كُلٌّ من هيلا ويوسف اللذين تناولنا قصتيهما في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ولكنه يعطينا وجهة نظر مختلفة نوعاً ما. إذ إنَّ يوئيل يقرُّ بالحاجة إلى الغُفْران المتبادل والثقة المتبادلة في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني في عصرنا الحديث، وباعتباره يهودياً فقد تحمَّل المخاطر لكي يقيم علاقات صداقة دائمة مع ناس ألمانين عاديين. إلَّا أنَّ العذاب يتملَّكه حين يفكر في الغُفْران للنازيين الذين دمَّروا طفولته وذبحوا أبناء شعبه من اليهود. وتثير قصته سؤالاً قديماً للغاية الذي طرحته أجيال من الرجال والنساء من

---

[3] كيبوتس هو مجمع يهودي سكني وتعاوني، متقاسم في العمل ومصاريف المعيشة الرئيسية، وهناك الكثير من الكيبوتسات في إسرائيل.

الذين عانوا على مدار تاريخ البشرية، وهذا السؤال هو: ألا توجد حدود للغفران؟ فلنسمعه يحكي لنا عن تجاربه:

وُلِدْتُ في مدينة كاسل بألمانيا عام 1929م، وهو العام المصري لانتهاء المالي والاقتصادي الذي كان له تأثير حاسم على الشؤون العالمية، وكان له دور فعال في وصول النازيين إلى السلطة في ألمانيا. وكان والدي يعمل صحفياً؛ والوالدة معلمة. وكانت أسرتنا ميسورة الحال، وكُنَّا نعيش حياة سعيدة، حتى بدأت سُحْب الفاشية بالتراكم.

لم يأخذ الوالد النازيين بجديّة في البداية، مثل العديد من اليهود في جميع أنحاء البلاد. فكيف يمكن أن يقع الألمان المثقّفون ذوو الأساس الراسخ في هذا الهراء؟ إلّا أنه عندما أصبح هتلر مستشاراً ورئيس الحكومة نصّح بعض الأصدقاء الخيّرين والديّ بمغادرة ألمانيا.

لذا وَدَّعَ والدي وطنه الحبيب، حيث ولد وترعرع، وحارب من أجله في الحرب العالمية الأولى. ثم لحقناه أنا والوالدة بعد فترة وجيزة، وجُمِع شملنا في مدينة ستراسبورغ الفرنسية. ولم نأخذ معنا سوى القليل من ممتلكاتنا. وكانت هذه نهاية أسلوب حياتنا الطبيعية التي كُنَّا معتادين عليها؛ فأصبحنا يهوداً بلا مأوى، ومشردين، وبلا جنسية، وبلا حقوق.

وبالنسبة إليّ آنذاك، طفل في الثالثة من عمري ومليء بحب الاستطلاع، فقد كانت تلك الفترة مثيرة عندي. فقد تعلمتُ بسرعة عادات جديدة، ولغة جديدة، وكوَّنتُ علاقات صداقة جديدة. ولكن بعد مرور عام، اضطررنا إلى الانتقال

مرة أخرى؛ فكانوا يعتبروننا نحن اللاجئين الألمانين خطرًا آمنًا في المناطق الحدودية. فذهبنا إلى قرية في جبال الفوج الفرنسية — وكان هذا تغييرًا جديدًا آخر. وكان على والديّ تعلّم مهن جديدة ولغة جديدة، للتكيّف مع ثقافة وتقاليد مختلفة تمامًا، والاستغناء عن معظم وسائل الراحة في النمط السابق لحياتهما — ولكن قبل كل ذلك، كان على والديّ كسب لقمة العيش في ظروف صعبة ...

وبعد مرور عام، احترق المصنع الذي كانت والديّ تعمل فيه، الأمر الذي استلزم انتقالًا آخر، هذه المرة إلى مدينة مارسيليا الفرنسية الكبيرة. وهناك أيضًا، حاول والديّ مرة أخرى كسب رزقهما بِشَقِّ الأنفُسِ، وكانت حياتنا غير مستقرة إلى حدٍّ ما. فكثيرًا ما كُنَّا نُغَيِّرُ الشقق، مما يعني أنني كنتُ مضطرًا في أغلب الأحيان لأن أُغَيِّرَ المدرسة والأصدقاء. فلم تُتَحَ لي الفرصة مطلقًا لتكوين علاقات دائمة ...

ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية، وتحطّم كل شيء. فأصبحتُ غريبًا مرة أخرى، بل أجنبيًا أيضًا ... وغزا الجيش الألماني فرنسا واحتلها، وسرعان ما قام البوليس السري الألماني «الجيستابو» بحملة من الاعتقالات ... وتمت مصادرة شقتنا ومصلحة عمل والديّ، ولكننا اختبأنا بفضل مساعدة أصدقائنا الفرنسيين.

وأخيرًا قرر والديّ أن الأمل الوحيد في نجاتنا يكمن في الهروب عبر الحدود إلى إسبانيا. وفي ذلك الوقت، كان والدي يتعافى لتوه من نوبة التهاب المفاصل، إلّا أنه اضطر إلى السير عبر جبال البرانس متكئًا على عكازين، وأحيانًا كان المُهَرَّب يحملُه على ظهره ...

وبعد المشي لمدة ثلاثة أيام عبر الجبال المغطاة بالثلوج، وتوسّلات والدي المتكررة لنا بأن نتركه ونمضي نحن في طريقنا، رأنا الحرس المدني الإسباني (شرطة الحدود) وألقوا القبض علينا. ولحسن الحظ سمحوا لنا بالمرور — كما فعلوا مع ما يقرب من 10000 يهودي آخر عبروا الحدود بشكل غير قانوني إلى إسبانيا. فلو أعادونا إلى فرنسا، لكان ذلك معناه موت مؤكّد ...

وبحسب ما كانت الظروف عليه هناك، فقد تفرّقنا في مركز شرطة مدينة جيرونة الإسبانية. فأُرسل والدي إلى معسكر مدينة ميراندا ديل إيبرو، ووالدي إلى السجن المحلي. وتركوني وحدي. فقضيتُ أسوأ ليلة في حياتي وحيداً متجمداً في زنزانه، مُعتقداً أنني فقدتُ والديّ للأبد. وفي اليوم التالي، أنتهى بي الأمر إلى دار أيتام جيرونة، التي لم تفعل الكثير لتحسين حالتي النفسيّة. وهناك بلغتُ سنّ الثالثة عشرة، (وهي السنّ التي يجري فيها قبول الذكور اليهود بشكل احتفالي ووقور إلى كنيسة الجماعة المؤمنة بِطَقْسٍ يسمى بارِمتسفا) — ففاتتني مراسم هذا الطقس.

وشملني كاهن طيب القلب برعايته، وكان يواسيني في أصعب ساعات حياتي هناك. وقد ساعدني أيضاً في تهريب بعض المال الذي كنتُ قد خبأته معي منذ خروجنا من فرنسا لتوصيله إلى زنزانه أُمي في السجن، حيث كانت مريضة جداً بمرض الزحار (إسهال شديد)، وغير قادرة على شراء طعام صحي كافٍ. وربما أنقذ هذا المال حياتها.

وبعد بضعة أشهر أُرسلتُ للانضمام إلى والدي، ونُقلنا معاً إلى سجن النساء في مدينة مدريد. وكنتُ على الأرجح



الذكر الوحيد في ذلك المكان، وكان على والدتي أن تراقبني وتسهر على حمايتي. وكانت لدينا زنزانة منفصلة، في حين كانت تُحتَجَز معظم السجينات الأخريات في عنابر كبيرة تتسع من عشرين إلى ثلاثين سريراً. وكُنَّا نَنُصَمُّ إلى النساء في أثناء النهار في تلك الردهات الكبيرة، ثم نمشي عائدين إلى زنزانتنا الخاصة في المساء، وكُنَّا نَمُرُّ بزنزانات الموت حيث تنتظر النساء حُكْم الإعدام. وكُنَّا نسمع طلقات الرصاص في الليل.

وبعد أيام جُمِعَ شمل الأسرة بأكملها في مدريد. وقامت لجنة الخدمات الاجتماعية اليهودية المشتركة بسدّ نفقات معيشتنا، ولكن جاء وقت كان علينا أن نختار المكان التالي الذي سنهاجر إليه، وفضّلنا الهجرة إلى فلسطين على الهجرة إلى أيّ مكان آخر.

كان ذلك في عام 1944م، عند اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية. وكانت الظروف في البلد الجديد فلسطين صعبة للغاية. فتقاسمنا السكن مع أسرة عمتي في شقة صغيرة، والتحقّت بمدرسة مهنية في كيبوتس ياغور وأصبحتُ مُصلِحًا ميكانيكيًا للسيارات. وقد بُنِيَتْ هذه المدرسة للأولاد اليهود الألمانين الذين تم إنقاذهم من أوروبا، ولكني عندما وصلتُ إلى هناك، لم يبقَ أطفال لإنقاذهم. لذلك كان معظم التلاميذ محليين ومن الذين يطلق عليهم تسمية سابرا (أي المولودون في إسرائيل)، أمّا أنا فكنْتُ غريبًا ومختلفًا عنهم هنا أيضًا — بخلفيتي اليهودية المندمجة بالألمانية، وبدراية ضئيلة بالعادات والتقاليد اليهودية ...

وبدأتُ شيئًا فشيئًا أشعر بالارتياح في البلد الجديد، وفي الكيبوتس. وكوّنتُ صداقات وشاركتُ في أنشطة مختلفة، مثل حصاد العنب والذرة خلال العطل الصيفية. ومع ذلك، لم يَعدُ من الممكن تحقيق الكثير من طموحاتي الشخصية والمهنية والاجتماعية؛ فقد كان هناك الكثير من الثغرات في تعليمي. وكان الأمر نفسه بالنسبة إلى والديّ. فقد علّمتُ والدي نفسيها تدريجيًا اللغة العبرية ووجدتُ عملاً في مدرسة زراعية قريبة، ولكن والدي لم يُتقن اللغة الجديدة مطلقًا.

وبمجرد انتهاء الحرب العالمية، عادت الحياة إلى طبيعتها إلى حدٍّ ما. وأنهيتُ دراستي وأصبحتُ عضوًا في منظمة هاجاناه السريّة، وقاتلتُ في حرب التحرير، ثم انضمتُ إلى كيبوتس «تسوفا» قرب أورشليم مع زوجة المستقبل سارة ذات الشعر الأحمر، وهي سابرا إسرائيلية المولد. وقد قدّمتُ نذرًا لله بأن لا أتنقّل بعد الآن: فسيظلُّ هذا بيتي لبقية حياتي، وسأعيش هنا وأعمل وأربي أولادي باعتبارنا جزءًا من المجموعة، وسأحاول مساعدة المهاجرين الذين مرّوا بالصعوبات نفسها.

والآن عندما أتذكّر طفولتي، أدرك أنها قدّمتُ لي الكثير من الخبرات الحياتية المفيدة، وربما مدّتني ببعض الحكمة. فقد تعلّمتُ بالتجربة والكفاح مدى اعتماد الناس بعضهم على بعض، ولاسيّما في الشدائد. واكتشفتُ أهمية المساعدة العملية والكلمة المُشجّعة. وأدركتُ أيضًا أن هناك ناسًا طيبين وسيئين في كل مكان، وأن معظمنا مزيج من الاثنين معًا.

ورغم كل المعاناة التي تسبّب فيها الألمانىون لي ولأسرتي، إلّا أنني ما أزال أشعر بالتعلّق بتاريخهم وثقافتهم،

التي استقيتها من والديّ. وقد بذلتُ قصارى جهدي لإعادة الروابط مع ناس ألمانين محترمين.

وفي الستينيات، دعوتُ إلى الترحيب بالشباب الألمانين الذين يأتون متطوعين إلى مجتمعنا (كيوتس)، وإلى استضافتهم من قبل العائلات المحلية لمجتمعنا، وإلى توعيتهم بالتاريخ الحديث، وذلك على عكس السياسة التي كانت سائدة في ذلك الوقت من رفض أيّ نوع من الاتصال مع الألمانين. فأقمنا علاقات صداقة مع هؤلاء المتطوعين، بحيث أننا نزورهم الآن وهم يزوروننا. ونحافظ على حوار مستمر، ونفعل ما في وسعنا لتقوية العناصر الإيجابية المناهضة للفاشية في أوروبا التي تحتجُّ على الحركات الرجعية وتحارب عودتها هناك.

بطبيعة الحال، لا يمكننا أبدًا أن ننسى الستة ملايين يهودي — بما فيهم 1.5 مليون طفل برئ — الذين قد تعرضوا للتعذيب والإبادة على أيدي النازيين ومعاونيهم. وقد نكون قادرين على مصالحة أنفسنا مع ألمانيا الحالية، ولكن كيف يمكننا أن ننسى أنه في أحلك ساعات التاريخ، أيّ الزمن الذي مرّنا فيه بأشدّ اليأس، تُركنا وحدنا لنعاني وموت، دون أيّ مساعدة مما تُسمّى القوى العالمية؟ وحتى لو غفرنا لأولئك الذين يعيشون في ألمانيا اليوم، فماذا عن هؤلاء الذين شوّهوا وقتلوا اليهود وغيرهم من ضحايا الكراهية النازية؟

فإن كان الغفران معناه نبذ الكراهية العمياء ومشاعر الانتقام — نعم فهذا ممكن. ولكن، هل يتطلب ذلك الصّفح عن الوحوش الذين ارتكبوا أبشع الفظائع في الذاكرة البشرية؟ ربما أغفر لهؤلاء الذين وقفوا مكتوفي الأيدي عاجزين عن فعل أيّ شيء، ولهؤلاء الذين لم يجرؤوا على التكلم جهراً.

فأنا أعرف مقدار الشجاعة اللازمة للوقوف في وجه السلطة ومعارضة ذلك النوع من الإرهاب الذي فرضه النازيون. غير أنني أعلم أيضًا أن الآلاف من الصالحين خاطروا بحياتهم لكي يساعدوا اليهود ويخفونهم، عالمين جيدًا أنهم يعرضون أنفسهم وعائلاتهم للخطر.

هل من الممكن الغفران لهتلر وأتباعه، ولقاداته وجنوده من قوات الأمن الخاصة النازية، ولحراس معسكرات الموت، ولمسؤولي الشرطة السريّة النازيّة؟ وهل من الممكن الغفران للجلادين والقتلة الذين جوّعوا مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال العزل، ورشّوهم بالرشاشات، وخنقوهم بالغازات السامة؟

يمكنني أن أغفر للجنود الذين قاتلونا في الحروب، حتى لو كانت دوافعهم خاطئة ... ويمكنني أن أغفر للناس الذين يقاتلون لحماية أنفسهم أو استعادة حقوقهم، حتى لو تمّ تضليلهم، ولكن ألا توجد حدود للغفران؟

إنّ رفض يوثيل المفهوم لمسامحة النازيين الذين أبادوا بلا رحمة ستة ملايين من الرجال والنساء والأطفال اليهود هو كما اعتقد لم يكن بدافع النعمة أو الكراهية، وإنما بدافع الخوف من أنّ الغفران سيكون إلى حدّ ما مرادفًا لعملية تبرئتهم من أفعالهم. إذ إنّ شخصًا كيوثيل، بصفته مصممًا جدًّا على ضمان عدم تكرار فظائع مماثلة مرة أخرى في المستقبل، لا تجرؤ نفسه على أن تغفر للنازيين إذا كان ذلك يعني التظاهر بأن محارق اليهود في ألمانيا — الهولوكوست — لم تحدث قط، أو التظاهر بأن الرجال المسؤولين عن ارتكابها لم يرتكبوا أفعالاً من الشر المتعمد والقاسي.

بطبيعة الحال، عند التلميح إلى أن أفعال النازيين الشريرة يمكن تبريرها، أو أنه ينبغي أن لا يُلقى عليهم اللوم بصورة مباشرة، فإنَّ ذلك يجرح بعمق مشاعر كل شخص فقد عائلته وأصدقائه في معسكرات الموت. وأعتقد أن هذا سيكون سلوكاً مُنافٍ للأخلاق، غير أن الغُفران هو ليس اختلاق الأعذار للناس أو إعفاءهم من اللوم.

**عندما بدأت الفظائع الرهيبة لهولوكوست** تظهر للعيان في عام 1947م، كان الكاتب والباحث سي. إس. لويس مدرِّكاً جيداً لمخاطر اختلاق الأعذار لأفعال الناس الشريرة. ورغم ذلك كتب ما يلي: «هناك فارق كبير بين الغُفران والإعذار.» وأشار إلى أن معظم الناس لا يحبون الاعتراف عندما يرتكبون خطأ ما، لذلك يُقدِّمون الأعذار لأفعالهم. فبدلاً من طلب الغُفران، فإنهم يحاولون إقناع الآخرين بقبول أعذارهم «وظروفهم الخاصة التي ترفع عنهم اللوم» والاتفاق معهم على أنهم لم يكونوا مُستحقين اللائمة حقاً. غير أن لويس قال: «لو لم يكن الشخص مُستحقاً اللائمة حقاً، فلا يوجد عندئذ شيء يُغفر له. وهذا معناه أن الغُفران والإعذار نقيضان إلى حدٍّ كبير.» وأضاف لويس قائلاً:

إنَّ الغُفران الحقيقي معناه أن ننظر مباشرة إلى الخطيئة، تلك الخطيئة التي ظلَّت باقية بدون أعذار، وحتى بعد استنفاد كل ما في وسعنا لشتى أنواع التسامح وسعة النفس وتفهم ظروف التنشئة، وأن نرى تلك الخطيئة كما هي عليه وبكل ما تتضمنه من بشاعة وقذارة وخبث وحقد، ولكننا مع ذلك نغفر للشخص الذي اقترفها ونسامحه عليها مسامحة قلبية

صافية وكاملة، بحيث لا تبقى أيُّ ضغينة من جانباً نحوه.  
فهذا هو الغُفران وليس سواه.

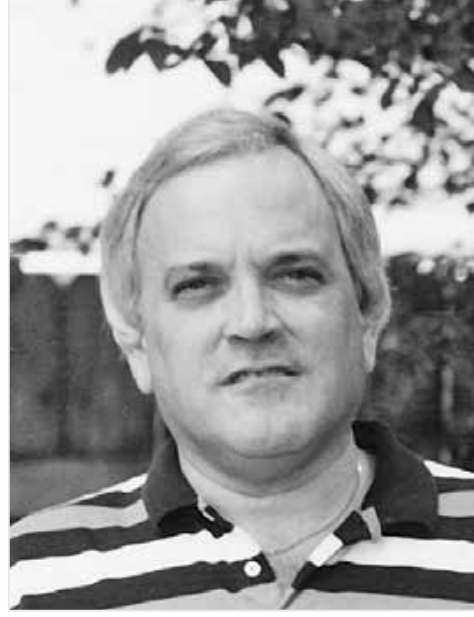
**أَمَّا بيل جادويك Bill Chadwick**، من مدينة باتون روج بولاية لويزيانا الأمريكية، فهو يُميّز بين الغُفران والإعذار تمييزاً واضحاً عندما كتب عن موت ابنه مايكل. لقد كان بيل يشعر في البداية بحاجة مُلِحّة إلى رؤية العدالة تأخذ مجراها في حادث مقتل ابنه، ولم يحاول حتى تبرير موقف الصبي المسؤول عن موت ابنه مايكل. ولكنه اكتشف في النهاية أن العدالة في حدّ ذاتها لا يمكن أن تجلب له الرضا والسلام اللذين كان يبحث عنهما، فكتب ما يلي:

لقد قُتل ابني مايكل في الحال في 23 أكتوبر 1993م في حادث اصطدام سيارة وهو في الحادية والعشرين من عمره. وقُتل أيضاً أعزُّ صديق له الذي كان يجلس في المقعد الخلفي. أمّا السائق الذي كان مثلاً للغاية ويسير بسرعة جنونية فلم يُصب إلّا بجروح طفيفة؛ ووجّهت إليه فيما بعد تهمتي القتل المروري بسبب الإهمال في قيادة السيارة. ولم يكن لدى مايكل سوى أثر ضئيل للكحول في جسمه، أمّا صديقه العزيز فلم يكن لديه أيُّ أثر للكحول.

ورغم أن عجالات العدالة تدور ببطء إلّا أن مرتكب الجريمة لن يفلت من عقوبته. وقد استغرقت المحاكم أكثر من عام لكي تُعدّ القضية ضد السائق. وحضرنا جلسات الاستماع، جلسة بعد جلسة، وفي كل مرة كانت القضية تؤجّل. وكانت هناك محاولة من قبل محامي المتهم بالتشكيك باختبارات الكحول في الدم، ولكنها باءت بالفشل. وأخيراً، اعترف المدّعى



مايكل



بيل جادويك

عليه بارتكابه للجريمة وحُكم عليه بالسجن ست سنوات لكل تهمة، على أن تسري الأحكام بالتداخل، أي تُنفَّذ في آن واحد. اقترحنا على مكتب المراقبة أن برنامجًا على غرار معسكر التدريب قد يكون مفيدًا له — فلم نكن نودُّ في الحقيقة أن نوذيه، لكننا رأينا أنه بحاجة إلى أن يدفع جزاء ما فعله. غير أننا تلقينا رسالة قبيحة جدًا من والدته تشير فيها إلى أننا حاولنا بطريقة أو بأخرى أن يحصل ابنها على أقصى عقوبة. وقالت إنه لو كان ابنها هو الذي مات بسبب قيادة مايكل، لما كانت تُضمِر ضغينة له في قلبها. فاقترحنا عليها أنه ما لم يكن ابنها ميتًا بالفعل، لا يحقُّ لها أن تتكلم عما ستفعله أو لا تفعله.

وحُكم على ابنها أخيرًا بالسجن ستة أشهر في المعسكر التدريبي، على أن يقضي بقية السنوات الستة مُطلق السراح

المشروط بالإشراف المكثّف. وبعد ستة أشهر عاد ابنها إلى البيت، أمّا ابننا فلم يَعُدْ.

أعتقد أنني كنتُ أَظُنُّ إلى حدٍّ ما بأن الأمور ستختلف، وستحسن أحوالنا النفسيّة، بعدما مثّل المجرم أمام العدالة. وأعتقد أن هذا هو ما يقصده الناس عندما يتحدثون عن «حسم القضية» ومشاعر الارتياح التي تصاحب غلقها. فنحن نظن أنه إذا كان هناك مَنْ نلقي اللّوم عليه، أمكننا إنهاء المشكلة والشعور بالراحة. فإنه نوع من التفكير بأننا إذا استطعنا فهم ما حدث فهماً منطقيّاً، أو إذا حصل الضحايا على عقوبة كإجراء من إجراءات العدالة، فستزول آلامنا في النهاية. وقد قرأتُ في السنوات التي تلت وفاة مايكل عددًا لا يحصى من القصص عن أشخاص فقدوا أحبائهم، وكانوا يبحثون عن حسم من هذا النوع لقضاياهم والارتياح النفسي. لقد رأيتهم حتى في البرنامج التلفزيوني الشهير «أوبرا وينفري» وهم يصرخون مطالبين بعقوبة الإعدام، كما لو أن موت الجاني قد يساعد على إنهاء المشكلة بطريقة ما ويخفّف عنهم.

طبعًا كنتُ غاضبًا من السائق. ولكنني كنتُ غاضبًا من مايكل أيضًا. إذ إنه قبل كل شيء قد اتخذ بعض القرارات السيئة حقًا في تلك الليلة؛ لقد عرّض حياته للخطر. فكان عليّ أن أخوض طريقًا شاقًا في هذا الغضب لأتمكن من السيطرة على مشاعري. غير أنني لم أشعر بخاتمة مريحة روحيًا حتى بعد صدور الحكم. أمّا الذي وجدته فكانت الفجوة الروحية الكبيرة نفسها في داخلي — ولم يكن هناك ما يسدّها.

ولم تصدمني الحقيقة إلّا بعد بضعة أشهر: فما لم أغفر للسائق، لا أحصل على الخاتمة التي كنتُ أنشدّها. فالغُفران



يختلف عن التبرئة من المسؤولية. فما زال السائق مسؤولاً عن موت مايكل، لكن كان عليّ أن أغفر له قبل أن أدع الحادث وشأنه. فلا يمكن لأي قدر من العقوبة مهما كانت شديدة أن تعادل كفتي الميزان. فكان يلزماني أن أكون مستعداً لأغفر بدون أن تتعادل كفتي الميزان. وعملية الغفران هذه لا تخص السائق — بل تخصني أنا. فقد تحتم عليّ أن أخوض هذه العملية؛ فكان عليّ أن أتغير روحياً، بغض النظر عما فعله. كان طريق الغفران طويلاً ومؤملاً. وكان يلزماني أن أغفر لآخرين غير السائق. وكان يجب عليّ أن أغفر لابني مايكل، ولله (لأنه سمح بحدوث ذلك)، ولنفسي. وأخيراً، كان أصعب شيء عندي هو عدم قدرتي على أن أغفر لنفسي. فقد كانت هناك عدة مرات في حياتي قُمت بإيصال مايكل إلى أماكن عديدة حين كنتُ أنا نفسي تحت تأثير المشروبات الكحولية أثناء قيادتي للسيارة. ولكن كان هذا مفتاح غفراني — أي أن أغفر لنفسي. فقد كان غضبي على الآخرين هو مجرد انعكاس لمخاوفي الداخلية. فأسقطتُ ذنبي على الآخرين — على السائق، وعلى المحكمة، وعلى الله، وعلى مايكل — حتى لا أضطر إلى النظر لنفسي. ولم تقدر نظرتي إلى الأمور أن تتغير إلى أن تمكنتُ أخيراً من رؤية دوري أنا شخصياً في هذا كله، ورؤية الجزء الذي أخطأتُ أنا فيه.

وهذا ما تعلمته: إنَّ الخاتمة المريحة التي ننشدها تأتينا من غفراننا للآخرين. وتعتمد هذه الخاتمة علينا كلياً، لأن القوة اللازمة للغفران لا تكمن خارجنا بل داخل نفوسنا.

لقد تَعَلَّم والد مايكل أكثر الدروس المؤلمة لكل والد ووالدة. غير أن كُلاً مِنَّا بحاجة إلى أن يتعلم هذا الدرس، مهما كان وضعنا في الحياة. فما لم يَكُنْ في قلوبنا غُفرانٌ لأولئك الذين يسيئون إلينا، لن نحصل على السلام، مهما كُنَّا على «حقٍّ» في المطالبة بالعقوبة.

**أما في المجتمع الذي يولي الانتقام اهتمامًا كبيرًا،** فمن الصعب على المغفرة أن تصبح فكرة مُستَحَبَّة. وأخذ الأمر يتزايد عندما لم تَعُدْ العقوبات الصادرة عن المحاكم كافية، فأصبحت العقوبات لا تشفي الغليل؛ فيريد الناس أن يشتركوا شخصيًا في عملية إنزال العقوبة بالشخص المُسيء إليهم. وقد بدأت العديد من الولايات بتقديم تشريعات تَعْرِض على أسر الضحايا حقَّ الحضور والتفرُّج عند تنفيذ حُكم الإعدام. ومع ذلك، يظهر أن تلك الأسر لا تحصل أبدًا على السلام الذي تنشده. إذ إنَّ تعطُّشهم لرؤية الآخرين يتألمون بالعنف نفسه الذي آذاهم شخصيًا لا يرتوي أبدًا. وبدلاً من مداواة جروحهم، فإنَّ سعيهم الطويل إلى الانتقام يتركهم في خيبة أمل وغضب.

إنَّ الغُفران هو ليس التغاضي عن الخطأ. ففي بعض الحالات، لا يكون «الغُفران والنسيان» مستحيلاً فحسب، بل أنهما يتعارضان أيضاً مع الأخلاق. فكيف يمكن لأيِّ شخص أن ينسى ولده؟ ويمكننا أن نفهم جيداً سبب حصول المرء على مشاعر الأمل والسُّخط والغضب، وقد تكون ضرورية أيضاً، ولكن يجب أن تثمر هذه المشاعر الاشتياق إلى المصالحة.

## الغُفران عندما تكون المصالحة مستحيلة

قد يكون رفض المسامحة أسوأ بكثير من القتل، لأن القتل قد يكون بدافع لحظات من سعي الغضب، بينما المسامحة اختيار هادئ ومقصود للقلب.

قَوْلُ مِنْ

جورج ماكdonald George Macdonald

قسيس أسكتلندي وشاعر وكاتب

وقد ألهم الكثير من الكتاب المشهورين الذين جاؤوا من بعده

**عندما تم اختطاف بنت مارياتا جيجر Marietta Jaeger البالغة من العمر سبع سنوات من خيمتهم أثناء رحلة تخييم في ولاية مونتانا، كان ردُّ فعل الأم الأول هو الغضب. فقالت:**

كنتُ أغلي من الحقد، وكانت نفسي تئنُّ رغبة في الانتقام. فقلت لزوجي: «حتى لو أُعيدتُ بنتي سوزي حيَّة وبحالة جيدة في هذه الدقيقة، فأنا مستعدة لقتل ذلك الرجل في الحال بسبب ما فعله بأسرتي،» وهذا ما كنتُ أعنيه فعلاً بكل ذرة من كياني.



مارياتا جيجر وبناتها سوزي

رغم أن رد فعل مارياتا كان مفهومًا، فقد قالت إنها سرعان ما أدركت أنه لا يمكن لأي قدر من الغضب أن يعيد بنتها. فلم تكن مستعدة لأن تغفر لخاطف بنتها: فقد ظلت تؤكد لنفسها ولفترة طويلة، أنها لو غفرت له فهذا معناه خيانة لبنتها وصفح عن أفعال الخاطف. غير أنها شعرت في أعماق نفسها بأن غفرانها له هي الطريقة الوحيدة التي ستتمكن من خلالها من التعامل مع خسارتها لبنتها.

وفي حالة اليأس هذه، بدأت مارياتا تصلي، لا من أجل عودة بنتها سالمة فحسب، بل أيضًا من أجل الخاطف. وعلى مدى الأسابيع والشهور التي تلت ذلك، أصبحت صلواتها من أجل عودة سوزي أصعب وأصعب؛ ولكن الغريب أن صلواتها من أجل الخاطف أصبحت أسهل وأكثر جدية. وكان عليها ببساطة أن تجد الشخص الذي أخذ طفلها الحبيب. حتى إنها شعرت برغبة عجيبة في التحدث معه وجهًا لوجه.

وفي إحدى الليالي، وبعد مضي عام بالضبط (وبالدقيقة نفسها) على اختطاف بنتها تلقت الأم مارياتا مكالمة هاتفية. لقد كان الخاطف بنفسه. فخافت مارياتا — إذ كان الصوت متعجبًا وساخرًا — ولكنها تعجبت من نفسها كيف كانت لها مشاعر شفقة

صادقة لذلك الرجل في الجهة الثانية من خط التلفون. ولاحظت أنه عندما أخذت هي تهذا أثناء المكالمة، أخذ يهدأ هو أيضاً. وتحدثا معاً لأكثر من ساعة.

ولحسن الحظ، تمكنت مارياتا من تسجيل محادثتهما. ومع ذلك، فقد مرت أشهر قبل أن يتعقبه مكتب التحقيقات الفيدرالي أخيراً ويقبض عليه، وعندها فقط عرفت مارياتا على وجه اليقين أن سوزي لن تعود إلى المنزل أبداً. إذ كان المحققون قد وجدوا عموداً فقرياً لطفل صغير بين متعلقات الخاطف.

عَرَضَ قانون الولاية عقوبة الإعدام، ولكن مارياتا لم تكن تسعى للانتقام منه. فكتبت ما يلي: «في ذلك الوقت، كنت قد تعلمت أخيراً أن هدف العدالة ليس إنزال العقوبات بل الإصلاح.» وطلبت مارياتا عوضاً عن عقوبة الإعدام أن تُقدّم لقاتل سوزي عقوبة بديلة وهي السجن المؤبد المصحوب بالمشورة النفسانية له. إلا أن ذلك الشاب المُعذَّب أقدم على الانتحار، ولكن مارياتا لم تندم مطلقاً على قرارها بمساعدته. ولم تنتهِ جهودها في صنع السلام عند هذا الحد. فإنها تعمل اليوم ضمن جماعة خيرية للمصالحة بين القتلة وعائلات الضحايا. وهذا جزء من عملية شفائها، وشفائهم.

**لذلك نرى أنه ليس لجميع القصص نهاية جيدة،** كما تُرينا تجربة مارياتا. وحتى عندما نكون قادرين على التَّوَجُّه مع الشخص الذي ينبغي أن نغفر له، فربما هو لا يشعر بالأسف بتاتاً على أفعاله. وأحياناً لا يُلقَى القبض على القاتل أبداً، أو ربما يهرب شريك الحياة، ولن يراه أحد أبداً. أيكون الغُفران في هذه الحالات ممكناً أيضاً؟

**آن كولمان Anne Coleman** **والدة دانيال كولمان** المذكورة قصته في

الفصل الأول الذي لم يكن قادرًا على التعامل مع مقتل أخته فرانسيس، ذلك المقتل الذي لم يكن له أيُّ داعٍ، كان قد انتحر في النهاية. إلّا



الأم آن كولمان

أن تلك المأساة المزدوجة غيّرت حياة

والدتهما آن كولمان. فهي تساعد اليوم

وتقوم بتقديم المشورة للرجال الذين

ينتظرون تنفيذ حُكم الإعدام في ولاية

ديلاوير الأمريكية. وبدأتُ بخدمة

وزيارة السجناء عندما قابلتُ بربرة

لويس أول مرة، وهي سيدة كان ابنها

ينتظر تنفيذ حُكم الإعدام فيه. فعندما

ذهبتُ آن إلى السجن ذات مرة مع

بربرة لزيارة ابن بربرة المسجون، بدأتُ منذ ذلك الحين بزيارة

سجناء آخرين. فتقول الأم آن:

هكذا قابلتُ المسجون بيلى المحكوم عليه بالإعدام. فلم يكن

هناك من يزوره، وكان يشعر بالوحدة الشديدة. وأبكي دائماً

عندما أتذكر كيف علّقوه؛ وكيف وقّفوه عند المشنقة في تلك

الرياح العاصفة لمدة خمس عشرة دقيقة على الأقل في انتظار

وصول الشهود. وبعدما أُعْدِمَ، خارت عزميتي وقلتُ لنفسِي:

«لا أقوى على الاستمرار بعد.»

ثم تعرفتُ على ولد صغير اسمه ماركوس. وكان والده

أيضاً في قسم المحكوم عليهم بالإعدام. ولم يكن له أمٌّ، وفقدَ

شقيقتيه كليهما، وكانت الكوابيس تنتابه لأنه على وشك أن

يفقد والده أيضاً.

وأنا أعلم بأنني لو كرهتُ شخصًا فلن يعيد ذلك بنتي فرانسيس إليَّ. وحاليًّا، لا أعرف على كل حال ما إذا كنتُ سأعثر على الشخص الذي قتل بنتي. ولكن على المرء أن يجد الشفاء الروحي بطريقة ما، وأنا قد وجدته عن طريق مساعدة أشخاص من أمثال بربارة وماركوس في هذا العالم. لأن تقديم المساعدة لهم وهب لي شفاءً أكثر مما كنتُ أتصوره.

**جينيفر Jennifer**، وهي من معارفي منذ مدة طويلة — فقدت خطيبها عندما تركها قبل عشرة أيام من موعد زفافهما ولم تره ثانية مطلقًا. فقد كانا مخطوبين لأكثر من عام، ومع أن علاقتهما أصابتهما اضطرابات ومشاكل من وقت لآخر، إلا أنها كانت متأكدة من أن كل شيء سيسير على ما يرام هذه المرة. فكانت تحبه من كل قلبها، وفرحانة جدًا. وكانت وقتئذ قد تخرّجت من كلية التمريض بعد انتظار طويل، وشارف فستان زفافها على الانتهاء من خياطته. ثم انهار كل شيء. فاسمعوها تقول:

كشف خطيبي لي أنه كان غير أمين معي — إذ كانت هناك أشياء من ماضيه ما تزال تُشكّل عقبة أمام زواجنا. وما جعل الأمر أسوأ من ذلك، أنه أراد أن يهرب من كل شيء بدلاً من التّواجه مع ماضيه. أمّا أنا فتحطّمتُ. وبكِيتُ أيامًا وانكسر قلبي لسنوات. وقمتُ بإلقاء اللّوم على نفسي على عدم أمانته، وأصبحتُ مُستاءة.

بعد مضي ثلاثين عامًا، ما تزال جينيفر عزباء، ولكنها لم تعد مُستاءة. وقد غفرتُ لخطيبها بصورة كاملة ومن صميم قلبها بالرغم من

أنها غير قادرة على إخباره بذلك لأنها لا تعلم أين هو. ومع أنها في بعض الأحيان ما تزال تتوجّع نفسيًا حسرةً على الزواج الذي لم يتم مطلقًا، وعلى الحب الذي فقدته، فقد وجدت إشباعًا روحيًا حقيقيًا في مساعدة وخدمة الآخرين — من كبار السن والمرضى والأمهات الحوامل والأطفال المعاقين. ولا يعلم بماضيها سوى بعض من أصدقائها. ولكونها فرحانة ومليئة بالهمة والحيوية، فإنها مشغولة جدًّا في الخدمة بحيث أنها لا مجال عندها للتفكير في الشفقة على الذات. فتقول:

باعتباري عزباء، يمكنني القيام بأعمال لا يمكن أبدًا أن تفعلها  
لا الزوجة ولا الأم المنشغلتان. فيمكنني تقديم خدماتي كلما  
وحيثما وُجدت حاجة لي. وقد صار في وسعي رعاية ومحبة  
أطفال أكثر بكثير مما لو كنت متزوجة.

**غادرت جولي Julie مع زوجها وأولادها** أحد مجتمعاتنا المسيحية —  
مجتمعات برودرهوف — بعدما واجهت زوجها بسبب تحرشه  
ببنتهما. وبالرغم من مشاعر الصدمة والاشمئزاز التي انتابتها مما  
فعله، إلا أنها كانت ما تزال تحبه وتأمل في أن يتمكنّا من إعادة بناء  
علاقتهما الأسرية من جديد بعيدًا عن مجتمعنا. وللأسف، لم تسرِ  
الأمور على هذا النحو، فتقول:

كنت مُرهقة نفسيًا على حافة اليأس. فقد أصبح زوجي شخصًا  
غريبًا عني، ولم يعد بإمكانني العيش معه في حياة تحولت إلى  
جحيم. فقد أمضينا عامًا كاملاً بعيدًا عن مجتمعنا المسيحي،



على أمل إنقاذ زواجنا وأسرتنا، ولكن بلا جدوى. فقد ضاع كل شيء.

فتركته وعُدْتُ إلى مجتمعنا في برودرهوف، غاضبة، ومجروحة، وكارِهة، ومرفوضة، ويائسة، وساخِطة، وذليلة — حتى إنَّ هذه السلسلة الطويلة من الصفات لا يمكنها التعبير عما شعرتُ به آنذاك. فاحتدمتُ معركة في قلبي. وأردتُ أن أغفر له، ولكنني كنتُ أريد أيضًا أن أوجه له ضربات انتقامية، وكلما تذكَّرتُ زوجته الجديدة (فقد طلقني وتزوج من أخرى) فإذا بمشاعري تلتهب من جديد. فلم تكن معركة سهلة، وهي ما تزال مستمرة، لأنني أرى لحدِّ الآن تبعات ذلك الاعتداء الجنسي والانفصال الزوجي تنعكس على أولادنا الخمسة.

أمَّا عن رغبتني في أن أغفر له — فكانت هذه هي المعركة التي كنتُ أخوضها، والصراع الروحي الشديد في داخلي: إذ ينبغي أن أغفر له بصدق. وكنتُ أعرف في قرارة نفسي أن موقف الغُفران هذا يجب أن يكون ردِّي عليه، ولكن كيف يمكنني أن أغفر له، وهو لا يُبدي أيَّ ندمٍ؟ وماذا سيكون شكل التعبير العملي لغُفراني له؟

وأنا لم أرغب بأيِّ شكل من الأشكال في التخفيف والتغاضي عما فعله، وأخبرته بأنني لا يمكنني السماح لأولادي بالبقاء معه لفترة أطول. لكنني رأيتُ أن أفضل شيء بَنَاء يمكنني فعله هو قبول الطلاق.

غير أنني اكتشفتُ منذ ذلك الحين أن غُفراني له لم يكن شيء أعمله مرة واحدة وحسب. إذ يجب أن أوْكَد على غُفراني له باستمرار. وأَشْكُ أحيانًا فيما إذا كنتُ قد غفرتُ له

حقاً، لذلك ينبغي أن أخوض صراعاً روحياً من أجل التأكد من أنني قد غفرتُ له. ولكنني أعلم بأن كل الأخطاء التي ارتكبتها زوجي بحقي لا أريد أن أسمح لها بأن تُدمّرني في النهاية.

**توضّح قصة جولي نقطة حيوية** وهي أنه رغم أن زوجها السابق لم يُظهر أيّ ندمٍ، إلّا أنها ما تزال يتعيّن عليها أن تغفر له. وإن لم تغفر له، تظلّ أسيرة له بفعل مشاعر استيائها منه، وسيستمر هو في التأثير على أفكارها ومشاعرها. وستظلّ مجروحة بما فعله بها وبأولادها طيلة حياتها. إلّا أنها، من خلال نبذها لمشاعر السخط والكراهية، ومن خلال إدراكها أن مرارة الاستياء ما هي سوى طاقة مهدورة، فقد حصلت على قوة متجددة لتحب أولادها وتواصل الحياة.

## الْغُفْرَانُ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ

لو أحببتَ، ولو قليلاً، لأصبحتَ عرضة للخطر والمشاكل. لأنه لا يوجد مكان خارج الفردوس تكون فيه آمناً تماماً من كل الأخطار والاضطرابات التي تُكَلِّفُها المحبة سوى الجحيم.

قَوْلٌ مِنْ

سي. إس. لويس C. S. Lewis

كاتب وباحث آيرلندي

ومؤلف سلسلة الأطفال الشهيرة نارنيا Narnia

ربما لن يواجه معظمنا أبداً موقفاً يُحْتَمُّ علينا أن نغفر لقاتل أو مغتصب جنسي. غير أننا كلنا نواجه يومياً الحاجة إلى أن نغفر لشريك حياة أو طفل أو صديق أو زميل عمل — وربما عشرات المرات في يوم واحد. وواجب الغُفْرَانِ هذا ليس أقل شأناً من الغُفْرَانِ في الحالات الأخرى. ويرينا وليام بليك William Blake في قصيدته «شجرة السم» المترجمة أدناه، كيف أن أصغر استياء يمكن له أن ينمو في داخلنا ويُزهر ويحمل ثمراً مميتة. فيقول:

كنتُ غاضباً من صديقي:

وأخبرته بغیظي، فزال غیظي.

وكنْتُ غاضِبًا من عدوّي:  
ولم أخبره بغِيظي، فنَمَا الغِيظُ نُمُوًّا.

وأسقيتُ غِيظي وأنا خائفٌ،  
أسقيتهُ بدموعي ليلاً ونهاراً؛  
وشَمَسَتْهُ بالابتسامات،  
وبالحِيلِ الخادعة الناعمة.

فأخذ ينمو نهاراً وليلاً،  
حتى أثمر تفاحة زاهية؛  
ورآها عدوّي تزهو،  
وعلم بأنها لي.

وعندما أرخى الليل سدوله،  
دخل عدوّي إلى حديقتي خلسةً ليسرق التفاحة:  
وفي الصباح فرحتُ عندما رأيتُ عدوّي  
راقداً مَيِّتاً تحت الشجرة ومبسوط الذراعين.

إنَّ الضغائن الصغيرة في الحياة اليومية هي البذور السَّامة لشجرة  
وليام بليك. فإذا سقطت تلك البذور في قلوب ذات تربة خصبة، فإنها  
ستنمو، وإذا تمت رعايتها وتغذيتها فستزدهر وسيصعب السيطرة  
عليها. وقد تكون صغيرة في البداية، وتبدو غير مهمة، وتَصْعُبُ  
ملاحظتها، ومع ذلك يجب التغلُّب عليها. ويُرينا وليام بليك في أول  
سطين من قصيدته أعلاه مدى سهولة القيام بذلك: يجب أن نواجه  
غضبنا على الفور ونستأصله قبل أن ينمو.

كان عليّ أن أتعلّم على عدم التمسك بالضعائن منذ نعومة أظفاري [يقول المؤلف]. فقد كانت طفولتي سعيدة في معظم الأحيان، ولكن كان لي نصيبي أيضًا من التجارب المؤلمة وغير السارة. فقد كنتُ أثناء طفولتي مُعتَل الصحة. فبعد ولادتي بفترة وجيزة، أخبر الأطباء والدتي بأنني مصاب بالاستسقاء الدماغي (الماء في الدماغ) ولن يكون في وسعي المشي أبدًا. ورغم أن هذا لم يثبت صحته — فقد بدأتُ بالمشي عند سنّ الثانية والنصف — إلّا أن لقب «أبو رأس الماء» ظلّ مُلتصقًا بي. وكان أكثر مَنْ تألّم من جراء هذا الأمر والدائي، ولكنه أثر عليّ أيضًا.

لقد كنتُ وحيدًا. فقد كان هناك سبعة أطفال في عائلتنا، غير أنني كنتُ الولد الوحيد. إضافة إلى أن والدي كان بعيدًا عنّا ثلاث سنوات من السنوات الخمسة الأولى من حياتي. لذلك كنتُ أشتاق إلى الأصدقاء.

وعندما كنتُ في السادسة من عمري، كان عليّ استئصال ورم كبير من ساقِي. وكانت هذه العملية الجراحية الأولى من بين العديد من هذه العمليات التي أجريتها على مدى العقود الثلاثة التي تلت. واستغرقتُ العملية الجراحية ساعتين، وظلّ خطر الإصابة بأيّ ميكروب يقلقني لأيام، إذ كان هذا قبل أيام المضادات الحيوية، حيث كُنّا نعيش في الغابات النائية في دولة باراغواي. وبعد تقطيب الجرح الذي كان في ساقِي، عُدت مباشرة في ذات اليوم إلى منزلي سيرًا على الأقدام. فلم يُقدّم أحد لي عكازتين طبيّتين ولا حتى عربة لإيصالي إلى البيت. وما أزال أتذكّر رؤية وجه والدي المصدوم وهو يراني أعرجُ عندما دخلتُ إلى المنزل، رغم أنه لم يقل شيئًا.

كان ردُّ فعل والدي هذا نموذجيًا لكل من والديّ. فلم نسمعهما مطلقًا يتكلمان بالسوء عن الآخرين، ولم يسمحا لنا بذلك

أيضًا. إلاّ أنهما كانا يصارعان داخليًا في مشاعرهما، مثل بقية الآباء الآخرين، عندما كانا يحسّان بأن أحدهما — نحن أولادهما الصغار — قد تعرّض لسوء المعاملة من قبل معلم ما أو أشخاص كبار آخرين. لكنهما أصرّا على أن الطريقة الوحيدة للتغلّب على الإهانات الصغيرة في الحياة هي المسامحة.

وعندما كنتُ في الرابعة عشرة من عمري، انتقلنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وكان التغيير الذي عِشْتُهُ بانتقالي من قرية في براري أمريكا الجنوبية إلى مدرسة ثانوية عامة في ولاية نيويورك تغييرًا هائلًا. وكانت اللغة الإنجليزية حاجرًا بالنسبة إليّ بالتأكيد، ولكنني كنتُ خجولًا أيضًا لأنني شعرتُ بأنني غريب الأطوار وأخرق. وكل ولد يريد أن ينال تقدير أقرانه/أقرانها — فلا أحد يريد أن يُعامل وكأنه أقل شأنًا من غيره — وهذا ما أردته أنا أيضًا. فكنتُ أرغب بشدة في أن يتم قبولي من قبل بقية التلاميذ، وبذلتُ قصارى جهدي لإرضاء زملائي الجدد في الصف. وفي البداية تعرّضتُ للازدراء، خاصة من قبل ولد عُرف بأنه مُتنمّر. عندئذ، بدأتُ بالردّ عليه بالعداء. ولمّا كان كل أصدقائي مهاجرين مثلي، أخذنا نسخر منه بلا رحمة، وكُنّا نتحدث بالألمانية فيما بيننا لأننا نعلم بأنه لم يكن يفهم كلمة واحدة منها. وقادتنا العداوة إلى أكثر من مجرد بضع أنوف دامية.

وفي العشرينيات من عمري، اضطررتُ مرة أخرى إلى التعامل مع مشاعر رفض الآخرين لي. فقد تعمّقتُ علاقتي بشابة وأصبحنا مخطوبين، ولكنها تركتني فجأة ذات يوم. فصارعتُ روحيًا لأغفر لها، ولأغفر لنفسي أيضًا، وخاصة لأنني لم يكن لديّ أي فكرة عن سبب إنهاءها لهذه العلاقة بيننا. (فأقنعتُ نفسي بأن الذنب كان ذنبي على سريان الأمور على هذا النحو، لأنني شعرتُ بأنني شخص

غير ملائم بشكل محرج.) وبعد بضع سنوات، تحطمت آمالي للمرة الثانية، عندما أنهت شابة أخرى علاقتها بي بعد عدة أشهر. فشعرتُ وكأن العالم ينهار من حولي، عندما حاولتُ أن أفهم سبب حدوث ذلك. فما الخطأ الذي فعلته؟

لقد استغرق الأمر وقتًا طويلًا للتغلب على الجرح الذي أصاب مشاعري، وإعادة بناء ثقتي بالنفس. غير أن والدي أكد لي بأنني سأجد الإنسانية المناسبة في الوقت المناسب، وقد ثبت أنه على حق؛ فقد وجدتُ بعد بضع سنوات بنت الحلال، زوجتي فيرينا.

**من الأسهل أن نغفر للغريب من أن نغفر لشخص نعرفه** ونثق به. وهذا هو السبب في صعوبة التغلب على مشاعر الخيانة التي نتلقاها من الأصدقاء المقربين أو زملاء العمل. إذ إنهم يعرفون أعماق أفكارنا، ونقاط ضعفنا، وخصائصنا — وعندما ينقلبون علينا، نُصابُ بصدمة وتخبُّط وخيبة أمل، غير مصدقين ما نراه.

**لقد مرَّ صديق لي من فيرجينيا واسمه بيت Pete** بتجربة مماثلة، فهذا هو يحكي لنا تجربته:

قبل انتقالي إلى ولاية أخرى وترك مصلحة عملي، كان عليَّ تصفية حساباتي مع شريكي في العمل الذي شاركته لمدة عشر سنوات. لقد كان الأمر مُعقَّدًا لأنه هو وزوجته كانا من الأصدقاء المقربين لي في الحقيقة؛ فقد كنَّا أصدقاء مدة خمسة عشر عامًا.

لم يكن في وسع أحد أن يتخيل الكيفية المُنصفة التي كنتُ أنوي فيها توزيع حصص مصلحتنا. فلم أبتغ أن أكون عادلاً

وحسب، بل كريماً أيضاً. ولم أبتغ أن يكون هناك شيء ما عالق في ضميري. لذلك اقترحتُ عليهما تقسيماً من شأنه أن يمنحني نصف الأرباح لغاية التاريخ الذي تركتُ فيه المصلحة، وأن يترك لهم النصف الآخر من الأرباح، وأن يترك لهم بالإضافة إلى ذلك جميع الأشغال التي كانت جارية، وأسهم الشركة وسمعتها. غير أن كليهما رأيا الأمر كله بطريقة مختلفة، وتوقفا عن التحدث معي في اليوم الذي قدّمتُ إشعاراً بإنهاء الشراكة. ولسوء الحظ، تضمّن إشعاري الاستمرار في العمل لمدة شهرين قبل إنهاء الشراكة، لذلك بدتُ فترة الانتقال طويلة، وصامتة، وشعرتُ فيها بالوحدة، ولم تتخللها غير كلمات الغضب من حين لآخر.

ولم نتمكن من توقيع أيّ اتفاقية حتى وقت مغادرتي. ثم أتى كل منا بمحامٍ، مما زاد الطين بلة. أمّا أنا فكنتُ أودُّ أن يكون هناك مصدر خارجي ليحكم في العرض الذي قدّمته ويفصل في النزاع، ولكنهم أبعدوا الشخص المُحكّم الذي قدّمته وطلبوا النصيحة والتحكيم في النزاع بدلاً من ذلك من محاسب كُنّا قد عملنا معه لمدة سبع سنوات. ولستُ متأكّداً مما حدث بالضبط، لكن سرعان ما فقد هذا المحاسب حياديّته وبدأ يعمل ضدي.

وقد تطلّب الأمر الكثير من العروض والعروض المضادة، للتوصل في نهاية الأمر إلى اتفاق. وقد أصرّا على أنه حتى لو كان من المقرر أن يدفع لي المبلغ قبل حلول ديسمبر، فإنهما لن يتمكنّا من إرسال الصكّ بالبريد إلّا بتاريخ 31 ديسمبر. ولم أعلم إلّا لاحقاً بأن هذا التأخير جعلني مسؤولاً عن نصف أرباحنا للعام بأكمله — رغم أنني استلمتُ حصتي



من الأرباح لغاية شهر يونيو فقط. وانتهى بي الأمر إلى أنني دفعتُ ضرائب إضافية بمبلغ 50 ألف دولار. فغضبتُ كثيرًا لدرجة أنني لم أستطع النوم لأيام. فقد شعرتُ بخيانة كاملة من قبل صديقي والمحاسب. وشعرتُ بأنهما قد تآمرا على سحقي.

وكان عليَّ القيام بمجاهدة روحية عميقة لكي أغفر لهذا الفعل، ولكنني حصلتُ على القوة للقيام بذلك. ثم أدركتُ أنني بحاجة إلى كتابة رسالة لشريكي وزوجته لأطلب الغُفران منهما أيضًا. وشعرتُ براحة كبيرة وأنا أغلقُ الظرف وأضع الرسالة في البريد. لقد كنتُ بحاجة إلى التحرُّر من مشاعر الغضب، مهما كان ردُّهما.

وكانت هناك صديقة لي قد نصحتني أن أغفر لشريكي؛ فاتصلتُ بي بعد حوالي شهر لتسألني فيما إذا كنتُ قد تمكنتُ من القيام بذلك. فأخبرتها بأنني قد غفرتُ له فعلاً، فأجابت: «لقد عرفتُ ذلك؛ لأنني لاحظتُ تحرُّرًا حقيقيًا عنده، هو أيضًا.»

**من المؤسف أن خيانة الأصدقاء أو زملاء العمل شائعة في جميع الأوساط.** لقد كان والدي هاينريش آرنولد Heinrich Arnold، بصفته قسيسًا في برودرهوف، معروفًا بقدرته على تقديم التشجيع المعنوي والنصائح الجيدة للإخوة والأخوات. فحيثما ذهب كان الناس يودُّون التحدُّث معه. فكان للعديد منهم أعباء ثقيلة في صدورهم يبتغون التخلص منها؛ في حين احتاج غيرهم إلى أذن صاغية فقط. غير أنَّ تلك الأشياء نفسها التي جعلتُ بعض الناس يُحبُّونه، جعلتُ الآخرين يحسدونه.

لقد عانى أبي من مشاكل في الكلى في الفترة التي وُلِدْتُ فيها، ومع تقدُّمه في السَّنِّ ساءت هذه المشاكل. وكانت الحياة في دولة باراغواي قاسية؛ والأمراض منتشرة، وأدت التوترات في مجتمع كنيستنا إلى جعل الصراع من أجل التعافي من المرض أصعب. وقد أصبحت أعباء مسؤولية القيادة الرعوية ثقيلة على أبي بشكل غير مسبوق. وفي ذات مرة، بعد عدة أسابيع من التدهور الصحي المستمر، أخبره أطباؤه بأنه لم يَعدْ لديه سوى أربعين ساعة ليعيش. وخوفًا من حدوث الأسوأ، دعا أبي مجتمع الكنيسة كله إلى جواره على فراش المرض، وشجَّعهم على أن يكونوا أقوياء وصامدين في الظروف القاسية وثابتين في الإيمان. وسلَّم أيضًا مسؤولياته الرعوية إلى ثلاثة رجال، وكان أحدهم صهرًا له (زوج أخته).

غير أنَّ ما حصل هو أن أبي تعافى وشُفي من مرضه بأعجوبة، وبدلاً من أن يعيد الرجال الثلاثة تسليم زمام أمور الرعيَّة إليه، أخبروه بأن أيام إدارته الرعويَّة للكنيسة قد انتهت ووَلَّتْ: فقد أعلن الطبيب أنه أضعف من أن يستمر في هذا العمل الشاق. وقالوا إنَّ السبب الرئيسي وراء ذلك هو «عدم الاستقرار النفسي» الذي أظهره في ذروة مرضه، عندما راودته أحلام غريبة وهلوسات. أمَّا أبي فقرر عدم محاربة القرار، بل خضع له بِوداعةٍ، لأنه لم يَكُنْ مطلقًا من الرُّعاة المستعدين لمجرد فرض إرادته على الآخرين، وبدأ العمل والخدمة في المدرسة الصغيرة التابعة لكنيستنا وفي المستشفى المسيحي الخيري الصغير الذي كانت كنيستنا تديره لمعالجة عامة الناس في البلد.

ومع أن والديَّ لم يدركا الأمر في وقته، إلَّا أن هذا التغيُّر في الأحداث لم يَكُنْ من قبيل الصُّدف. فقد جرى إعدادها في محاولة مُتعمَّدة لتنحية أبي من عمله الذي كرَّس حياته له. وفي الواقع، لم يَكُنْ اقتراح الطبيب سوى أن يأخذ أبي راحة إضافية لمجرد بضعة



والدا المؤلف — هاينريش آرنولد وأنا ماري

أسابيع، غير أنّ القادة الجدد غيَّروا كلامه لخدمة مطامعهم. (ولم نعرف السبب الحقيقي وراء الهلوسات التي كانت تحدث لأبي إلاّ بعد مضي ثلاثين عامًا حين اكتشف الأمر طبيب آخر، وشرح له السبب الحقيقي لهلوساته — فقد كانت أحد الآثار الجانبية لأدوية البروميد البدائية المستخدمة في علاج أبي هناك.) ومع ذلك، لم نشعر مطلقًا، نحن الأولاد، بأيّ مرارة استياء من جانبه.

ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت مشاكل جديدة في مجتمع كنيستنا. فكان والداي قد ضمًّا صوتهما إلى أصوات بعض الإخوة والأخوات، الذين حاولوا أن يحذِّروا مجتمع كنيستنا بأسره من مغبة تسليم أنفسنا إلى مجموعة من النظم والقواعد الجافة، التي صارت تهيمن على مجتمعات كنيستنا، لأنها أخذت تقتل الروح وتخنق أعمال الرحمة الأصيلة، إلّا أن كلامهم أُسيء فهمه. فتم طرد

العديد منهم، ومن ضمنهم أبي، بتهمة محاولة التقسيم المتعمد لمجتمع الكنيسة.

ومع أن أبي كان بُستانيًا ماهرًا (فقد درس البستنة في مدينة زيورخ السويسرية)، إلا أنه لم يستطع أن يجد عملاً من أي نوع كان. إذ إنَّ المستوطنين الألمان في باراغواي الذين كانوا يميلون إلى التعاطف مع النازيين، كانوا لا يثقون به وينظرون إليه بريبة، أمّا البريطانيون والأمريكيون المغتربون فكانوا يخشونه لا شيء وإفما لمجرد أنه ألماني، وذلك بسبب ما حصل في الحرب العالمية الثانية. وأخيراً، وجد عمل بصفة مشرف على مزرعة في مصحة للحجر الصحي للمصابين بمرض البرص.

وفي أوائل الأربعينيات من القرن الميلادي الماضي، لم يكن هناك علاج لمرض البرص، وكان مثل هذا العمل في غاية الخطورة، لأنه مرض مُعدٍ. وتم تحذير أبي من العدوى، وأخبره أكثر من طبيب بأن عمله هذا قد يحرمه من رؤية أولاده وزوجته ثانية إلى الأبد. فالعذاب الذي مرَّ به أبي يفوق الوصف.

ولن أنسى أبداً سعادتي في اليوم الذي عاد فيه أبي من مصحة البرص. فقفزتُ على كتفيه عندما كان يمشي بخطوات كبيرة نحو البيت، وأخذتُ أهتف بكل من كان يمرُّ بنا: «عاد أبي! عاد أبي!» ولكننا قبلنا عموماً بنظرات جامدة تملؤها الجفاء.

ولم أكتشف السبب الحقيقي وراء طرد أبي إلا بعد مضي سنوات على ذلك الحدث: فقد شعر بأن الرعاية لمجتمع كنيستنا أصبحوا مُستبدين جداً، وقمعيين، وقساة القلوب. ولَمَّا ناشدهم أن يكونوا أكثر رحمة وأوسع صدراً، اتهموه بأنه «عاطفي». أمّا أبي فلم يصبح مستاءً منهم رغم ذلك.

وسمعتُ أول مرة عن هذه القصص والأحداث من أصدقاء والدي القدامى عندما كنتُ في العشرينيات من عمري. فأُصِبتُ بصدمة مروّعة. وتساءلتُ: «ماذا سيكون ردُّ فعلي إذا تم إقصائي دون تفسير من قِبل أصدقائي وزملائي في العمل الموثوق بهم؟»

**وفي عام 1980م اكتشفتُ الجواب لهذا السؤال.** فقد طلب مني مجتمع كنيسةنا فجأة أن أتحنّى عن دوري الرعوي في الكنيسة، وهي الوظيفة التي شغلتها منذ ما يقرب من عشر سنوات. وأنا لستُ متأكدًا تمامًا لغاية هذا اليوم لماذا حدث ذلك. فبال تأكيد كان هناك عنصر من ذات الغيرة المسببة للانقسام الذي آذى والديّ قبل أربعين عامًا، ولكن، في هذه المرة، كان أصدقائي وزملائي في العمل وإخوتي هم الذين انقلبوا عليّ بالأكثر. فذات الأشخاص الذين كانوا دائمًا يمتدحوني ويشجعوني، بدأوا فجأة يبحثون عن أخطاء في كل ما فعلته في حياتي.

ونتيجة لشعوري بالحيرة والغضب، صارت لديّ دوافع للرد على الشرّ بالشرّ. وجاءت هذه الخطوة في وقت سيء للغاية بالنسبة إليّ: إذ كانت والدي قد توقّعتُ بمرض السرطان قبل أسابيع قليلة فقط، بالإضافة إلى أنني شعرتُ في ذلك الوقت بأن مجتمع كنيسةنا يحتاجني أكثر من أيّ وقت مضى. وأردتُ يائسًا تقديم الحقائق بشأن الأفكار المغلوطة لدى الناس واستعادة مكانتي «الشرعية». أمّا أبي فقد رفض أن يدعمني في شَنّْ حرب مضادة. وذكّرني بأننا، في النهاية، لسنا مسؤولين عما يفعله الآخرون بنا — لكننا مسؤولون فقط عما نفعله نحن بهم.

وبينما كُنّا نتحدث، بدأتُ أدرك أنني لم أكن نقيًا ومُنزّهًا عن كل لوم كما كنتُ أظن. ففي أعماقي كنتُ أحمل ضغينة على

بعض الأفراد في مجتمع كنيسة. وبدلاً من محاولة تبرير نفسي، كنت بحاجة إلى طلب المغفرة. وبمجرد أن طلبت المغفرة، اتخذ صراعي الروحي معنىً جديداً. فقد شعرتُ كما لو أن سداً قد انفجر في مكان ما في أعماق قلبي. فكل ما شعرتُ به سابقاً كان ألم كبريائي المجروحة؛ أما الآن، وبعد انكسار شوكة كبريائي فقد تحررتُ من ذلك، وصار بإمكانني أن أسأل نفسي: ما فائدة ذلك على المدى الطويل؟

وبعزم جديد على تصحيح الأمور وتحمل اللوم والمسؤولية عن أي توترات موجودة، ذهبتُ مع زوجتي إلى أولئك الذين شعرنا بأننا قد آذيناهم في الماضي وطلبنا منهم أن يغفروا لنا. وبينما كنا نذهب من واحد إلى الآخر، ابتدأ الفرح يغمرنا.

كان ذلك العام مؤلماً جداً لي ولزوجتي، ولكنه كان مُهمّاً أيضاً. إذ إنه أهّلنا للمسؤوليات التي نحملها الآن، إذ وهبتنا تلك التجربة مشاعر كبيرة من الرحمة والتعاطف نحو الآخرين. وعلمتنا دروساً لن ننساها أبداً. وأول درس هو: أنه لا يهم إن أساء الناس فهمك أو اتهموك ظلماً؛ لكن المهم هو أن لا تسيء أنت فهم الآخرين أو تتهمهم ظلماً. وثانياً هو: أنه بالرغم من أن القدوم على مسامحة الآخرين يجب أن يكون دائماً نابغاً من القلب، إلا أننا لا نستطيع تغيير نفوسنا بفضل جهودنا البشرية الذاتية. فلا تأتي قوة الغفران مِنَّا، نحن البشر، وإنما من تجربتنا الشخصية عندما يغفر لنا الرب يسوع المسيح.

**مَرْجِم وكارولين ويكس Jim and Carolyn Weeks** بأوقات عصيبة مماثلة في العام نفسه. فقد وجدا هما أيضاً أن الغفران هو السبيل الوحيد للمصالحة. وتكتب كارولين قائلة:

في عام 1980م، كُنَّا قد أمضينا سَلَفًا خمس سنوات في أحد مجتمعات برودرهوف، وكان لا يزال طموحنا أن نصير عضوين كاملين في الجماعة الأخوية. ولكن اتَّسم ذلك الوقت بالفوضى في برودرهوف وانتابتنا مشاعر القلق، وعندما لم نتمكن من فهم الأمور، انزعجنا بسهولة وأصبحنا مستائين وانتهى بنا الأمر إلى أن نقع في موقف صعب دون داعٍ.

وأخيرًا قررنا أن نستأذن المجتمع المسيحي لمغادرته لبضعة أسابيع لكي يتسنى لأسرتنا التفكير في الأمر وفهم ما يحدث والحصول على السلام الروحي. ولكن، للأسف، فقد أسيء فهم طلبنا، وانتهى بنا الأمر بهجر الجماعة كُليًا وكأنه رحيل من غير رجعة. فلن أنسى أبدًا كيف ركبنا السيارة وغادرنا. وجاء بعض الأصدقاء لتوديعنا، ولكن كل ما شعرتُ به في داخلي كان فراغًا عظيمًا خاليًا من المشاعر.

فقد كُنَّا متأكدين قبل أسابيع قليلة فقط من أننا سنصبح قريبًا أعضاء دائمين في مجتمعات برودرهوف، أمَّا الآن فقد تحطمت كل أحلامنا. لقد ضَحَّينا بكل شيء للانضمام إلى هذا الأسلوب من الحياة المسيحية الأخوية. ولكوننا زوجين شابين فقد جلبنا معنا بعضًا من هدايا زفافنا التي كانت ما تزال ملفوفة بورق الهدايا. وكُنَّا قد سَلَّمنا سيارتنا وكل ما نملك إلى مجتمع الكنيسة.

أمَّا مجتمع برودرهوف فقد أَمَدَّنَا بشاحنة مملوءة بالأثاث لإعانتنا، بل أَمَدَّنَا حتى بسائق خاص وسيارة خاصة لإيصالنا إلى منزلنا الجديد في مدينة بالتيمور، غير أننا، مع كل ما قدَّمته لنا برودرهوف، كُنَّا لا نزال نصارع مع مشاعر رفضهم لنا وتخليهم عَنَّا. لقد شعرنا كما لو كُنَّا فاشلين فشلًا



ذريعًا. ومع أنه كانت هناك العديد من الأوقات السعيدة معهم، إلا أننا حاولنا أن ننسى جميع ذكرياتنا معهم، وأن نشرع بكل همة وعزم في حياتنا الجديدة في المجتمع العادي في التيمور.

واستغرق مِنَّا الأمر ثماني سنوات حتى تعافينا ماديًا، وذلك بمساعدة كبيرة من الأهل والأصدقاء. وفي ذلك الوقت رضينا بكل ما حلَّ بنا. وحصلنا كِلانا على وظيفة مضمونة، وكان الأولاد مسجلين في مدارس جيدة ولديهم الكثير من الأصدقاء، ولم يَتَبَقْ سوى سنوات قليلة على سداد الرهن العقاري. أمَّا داخليًّا فكُنَّا فارغين وحزاني من جراء العزلة عن شركة الكنيسة، وعلمنا بأن شيئًا مُهمًّا كان ينقصنا. وتحدثنا مبدئيًّا عن محاولة العودة إلى برودرهوف، ولكننا تخلَّينا بعد بضع سنوات عن هذا الأمل تمامًا. ولم ندرك آنذاك أننا كُنَّا قد بنينا جدارًا ضخماً من مرارة الاستياء في قلوبنا.

في صباح ذات يوم، بعد حوالي عشر سنوات من مغادرتنا، رنَّ جرس التليفون بينما كان أولادنا يستقِلُّون أوتوبيس المدرسة. فقد كان على الخط زوجان من برودرهوف اللذان كانا يومئذ في مدينتنا وأرادا زيارتنا. فانتابتنا مشاعر الاضطراب في البداية، ولكننا دعوناها لتناول العشاء. ومع أننا لم نتمكن من تصفية كل مشاعر الاحتقان التي كانت في قلوبنا خلال تلك الزيارة، فقد كُنَّا نعرف مدى عمق جرحنا. وغادر الزوجان، ولم نَرَ أيَّ شخص من أخوية برودرهوف مرة أخرى إلا بعد عدة أشهر، عندما زرناها «لمجرد عطلة واحدة لنهاية الأسبوع.»





جَم و كارولين

وإذا بنا نعود في زيارة لعطلة نهاية أسبوع ثانية، ودُعيَنا إلى اجتماع خاص بالأعضاء لشرح موقفنا الذي أُسيء فهمه وتوضيحه، حتى نتمكن على الأقل من أن نكون أصدقاء مرة أخرى. وبدأ الاجتماع بشكل جيد، ولكننا صُدمنا في نهايته بأن الشخص الذي وثقنا فيه بالأكثر كان فهمه لنا أقل من الجميع. فَجَرَحْنَا هذا الأمر. وبعد ذلك الاجتماع، كُنَّا لا نزال على استعداد لأن نكون أصدقاء مع جماعة الأخوية في برودرهوف، لكن ليس أكثر من ذلك.

ولك أن تتخيل دهشتنا لاحقًا، لأنه في صباح اليوم التالي قاد هذا الرجل وزوجته سيارتهما لمدة ساعتين من أجل رؤيتنا، ومن أجل طلب العفو والسماح مِنَّا. وعندما سمعنا أنهما جاءا، لم نكن راغبين في رؤيتهما في البداية؛ إذ كُنَّا خائفين للغاية مما قد نقوله. ثم وافقنا على مَضِّضِ على التحادث معهما. ولكننا انذهلنا حينما قابلانا بأذرع مفتوحة وعيون

مملوءة بالدموع. وقالوا إنها آسفان، ومدّ لنا كل منهما يده للمصافحة علامةً لتحية السلام. فيا لها من لحظة مؤثرة! فبعد كل ما فعلناه بنا، وبعد عشر سنوات من الكوابيس، وبعد كل ما مررنا به، فكيف يمكننا الآن أن نبدأ من جديد؟ وحاولنا ضبط أنفسنا والإمساك عن التجاوب معهما، ولكننا لم نتمكن من ذلك. فامتدت أيدينا إليهما وغفرنا لهما ... وفي غضون شهور قليلة رجعنا إلى مجتمعنا المسيحي في برودرهوف.

وبمجرد عودة جيم وكارولين إلى دارهما الحقيقي في مجتمع الكنيسة، حتى رأى كلُّ منهما بعد فترة وجيزة أن كليهما مذنبان أيضًا في المشكلة. فتكتب كارولين:

كان علينا أن نرى أن هناك جانبين للقصة — إذ كُتِّبنا نحن شخصيًا عنيدين ومتشبهين بآرائنا. فقد كانت كبرياؤنا عقبة في طريق المصالحة.

**إنَّ الخلافات التي يكون فيها طرف واحد على حقٍّ إنما هي قليلة جدًا.** إذ إننا لا نرى في كبريائنا سوى أخطاء الآخرين ونتعالم عن أخطائنا. فما لم نكن قادرين على تعلُّم القليل من التواضع، لا يمكننا أن نغفر للآخرين أو أن يُغفَرَ لنا. نعم، هذا مؤلم جدًا، ولكنه أمر حتمي وضروري وجزء لا مفر منه في الحياة. وتتيح لنا المغفرة أن نحيا متجاوزين الألم، حتى عندما نعترف به، لكي تأخذنا إلى الفرحة الناشئة عن المحبة. ويكتب م. سكوت بك ما يلي:<sup>[4]</sup>

[4] م. سكوت بك M. Scott Peck طبيب نفساني أمريكي وكاتب معروف.

لا يوجد سبيل إلى أن نحيا حياة غنية بالقيَم ما لم نَكُن على استعداد لتتألم مرارًا وتكرارًا، ونتذوّق الاكتئاب واليأس، والخوف والقلق، والأسى والحزن، والغضب وعذاب مسامحة الآخرين، والحيرة والشك، والنقد والرفض. فالحياة التي تفتقر إلى هذه المشاعر القوية تصبح غير مجدية وبلا فائدة ليس لنا فحسب، بل حتى للآخرين. فلا يمكننا أن نشفي الآخرين دون أن نكون مستعدين للتعرُّض للأذى.

**يتطلب مِنَّا المجتمع الحقيقي** — الأسرة والأصدقاء وزملاء العمل — مشاركة بعضنا لبعض بأفكارنا ومشاعرنا وكل ما في أرواحنا والتحدُّث بانفتاح وحرية. ويذهب سي. إس. لويس إلى حد القول: «لو أحببت، ولو قليلًا، لأصبحت عرضة للخطر والمشاكل. لأنه لا يوجد مكان خارج الفردوس تكون فيه آمنًا تمامًا من كل الأخطار والاضطرابات التي تُكلِّفها المحبة سوى الجحيم.»

**تُرينا قصة جِم وكارولين بوضوح** أن في مقدور الغُفران أن يعيد الناس بعضهم إلى بعض وأن يسترد العلاقات والوئام فيما بينهم. ويمكن للأوقات العصيبة، إذا تَمَّ التغلب عليها، أن تؤدي إلى محبة أعظم. إذ يمكن لها تقوية رابطة الوحدة والوئام بدلاً من إضعافها.

## الْغُفْرَانُ فِي الزَّوْاجِ

يسألني الناس ما نصيحتي لزوجين يصارعان من جراء المشاكل في علاقتهما الزوجية. وأجيبُ دائماً: صَلِّيا وَاغْفِرَا. وأقول للشباب الذين يعانون من العنف الأسري: صَلُّوا وَاغْفِرُوا. وأقول أيضاً مرة أخرى لكل أمٍّ تعيش بمفردها دون أيِّ دعمٍ عائليٍّ: صَلِّيا وَاغْفِرِي.

قَوْلٌ مِنْ

الأم تيريزا Mother Teresa

الراهبة العاملة في كلكتا

والحائزة على جائزة نوبل للسلام لسنة 1979م

وتُلَقَّبُ بِأُمِّ الْفُقَرَاءِ

**لقد رأيتُ مراراً على مدى سنوات عديدة من تقديم خدمة المشورة الزوجية، أنه ما لم يسامح الزوج والزوجة أحدهما الآخر يومياً، يمكن أن يصبح الزواج جحيم حية.** وقد رأيتُ أيضاً أنه يمكن غالباً حلَّ المشكلات الشائكة بكلمتين بسيطتين ألا وهما: «أنا آسف.»

قد يكون طلب الصفح من شريك الحياة أمراً صعباً. إذ يتطلب الأمر تواضعاً واعترافاً بالضعف والفشل. ومع ذلك، فإنَّ هذا الأمر بالتحديد هو ما يجعل الزواج مُعافىً وسعيداً: لأن كلا الشريكين

يعيشان في تواضع متبادل، وهما على وعي تام بأن حياتهما الروحية تعتمد على كل منهما.

**ديتريش بونهوفر Ditrach Bonhoeffer** وهو القسيس الألماني الشهير الذي سجنه هتلر في الثلاثينيات من القرن الماضي بسبب معارضته للنظام النازي، اعتاد أن يخبر أفراد الجماعة المسيحية الصغيرة التي أسسها عن أهمية وضرة «أن تحيوا معًا بالتحلي بموقف المغفرة بعضكم لخطايا بعض»، وإلا فلا يمكن لأي شركة إنسانية أن تنجح — وبالأخص الزواج. وكتب ذات مرة للمتزوجين ما يلي:

لا تُصِرّا على حقوقكما، ولا يَلُمّ أحكما الآخر، ولا تحكما أو تُدِينا أحكما الآخر، ولا يتصَيّد أحكما أخطاء الآخر، وإِما لِيَقْبَل أحكما الآخر كما هو عليه، وليغفر أحكما الآخر كل يوم ومن أعماق قلوبكم. ولتكن القاعدة السائدة عندكما من اليوم الأول لزوجكما وإلى آخر يوم هي كالآتي: «لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيُّضًا قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللَّهِ.» (رومة 15: 7)

**خلال خمسين عامًا من زواجنا أنا وزوجتي فيرينا Verena** (حيث احتفلنا هذا العام 2016م بذكرى اليوبيل الذهبي لزواجنا)، كانت حياتنا الزوجية مليئة بالفرص التي تختبر فيما إذا كان أحدا مستعد لأن يغفر للآخر أو لم يكن. فبعد أسبوع واحد فقط من زفافنا واجهتنا الأزمة الأولى. فقد كانت أختي، وهي جيدة في فن الخزف، قد صنعت لنا طَقْمًا جميلًا من الأطباق الخزفية. وكُنَّا قد دعونا والدي وأخواتي لتناول العشاء في شقتنا الجديدة، وكانت فيرينا قد



المؤلف يوهان كريستوف آر نولد وزوجته فيرينا يوم الزفاف

قضت فترة ما بعد الظهر كلها في الطهي وإعداد الطعام. وقمتُ أنا بإعداد مائدة الطعام مُستخدِماً الأواني الخزفية التي صنعتها أختي. ووصل أهلي وجلسنا لتناول الطعام. فإذا بطرفي المائدة ينهاران فجأة — لأنني لم أثبت الألواح الخشبية الإضافية الخاصة بتطويل المائدة في مكانها الصحيح. فافتش الطعام والأواني الخزفية المكسورة أرضية الغرفة كلها، فهربت زوجتي من الغرفة والدموع تملأ عينيها. ومرّت ساعات قبل أن تتمكن زوجتي من أن تغفر لي، وأمكننا عندئذ من الضحك على تلك الكارثة، رغم أنها أصبحت الآن أسطورة عائلية مُسلية.

وعندما أصبح لدينا ثماني أطفال، كانت هناك أسباب كثيرة للخلافات. فكانت فيرينا تُحمّم الأطفال في كل مساء وتلبسهم بيجامات نظيفة، ومن ثم ينتظرون على الكنبه مع كتبهم المفضلة لقصص الأطفال لكي أقرأ شيئاً منها لهم عندما أصل البيت راجعاً

من عملي. ولكنني عندما كنتُ أصل البيت، عادة ما كان الأطفال يريدون اللعب، وينتهي بنا الأمر في بعض الأحيان إلى أن يرمي بعضنا بعضًا بالحشائش في الحديقة. أمّا فيرينا فما تزال تتذكر الساعات التي قضتها في إزالة بقع الحشيش والطين من أرضية البيت — مع شيء من التذمُّر!

لقد عانى معظم أولادنا من مرض الربو؛ وعندما كانوا صغارًا كانوا يوقظوننا كل ليلة تقريبًا بسعالهم وأزيز تنفسهم. وكان هذا أيضًا سببًا يثير الخلاف بيننا، خاصة عندما كانت فيرينا تُذكرني بأنه أنا أيضًا يمكنني مثلها النهوض من السرير والاهتمام بهم.

وكان لدينا الكثير من المجادلات أيضًا في مسألة عملي. فقد كنتُ أقوم برحلات عمل كثيرة تستغرق أيامًا لا حصر لها، لكوني مندوبًا لمبيعات دار النشر الخاصة بنا. ولمّا كانت مساحة المنطقة التي أعمل بها كبيرة وهي غرب ولاية نيويورك — مدينة بافالو وروتشستر وسيراكيس — فغالبًا ما كنتُ أقود السيارة بمسافة ما بين ستٍّ إلى ثماني ساعات عن منزلنا. واضطرتُّ لاحقًا إلى القيام برحلات متكررة إلى كندا وأوروبا وحتى إفريقيا، باعتباري راعيًا كنسيًا. ودائمًا ما كان الأمر ينتهي بي أثناء مجادلاتنا إلى أنني أقوم بالدفاع عن مثل هذه الرحلات بأن أقول إنّها ذات «أهمية حيوية»، رغم أن هذا التأكيد لم يفعل شيئًا يُذكر لتهدئة زوجتي، التي كانت تحزم حقائبها، وتقوم بتنسيق جدول مُكثَّف لإدارة الأسرة بنفسها أثناء غيابي، وغالبًا ما كانت تبقى في البيت مع الأولاد.

ثم يأتي وقت قراءة جريدة «نيويورك تايمز». فبعد قضاء يوم شاق في السياقة، لم أتمكن من رؤية السلوك الخاطئ في التَّمَدُّد والاستلقاء وقراءة الجريدة لبضع دقائق بينما كان أولادي يلعبون

بفرحٍ حوَالِيٍّ، وكنتُ أشدُّ على هذا السلوك بقوة. ولم يسعني آنذاك رؤية أنانيتي هذه إلَّا فيما بعد.

وغالبًا ما أتساءل الآن: ما الحال الذي كان زواجنا سينتهي إليه لو لم يتعلم أحدنا مسامحة الآخر في كل يوم منذ البداية؟ وهناك الكثير من الأزواج الذين ينامون على سرير واحد ويسكنون في بيت واحد، ولكن بعضهم يَظَلُّ نفسيًّا بعيدًا عن بعض بمسافة أميال، لأنهم أقاموا جدارًا من الاستياء فيما بينهم. وقد تكون الحجارة التي بُني بها هذا الجدار صغيرة جدًّا — كنسيان ذكرى الزواج، أو سوء فهم، أو اجتماع عمل أُعْطِيَ له أهمية أكثر من نزهة عائلية طال انتظارها. غير أنَّ الانقسام الناتج عن هذه الأمور يمكن أن يؤدي إلى كارثة في العلاقة الزوجية والأسريَّة.

**يمكن إنقاذ العديد من الزيجات** من خلال الإدراك البسيط بأننا — نحن البشر — ليسوا كاملين. إذ غالبًا ما يفترض الأزواج أن العلاقة «الجيدة» هي العلاقة الخالية من المجادلات والخلافات. وعندما يعجزون عن الارتقاء إلى مستوى هذا الافتراض غير الواقعي، يصابون بخيبة أمل؛ وسرعان ما ينفصل الزوجان أحدهما عن الآخر على أساس «عدم التوافق».

إنَّ النقص البشري أو عدم كماله يعني أننا سنرتكب أخطاء وسيجرح بعضنا بعضًا بمعرفة أو حتى بغير معرفة. وقد وجدتُ في حياتي الشخصية أن الحل الوحيد الآمن لإخفاقاتنا هو أن نغفر، سبعين مرة في اليوم إذا لزم الأمر، مثلما يوصينا الرب يسوع المسيح. أمَّا سي. إس. لويس فيكتب ما يلي:



كيف يمكننا أن نغفر الاستفزازات المستمرة في الحياة اليومية، وأن نستمر في مسامحة الحماية المُتسلّطة، والزوج المُتَنَمِّر، والزوجة المزعجة، والبنت الأنانية، والابن المخادع؟ وأعتقد أن الجواب كامن في أنه علينا أن نتذكّر نوع الموقف الذي نريد اتخاذه في حياتنا، وأن نعني ما نردده في صلاتنا الربانية كل ليلة عندما نقول: «وَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا.»

**هانز ومارجريت ماير Hans and Margrit Meier** هما والدا زوجتي، وتشهد قصتهما على القوة القديرة التي تحملها المغفرة والموصوفة وصفًا رائعًا في أحداثها. فقد كان هانز رجلًا مُتصلبًا في إرادته وتَسَبَّب عناده في افتراقهما وانفصال علاقتهما الزوجية لأكثر من مرة. ولقد كان هانز سابقًا مُعارضًا قويًا للنزعة العسكرية في بلده سويسرا، وقد سُجن بعد مضي أشهر قليلة على زواجهما في عام 1929م لأنه رفض الالتحاق بالجيش السويسري.

وبعد وقت قصير من إطلاق سراحه من السجن، انفصل الزوجان ثانية. وكان السبب يعود إلى أن زوجته مارجريت قد عثرت بصورة غير متوقعة على مجتمع برودرهوف، الذي يحيا حياة مسيحية مشتركة بتكريس مؤبد، وأرادت الانضمام إلى مجتمعنا. أمّا هانز، ذو التوجّه الاشتراكي الديني الذي كانت له أفكار مختلفة عن الحياة المسيحية المشتركة، فلم يرغب في الانضمام إلى مجتمع برودرهوف. وقد أنجبت مارجريت طفلها الأول بعد مدة قصيرة من انضمامها إلى مجتمع برودرهوف، وتوسّلت إلى زوجها هانز للانضمام إلى المجتمع المسيحي، ولكن هانز ليس من النوع الذي



هانز وزوجته مارجريت

يلين عوده بسهولة. ومرّت عدة أشهر قبل أن تفلح مارجريت في إقناعه بالمجيء.

ولاحقًا، بعد مضي ثلاثين عامًا وبعد إنجاب أحد عشر طفلًا، انفصلا مرة أخرى. وكانا في ذلك الوقت يعيشان في قارة أمريكا الجنوبية؛ وكان ذلك في عام 1961م، الزمن الذي حصل فيه ارتباك واضطراب داخليّان وكبيران لبرودرهوف. وأصبح هانز في قطيعة مع زوجته ومع الجماعة المسيحية، لأنه لم يستطع رؤية أخطائه أو مسامحة الآخرين على أخطائهم بحقه. ومن ثم انتقلت مارجريت والأطفال إلى مجتمعنا المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية. أمّا هانز فأصرّ على موقفه واستقرّ في مدينة بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين، حيث مكث هناك لمدة أحد عشر عامًا.

ولم تكن هناك علامات على أنه يحمل أيّ ضغينة أو بغض، لكن لم تكن هناك من ناحية أخرى علامات على الشفاء أيضًا. وأخذ ينشأ تدريجيًا جدار من مرارة الاستياء بينهما الذي صار يهدد بالانفصال الزوجي المؤبد. وعندما تزوّجت من ابنتهما فيرينا عام

1966م، لم يحضر هانز حتى احتفال الزفاف، وبدأ أطفالنا يكبرون دون جدٍّ من طرف أمهم.

في عام 1972م سافرتُ إلى مدينة بوينس آيرس مع شقيق فيرينا، أندرياس، في محاولة لإجراء نوع من المصالحة مع هانز، ولكن هانز لم يُبدِ اهتمامًا بذلك — ولاسيما في البداية. ولم يرد شيئاً سوى أن يحكي لنا ما يخصه من القصة، وأن يُعلمنا مرة أخرى بعدد المرات التي تعرّض فيها هو للإساءة. غير أنه في اليوم الأخير من رحلتنا حدث تغيير عنده. إذ أخبرنا بأنه سيزورنا في الولايات المتحدة الأمريكية. وشدّد على أن زيارته ستكون لمدة أسبوعين فقط، لا أكثر، وأكّد على أنه سيشترى تذكرة ذهاب وإياب. ولكن هذه الرحلة كانت في الحقيقة بداية حلّ المشكلة وانفراج الأمور.

وعندما تحققت الزيارة أخيراً، خاب ظننا. لأن هانز لم يستطع أن يغفر إطلاقاً. فقد بذلنا قصارى جهدنا لحلّ صعوبات الماضي والاعتراف بذنبنا في الأحداث التي أدت إلى غربته الطويلة، ولكننا لم نحصل على أيّ نتيجة. وقد أدرك هانز في قرارة فكره أن الشيء الوحيد الذي يفصل بيننا وبينه هو عدم قدرته على أن يغفر لنا. ومع ذلك، لم يتمكن من أن يُقدّم على مسامحتنا.

ثم جاءت نقطة التحوّل. ففي منتصف أحد اجتماعات مجتمعنا المسيحي، استجمع عمّي هانز هيرمان كل قوّته، الذي كان على مشارف الموت بسبب إصابته بسرطان الرئة، ونهض من كرسيه، ومشى نحو هانز، ورَبَّتَ على صدر هانز قائلاً له: «يا هانز، يجب أن يحدث التغيير هنا!» وقد كلّفتُ هذه الكلمات جهداً هائلاً: لأن عمّي هانز هيرمان كان يحصل على أوكسجين إضافي بأنابيب جهاز التنفس من خلال فتحتي الأنف، ونادراً ما كان يتكلم. أمّا هانز فاستسلم وتجرّد من غلاظة القلب في تلك اللحظة. فتلاشى فتوره،

وهناك قرر عندئذ أن يغفر — ويعود إلى الكنيسة. وبعد أن سافر إلى الأرجنتين لتصفية أعماله، عاد لينضم إلى زوجته مارجريت وإلى مجتمع الكنيسة، وسرعان ما أثبت هانز أنه العضو المتفاني والحيوي نفسه الذي كان عليه قبل عقود.

لم يَمَسَّ هانز مطلقاً أيَّ امرأة أخرى طوال السنوات التي قضاها بعيداً. وكانت زوجته مارجريت أثناء تلك العقود الطويلة تُصلي يومياً من أجل عودة زوجها. وعلى كل حال، فقد انجرح كلاهما، واستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى يعيدا بناء ثقة أحدهما في الآخر بشكل كامل. وبصفتي زوج ابنتهما، فلا يسعني إلا أن أشهد أنهما نجحا فعلاً في ذلك: فقد عاشا معاً بِحُبٍّ وفرح، وكذلك مع أولادهما، وأحفادهما، وأحفاد أولادهما، إلى أن تَوَفَّتْ مارجريت بعد ستة عشر عاماً من ذلك الوقت.

**السؤال المطروح هو أننا حتى لو غفرنا لشخص أساء إلينا كثيراً،** أليس من الطبيعي أن نَظَلَ ناقمين عليه من جراء ما فعله بنا؟ إن هذا السؤال صعب، ولكن ربما يتعلق الموضوع بالمشكلة التي عندنا نحن البشر في أن نظرتنا البشرية تؤكد على العدالة أكثر من الغُفران. إلا أن الغُفران هو أكثر من مجرد عدالة، مثلما اكتشف ذلك هانز ومارجريت. فإنه هِبَة إلهية. وقد يبدو هذا أمراً غير منطقي وغيبياً في نظر أولئك الذين لا يمكنهم قبول الغُفران.

**تُظهر لنا قصة والدي زوجتي** أنه يمكن التئام حتى الانفصال الزوجي الطويل الأمد. ولكن، أيمن إصلاح العلاقة الزوجية التي أتلُفها الزنى أو سوء المعاملة إصلاحاً كاملاً؟ من السهل أن نجيب على هذا السؤال: نعم لا يمكن إصلاحها، لكن من واقع خبرتي، فإن معظم الناس يمكن

أن يتغيروا وينصلحوا لو أعطيناهم الوقت الكافي، والتحفيز، والدعم الاجتماعي والمادي. إذ إنَّ المحبة تصالح وتغفر. وحتى لو فرضت الظروف انفصلاً مؤقتاً، فإنَّ الحب الوفي هو السبيل الوحيد للشفاء ولمَّ شمل الأسرة. أمَّا الذين يُطلِّقون ويتزوجون ثانية، فهم يخلقون الباب أمام فرص المصالحة في المستقبل.

وبطبيعة الحال، فإنَّ النكث الفادح لعهد الزواج وعدم الوفاء به بسبب الخيانة الزوجية يمكن أن يستغرق سنوات لشفاء العلاقة الزوجية. ففي البداية، قد يكون من الضروري أن يعيش الزوجان منفصلين أحدهما عن الآخر، وأن يحصل على مشورة من متخصصين، أو مساعدة أقل رسمية من المعارف أو الأقارب، تحت إشراف شخص يثق كلاهما فيه. ولا بد أن يكونا راغبين في العمل من أجل إعادة بناء ثقتهم حتى يمكن استعادة الزواج.

**ايد وزوجته كارول Ed and Carol**، قدَّمتُ لهما المشورة بسبب انهيار زواجهما بفعل الزنى. وقد تزامن تقديمي لتلك المشورة مع بداية كتابتي لهذا الكتاب. فقد تزوّجا منذ تسع سنوات. وقد بدأ ايد يحصل على مشاكل من جراء الشرب حتى من قبل زواجه، مما تسبَّب في كثير من التوترات في زواجهما منذ البداية. ومع أنهما كانا يعيشان تحت سقف واحد، إلَّا أن أحدهما ابتعد نفسياً عن الآخر أكثر فأكثر. وبعد بضع سنوات من زواجهما، بدأ ايد بعلاقة سرية مع جارتة. ورأت كارول نفسها أنها بدأت تصبح مكتئبة أكثر فأكثر، رغم أنها لم تعرف السبب مطلقاً.

كان ايد وكارول قد انضمَّا إلى مجتمعات برودرهوف في منتصف التسعينيات. ولم تمضِ سوى بضعة أيام على مجيئهما إلى مجتمع الكنيسة حتى أخبر ايد زوجته مُعترِفاً بعلاقته مع جارتها.

فلم يُتَحَ له ضميره المذنب الشعور بالسلام، ووجد نفسه بأنه لم يعد قادراً على كتم سرّه. أمّا كارول فانداهلت كلياً لما سمعت. فقد كان في داخلها إحساس لفترة طويلة بوجود شيء غير صحيح، لكنها لم تتخيل مطلقاً مثل هذا الخداع. وأخبرت أيد في غضبها — المفهوم — بأن زواجهما قد انتهى، وبأنها لا يمكنها أبداً أن تغفر له.

لم يكن من الصعب عليّ أن أتعاطف مع مشاعرها، لكنني علمت منذ البداية أنه إن لم تتمكن كارول من الغفران لزوجها أيد فلن تُشفى أبداً جراحاتها العميقة التي تسبب أيد فيها. وشرحت لها أنها إذا سلّمت نفسها فريسة إلى دوامة الشعور بالهزيمة والانخداع، فلن يؤدي ذلك إلا إلى زيادة الهوة بينهما، واستبعاد إمكانية عودتهما مجدداً إلى علاقتهما الزوجية إلى الأبد.

وفي الوقت نفسه، نصحتهما بالانفصال السكني الفوري مع ضمان تقديم المشورة لِكلا الشريكين. فمثل هذا الانفصال من شأنه أن يساعد كلاً من أيد وكارول على التعامل مع مشاعرها وتصفيتهما كُلاً على حدة. فلم يكن هناك أيُّ «حلّ سريعٍ» إذ إنّ هذه العملية مؤلمة وتتطلب وقتاً طويلاً. فكان لابد من بناء علاقة جديدة بناءً كاملاً من الأسفل إلى الأعلى.

وتم فصل أيد وكارول لعدة أشهر، ولكن حقق كلاهما تقدماً ملحوظاً في علاقتهما خلال هذه المدة. وكانا يتواصلان في البداية عن طريق المكالمات الهاتفية فقط. وفيما بعد، أصبحت مكالمتهما أطول ويطغي عليها طابع الارتياح النفسي بدرجة أكبر، ومن ثم بدأ بتبادل الزيارات أيضاً. وتوقف أيد عن الشرب، وصار الفرح والتحرُّر اللذان عادة ما يتبعان الإقرار بالذنب يحلّان تدريجياً محلّ عذاب شهور طوال قضاها في تفحص روحه وقلبه. أمّا كارول فقد مرّت بأوقات عسيرة كثيرة وصارعت صراعاً روحياً فيها، ولكنها كانت حريصة على

البدء من جديد — ليس من أجل أولادها الذين بقوا معها عندما انتقل ايد من المنزل فحسب، بل من أجلها هي أيضًا.

وبدأت تشعر بحب جديد لزوجها ايد. والأهم من كل ذلك أنها كانت على استعداد لتسامحه كليًا. وبمجرد أن أدركت أنها هي أيضًا لم تكن مُنَزَّهة عن كل لوم في القطيعة التي حصلت بينهما، استطاعت عندئذ أن تتقابل مع ايد عند هذا المستوى المتواضع والوقوف على أرضية مشتركة.

والآن، وبعد مضي عشرة أشهر، عاد ايد وكارول إلى علاقتهما الزوجية ثانية. وفي اجتماع صلاة خاص عقده مجتمع الكنيسة للاحتفال بإعادة تأسيس زواجهما، أعلن ايد وكارول جَهْرًا عن مغفرتهم أحدهما للآخر، فصادقت الكنيسة على هذه المغفرة وباركتها. ثم تبادلا خاتمي زواج جديدين بوجهين باسمين.

**لم يكن ايد وكارول أول زوجين** أقوم بتقديم المشورة لهما من بين الذين قد مرُّوا بالعذاب النفسي الذي يسببه الزنى والخيانة الزوجية، وربما لن يكونا آخر زوجين. ومع ذلك، أنا واثق من أن الأزواج الآخرين سيجدون القوة للتعامل مع المواقف الصعبة في الحياة دون التأثير على علاقتهما الزوجية والصمود حتى في وجه مثل هذه العاصفة، ما دام كلا الشريكين على استعداد للسعي إلى تجديد العلاقة بينهما على أساس المغفرة والمحبة المتبادلتين.

## مسامحة الوالد المُسيء أو الوالدة المُسيئة

سنتحرر عندما ندرك أنه لا يتعيّن علينا أن نكون ضحايا لماضينا وأنه بإمكاننا أن نتعلم طُرُقًا جديدة في التعامل. غير أنّ هناك خطوة أوسع من هذا الإدراك ... إنها خطوة المسامحة. فالمسامحة هي محبة تُمارَس بين ناس قليلي المحبة. وهي تحرّرنا من دون أن نترجى شيئًا بالمقابل.

قَوْلٌ مِنْ

هنري ج. م. نووين Henri J. M. Nouwen  
وهو قسيس كاثوليكي ألماني، وكتب 40 كتابًا روحياً

**في يومنا هذا، يصارع كل إنسان روحياً للعثور على شفاء من ماضيه الأليم المليء بالمشاكل. فقد تعرّضت نفوس لا حصر لها لجروح نفسيّة بليغة بسبب ظاهرة الإساءة للطفولة — الإساءة النفسيّة، والجسديّة، والأسوأ من ذلك كله الإساءة الجنسيّة. وتتناول المجلات والبرامج التلفزيونية هذه المواضيع يوميًا. إذ يروي الناجون بصراحة قصصهم المؤلمة في برنامج تلو الآخر للجمهور الفاتر وغير المبالي.**



ويبدو مع ذلك أنه مهما قاموا به من مكاشفة نفسية فلن يجلب ذلك لهم الشفاء الذي يتوخونه. فكيف يمكنهم الحصول على الشفاء؟

**نشأ رونالد Ronald** في مزرعة بمنطقة سلاسل جبال الأبلش غربي ولاية بنسلفانيا الأمريكية. وكان ما يقرب من أربعين فردًا من الأهل والأقارب يتقاسمون السكن في منزل واحد، محاولين كسب لقمة العيش عن طريق زراعة أرضهم. واتسمت طفولته بالوحشية. فكان يتحدث عن أولاد أعمامه الذين حاول بعضهم شنق بعض، وعن جدّة أطلقت ذات مرة عيارًا من الملح الصخري على الأولاد غير المطيعين مستعملة بندقية.

أمّا والد رونالد فكان رجلاً ذكيًا، وغادر أخيرًا المزرعة مع أولاده وانتقل إلى جزيرة لونج آيلاند في ولاية نيويورك، حيث وجد عملًا. وتحسّن وضعه المادي، أمّا علاقاته فلم تتحسن. فقد تركته زوجته، وكان يضرب أولاده بشكل متكرر، وأحيانًا بقسوة. فعاش رونالد في خوف دائم من العنف الذي كان ينتظره كل يوم بعد عودته من المدرسة إلى البيت.

ثم أصيب والده بجروح بالغة في حادث سيارة. فكُسرت رقبته وأصيب بالشلل من الرقبة إلى الأسفل. وبعدما كان الطاغية في البيت، أصبح الآن مصابًا بشلل نصفي، ويعتمد اعتمادًا كليًا على الآخرين لرعاية احتياجاته اليومية.

أمّا رونالد الذي كان ما يزال شابًا آنذاك، فكان لديه كل الدواعي لهجر والده. فلماذا كان عليه البقاء في البيت والاهتمام بالرجل الذي دمر حياته؟ ومع ذلك فهو لم يرح من جوار والده مطلقًا. ورغم أن الإعانات الطبية وإعانات المعاقين المشمولة بالضمان الصحي تُقدّم بعض المساعدات التمرضية، إلّا أن رونالد تولى معظم

رعاية والده بنفسه. فكان رونالد يعتني بإخلاص باحتياجات والده اليومية — من غسيل ملابسه، وتبديل ثيابه، ومساعدته في أداء التمارين الرياضية لأطرافه العاجزة التي ضربته ذات مرة بلا رحمة، وإلى درجة الإغماء أحيانًا. وغالبًا ما كان يأخذه إلى الخارج في الهواء الطلق على كرسيه المتحرك، ويتحدثان معًا عن المعارك النفسيّة التي خاضها كلاهما، وما زالَا يخوضانها.

ولا تزال مشاعر هلع الماضي تطارد رونالد من وقت لآخر، لكنه يقول إنه أخيرًا حصل على قدر من السلام الذي افتقده بشدة في طفولته. والأهم من كل شيء أن خدمته التي يُقدّمها لوالده بدافع المحبة تشهد للغفران والشفاء الروحي اللذين يشعران بهما كلاهما الآن، هو ووالده.

**كارل كايدرلينج Karl Keiderling**، (الذي كان فردًا من أفراد مجتمعات برودرهوف وتوفي عام 1993م)، عانى من طفولة قاسية جدًّا في ألمانيا. فقد كان الابن الوحيد لأسرة ألمانية من الطبقة العاملة. وكانت سنوات نشأته الأولى تشوبها الحرب العالمية الأولى والدمار الاقتصادي الذي أعقبها. وتوفيت والدته وهو في الرابعة من عمره، وتوفيت زوجة أبيه حين كان في الرابعة عشرة من عمره. وبعد وفاة زوجة أبيه، نشر والده هذا الإعلان في الجريدة ولم يذكر فيه ابنه كارل عن عمِّه: «أرملٌ لديه ثلاث بنات يبحث عن مُدبِّرة منزل؛ مع إمكانية الزواج منها في المستقبل.»

تقدّمت عدة نساء له، وفي النهاية قرّرت إحداهن البقاء. ولم تكتشف تلك المرأة وجود الفتى في البيت إلّا بعد حين، فلم تغفر تمامًا لوالد كارل إخفائه هذا الأمر عنها مطلقًا. فأخذت تهمل إطعام

كارل بصورة جيدة، إذ كان طعامه دائماً أقل من طعام بقية أفراد الأسرة، وكانت تتشكى منه باستمرار.

أمّا والد كارل فكان صامتاً إزاء سلوك زوجته الجديدة القاسي والخالٍ من المشاعر، ولم يفعل شيئاً للدفاع عن ابنه. وفي الواقع، انضم إليها في إساءة معاملة الفتى، وغالباً ما كان يضربه بالحزام الجلدي المُثبَّت عليه حلقات نحاسية. وعندما كان كارل يحاول حماية نفسه، كان والده يزداد غضباً ويضربه على رأسه ووجهه.

هجر كارل المنزل فور تمكنه من ذلك. وبعد أن أنجذب إلى الحركة الشبابية التي اجتاحت ألمانيا بعد سنوات الحرب، التحق



كارل كايدرينج جالس مع أحد أولاده  
عندما تزوج لاحقاً

فيها وانضم إلى صفوف الملحدّين، والفوضويين (السّاعين للإلغاء الحكومات والاستبداد)، وغيرهم من الذين آمنوا بضرورة تغيير العالم، وبالشروع في النضال لضمان عدم عودة المجتمع على ما كان عليه من تعسف وظلم مرة أخرى أبداً. وصار يتجوّل في أرجاء ألمانيا حتى وجد مجتمع برودرهوف للحياة المسيحية المشتركة بطريق الصدفة، حيث شعر في الحال بالمحبة والقبول، وقرر البقاء فيه. وأخذ كارل يعمل ويخدم بنشاط وحماسة في حياة الجماعة، ولكن

تجارب طفولته لم ترحل عنه. لأن استيائه من والديه ظلّ موجوداً وكأنه حملٌ ثقيلٌ على قلبه. وأخيراً ذهب إلى جدي ايرهارد آرنولد

(الذي كان راعياً روحياً لمجتمع برودرهوف آنذاك) وأفرغ له مشاعر الغضب والكرهية التي في قلبه.

غير أنَّ نصيحة ايرهارد كانت مذهلة: فقد اقترح ايرهارد عليه أن يكتب رسالة لوالديه ويطلب كارل شخصياً العفو والغُفران منهما، لإصلاح المواقف التي جرح فيها هو مشاعرهما عن قصد، أو سبب لهما الحزن فيها. وأخبر كارل بأن لا ينظر إلّا إلى ذنوبه التي ارتكبها هو بحقّهما وليس إلى ذنوبهما بحقّه. فاندesh كارل من جوابه في البداية، ولكنه أخذ بنصيحة جدي في النهاية. فقام والد كارل بتقدير الرسالة واستحسانها، ورغم أن والده لم يعتذر عن أيّ من الأخطاء الفظيعة التي ارتكبها بحقّ ابنه كارل، إلّا أن العبء الذي أثقل كاهل كارل أُزيل. فحصل كارل على السلام الروحي أول مرة في حياته، وأنهى فصلاً مؤلماً من حياته، ولم يعد يشكو ثانية من طفولته مطلقاً.

**ماري Mary وهي صديقة لأسرتنا، تغلبت على ذكريات مؤلمة من سوء المعاملة بطريقة مماثلة، فتقول:**

توفيت أُمي في سنّ الثانية والأربعين، تاركة وراءها أبي وثمانى أطفال، تتراوح أعمارهم بين سنة وتسعة عشرة سنة. وشكّل هذا فقدان وقعاً مأساوياً على عائلتنا، فقد أنهار أبي نفسياً في ذلك الوقت الذي كُنّا في أمس الحاجة إليه. وحاول التّحرّش بي وبأختي، فبدأتُ أستاذ من وجوده وأكرهه.

وانتقل أبي إلى منزل آخر، أمّا أنا فسافرتُ إلى أوروبا للدوام في مدرسة هناك، ولم أره ثانية لمدة سبع سنوات. إلّا

أنني تمسكتُ بمشاعر الكراهية نحوه، وصارت تلك المشاعر تستفحل في داخلي.

وعندما رجعتُ إلى أمريكا الجنوبية، وقعتُ في حب شاب من أصدقاء طفولتي وخطبني. وطلب أبي مقابلي، ولكنني رفضتُ ذلك. فلم أرغب في مقابلته بأيِّ حال من الأحوال. أمّا خطيبي فأصرَّ على أن أقابل أبي. وقال لي إنه لا يحقُّ لي رفض مثل هذه المقابلة، وإنه عليَّ التجاوب مع اشتياق أبي إلى المصالحة. لقد كلَّفني ذلك معركة حقيقية وصراعاً روحياً، ولكنني وافقتُ في النهاية.

والتقينا مع أبي في أحد المقاهي. وقبل أن أقول أيَّ شيء، التفتَ أبي نحوي، وهو مكسور الخاطر، وطلب مني أن أغفر له. فتأثرتُ بشدة، وأدركتُ أنني لا يمكنني التمسُّك بكراهيتي لأبي أكثر من ذلك.

**ربما تُعتبر مسامحة إساءة معاملة الأطفال** من أصعب الأمور في العالم. إذ ينظر الناس إلى الضحية — أي الطفل — بأنه دائماً بريء جداً، في حين ينظرون إلى الجاني — شخص بالغ — بأنه دائماً مذنب جداً. فلماذا ينبغي أن يغفر الأبرياء للمذنبين؟ ويعتقد العديد من ضحايا إساءة معاملة الأطفال اعتقاداً خاطئاً أنهم يتحملون شخصياً بعضاً من اللوم: أي بمعنى أن لهم، بطريقة أو بأخرى، ضلعاً في تسبُّب هذه الإساءة أو حتى إنهم يستحقونها. وفي الواقع، فإنَّ أغلب الهيمنة النفسية التي يفرضها الجاني على ضحيته، حتى بعد انتهاء الاعتداء الجسدي، تأتي من هذا الوهم الخادع جداً للتواطؤ. فإنه جزء من عملية جعل الإنسان المُعتدى عليه ضحية. وهذا هو الوهم الذي يجعل الضحية تتحمَّل جزءاً من الذنب أو الجريمة. فبالتالي وعندما

تغفر الضحية للمعتدي، ألا يعني ذلك ضمناً أن الضحية تستحق نصيبها من اللوم ولو جزئياً؟

غير أن هذا السؤال بعيد كل البعد عن الحقيقة ويأخذنا في مسار باطل. فالغفران ضروري لأن كلاً من الضحية والمعتدي — الذي يعرف أحدهما الآخر في معظم الحالات، أو حتى تربطهما صلة قرابة — هما ببساطة أسيران لظلمة مشتركة. وسيبقى كلاهما في هذه الظلمة إلى أن يفتح شخص ما الباب، أي بمعنى باب الغفران. فالغفران هو السبيل الوحيد للخروج من تلك المشكلة، وإذا اختار المعتدي أن يبقى في الظلمة، فهذا ينبغي أن لا يمنعنا من الخروج من الظلمة. وإذا تركنا الباب مفتوحاً، فقد يتبعنا المعتدي (أو المعتدية) ويخرج إلى النور.

**كيت Kate وهي جدّة الآن في أحد مجتمعات برودرهوف، تعرّضت هي الأخرى إلى سوء المعاملة حينما كانت طفلة تعيش مع أسرته خارج مجتمع الكنيسة. إلا أنها بعدما تواجهت شخصياً مع مشاعرها، وجدت أنها بإمكانها التصالح مع والدتها التي اختبرت توبة قلبية آنذاك، فما هي تقول:**

ولدت في مدينة كندية صغيرة بعد الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة، وكنت أكبر طفلة لأسرة ذات خلفية روسية وتنتمي إلى طائفة المينونايت المسيحية Menonite. وكُنّا مزارعين صغاراً في قرية ذات نمط حياة زراعية تزرع المحاصيل لمجرد الاكتفاء الذاتي، وكانت الظروف بدائية للغاية.

وبعدما باع والدي مزرعتنا، كان عليه الذهاب إلى المدينة يومياً للعمل. وكانت وظيفة الوالد الإنشائية على بعد

خمسة وعشرين ميلاً، وبعد اثنتي عشرة ساعة من العمل اليومي كان عليه أن يعمل أيضاً في قطعة أرض زراعية صغيرة أبقيناها مُلكاً لنا.

لقد كُنّا أربعة أطفال، وكلنا بنات. وكانت هناك توترات مبطنة في أسرتنا، ولكننا لم نكن نفهم أسبابها. وعندما وُلِد أخي بعدي بتسع سنوات، ساءت الأمور. وأخذ وجود أمي في البيت يتناقض تدريجياً شيئاً فشيئاً. ولم نفطن للأمر حينها، ولكنها بدأت بالشرب.

وسرعان ما بدأت والدتي بالعودة إلى المنزل ثملة، وبعد ذلك انفصل والداها. ولم تكن هناك أيُّ حياة عائلية جديدة بالذكر؛ فكان البيت مُهملاً، ولم تُغسل الملابس مطلقاً. وصار كل شيء مُلقى على عاتق كيت لوحدها، تلك الفتاة البالغة من العمر ثلاثة عشر عاماً. فتقول كيت:

عندما دخل أخي جيمي، الأصغر سنّاً، المدرسة، نادراً ما كانت أمي موجودة في البيت. ولم أتمكن مطلقاً من إنجاز فرائضي المدرسية في البيت، ولم أتعلم الكثير. ورسبتُ في الصف التاسع وكان عليّ إعادته في العام الذي تلا.

وبعد فترة، هجرتُ اثنتان من أخواتي البيت، وحصلتا كِلتاها على وظيفة، وتقاسمتا شقة في المدينة. أمّا أنا فبقيتُ في البيت. فكان لابد من وجود شخص يعتني بإخوتي الصغار. ومع رداءة كفاءتي في التدبير المنزلي، إلّا أنني تمكنتُ على الأقل من إعطائهم شيء يأكلونه.

كانت مستشفيات المعاقين عقليًا وجسديًا مزدحمة في بلدتنا، وبدأت الحكومة بنقل المرضى الذين لم يكونوا بحاجة إلى رعاية بدوام كامل في تلك المستشفيات وتحويلهم إلى عائلات محلية لرعايتهم مقابل أجور. وبدأ هذا العرض مصدرًا جيدًا للدخل لعائلتنا، فأخذتُ أمي رجلين من كبار السنّ وامرأة.

وكان عليّ التخليّ عن سريري لأحد الرجال، ومشاركة سرير مزدوج مع المرأة، التي كانت لا تنام في أغلب الأحيان. ولكنني عندما أخبرتُ أمي بأنني لا أستطيع التعامل مع هذا الوضع وبأنني أريد أن يستعيدها المستشفى لتجري رعايتها هناك، لم توافق أمي على ذلك. لأن أهم شيء عندها كان الحصول على صكٍّ ماليٍّ كل شهر. وقالت إنها ستأتي إلى البيت كل يوم عند المغيب لمساعدتي. ولكن، يا لحالها الفظيع الذي كانت تدخل به البيت! وعادة ما كانت تقول لي إنه لَوْلَايَ لما كانت هي في مثل هذه الفوضى.

في البداية لم أستطع فهم ما كانت تعنيه، لكنني علمتُ فيما بعد أن والديّ أرغما على الزواج لأن أمي كانت حُبلى بي سلفًا. وفي بعض الأحيان، كانت تضربني. وإذا سألتني في صباح اليوم التالي عن الكدمات على وجهي وإذا أخبرتها بأنها هي التي فعلت ذلك، إدَّعتْ بأني كذبتُ.

بعدئذ، توقفتُ كيت عن الذهاب إلى المدرسة في سنّ السادسة عشر للانصراف كليًا إلى رعاية إخوتها. وفي غضون ذلك الوقت، تعرّفتُ على توم زوج المستقبل؛ وتزوجا بعد عامين. ولكنها لا تزال تتذكّر الذنب الذي شعرتُ به حين سألتها أمُّها مُتَّهمة إياها: «مَنْ سيقوم



بالأعمال المنزلية هنا؟» ومع ذلك، غادرت كيت المنزل، وسرعان ما أنجبت أطفالاً وبدأ هي وتوم بتنشئة أولادهما. فتقول كيت:

عند هذه المرحلة، لم أبتغ شيئاً سوى نسيان أُمي. فكانت لديّ عائلتي الصغيرة، فضلاً عن والدي توم اللذين أحبّا أطفالي. وفجأة أرادت أُمي الاتصال بي، ولكنني وجدتُ الكثير من الحرج لكيلا أزورها. فقد أصبحت لديّ أخيراً فرصة لأعاملها بالمثل مثلما كانت تعاملني.

وفي ذلك الوقت، اكتملت الإجراءات القانونية لطلاق والديّ. وتوقفت أُمي أخيراً عن الشرب؛ لأنها أدركت أن الخلط بين الكحول وأدوية ضغط الدم من شأنه أن يقضي عليها. ومع ذلك، كنتُ مترددة في الاتصال بها. فلم يمكنني ببساطة الوثوق بها.

بعد بضع سنوات، انضم الزوجان توم وكيت إلى برودرهوف. وكانت كيت بانتظار ولادة طفل آخر، ودعا توم والدة كيت لتشاركهما فرحة وصول الطفل الجديد. فتتابع كيت حديثها:

اشتدّ غضبي ولم أرغب في أن يكون لي أيّ علاقة بمثل هذه الزيارة. فقلتُ لتوم: «اتصل بها على الفور وأخبرها بأن لا تأتي؛ وأخبرها بكل ما تريد أن تخبرها به. فهذا طفلي أنا، ولا أرغب في أن تشاركني هي به.» لقد كنتُ بغیضة جدّاً حيال ذلك. ولكن في النهاية، ذهبتُ إلى أحد الرعاة القساوسة في مجتمع كنيستنا، وجلسنا نتحدث عن هذا الموضوع.

فاستمع إليَّ بهدوء ثم قال لي: «ينبغي أن تتوصلي إلى سلام ومصالحة مع والدتك.»

فقلتُ له: «أنتَ لا تعرف أُمي.»

فأجاب: «هذا لا علاقة له بالأمر.»

في النهاية، جاءت أُمي فعلاً. ولم تكن بصحة جيدة حين وصلتُ إلينا، وكانت بحاجة إلى الكثير من الرعاية. أمّا أنا فلم أُسهّل الأمر عليها، لكننا استطعنا في النهاية التحدُّث معاً. بعدئذ، في خلال الأيام القليلة الماضية قبل عودتها إلى بيتها، شعرتُ بأنها كانت تحاول أن تخبرني بشيء ما. والأكثر من ذلك، بدتُ على استعداد للاستماع إلى ما كان عليَّ أن أقوله لها. لقد أرادتُ إقامة علاقة جديدة بيننا — وكنتُ في ذلك الوقت أنا أيضاً أريد بشدة إقامة علاقة جديدة بيننا — وكانت مُصمَّمة على إزالة أيِّ عوائق تقف في طريق إقامة هذه العلاقة. وعند هذه المرحلة أدركتُ بأنها لم تكن أيضاً مُدركةٍ لما اقترفته في حياتها. وعندما تمكنتُ من أن أغفر لها، شُفينا كِلانا.

وتصالحْتُ كيت مع والدتها في جوٍّ بيتها المليء بالمحبة. فقد تمكنتُ من مسامحتها على جراح الماضي البليغة، ولكنها قدّمتُ أيضاً اعترافاً مُهمّاً مفاده أن: المشكلة لم تكمن في افتقار والدتها للمحبة فحسب، بل أيضاً في فتورها — المفهوم — فتور كيت الذي جعلهما منفصلين لسنوات عديدة.

**أمّا قصة سوزان Susan**، وهي امرأة من كاليفورنيا وتأتي من ظروف مختلفة تماماً، فنرى فيها أن حالات القطيعة بين أحد الوالدين وأحد

الأولاد ليست جميعها بيّنة وواضحة وخالية من التعقيد. فلم تتعرّض سوزان مطلقاً لسوء معاملة فظيعة على يد والديها. لكنها كانت تحمل مشاعر الاستياء تجاه والدتها لسنوات طويلة، مثلما كانت مشاعر كيت، ولم تبدأ علاقتها بالشفاء إلاّ بعد أن تمكنت سوزان من أن تغفر لوالدتها. فهذا هو القول:

على قدر ما أستطيع تذكره منذ طفولتي، كانت علاقتي بأمي صعبة للغاية. فقد كنتُ أخشى من نوبات غضبها، ومن لسانها اللاذع والاستهزائي، ولم أستطع إرضاءها مطلقاً. وكنتيجة لذلك، أخذتُ أغضب منها — كان غضباً عميقاً ومخفياً في داخلي ويتأجج تدريجياً، فجعلني أنغلق على نفسي وانعزل نفسيّاً عنها. وأخذتُ أتمسكُ بذكريات جراح الظلم من أيام طفولتي، وأيضاً الكلام الخشن، وبعض الضربات (التي لا تستحق التذكُّر). لذا أصبحتُ حساسة للغاية عندما كانت تُوبّخني، وكنتُ أشعر بسهولة بأني مرفوضة من قِبَلِها.

وبكلمة أخرى، لم يكن لدينا علاقة صريحة ليفتح أحدنا قلبه للآخر. لذلك، بدأتُ أتطلّع إلى علاقات مع الكبار الآخرين الذين في حياتي، وخاصة مُعلِّمي، لتحلّ محل هذه العلاقة المفقودة مع أمي. واستاءتُ أمي من تعلّقي بمُعلِّمي ولكنها لم تكن قادرة على التعبير عن استيائها. وأتذكّر أنني تمنّيتُ أن يخرجني أحد من عائلتي، وأن يتبناني واحد من مُعلِّمي. ويمكنني أن أتذكر أيضاً المشاعر القوية من عدم الانتماء لعائلتي التي كانت تتنابني على شكل موجات.

وبسبب لهفتي على أن أحظى برضا أهلي، حاولتُ أن أكون بنتاً «صالحة» وأخفي مشاعري الحقيقية. ولم يساعدني

على الأرجح هذا الأمر كثيرًا، لأننا، نحن الأولاد، لم يُسمح لنا عمومًا بالرد على الكبار أو الإجابة بكلمة «لا» لطلب الأهل أو الكبار. إذ كان من المفروض أن نكون نحن الصغار منظورين لا مسموعين.

وساء الأمر أكثر عندما دخلتُ سنَّ المراهقة. فقد قمتُ بإيجاد سبل مأكرة متزايدة لأعبر بها عن غضبي وأفعل ما أشاء. كما أوجدتُ أيضًا المزيد من الطرق الملتوية للتعامل مع أُمي، التي كانت في الحقيقة بمثابة وسائل «انتقام» منها. وأدَّت أساليبي هذه بدرجة كبيرة إلى تورطي بعلاقة جنسية سرّية مع كاهن أبرشيتنا، الذي غالبًا ما كان له اختلاط اجتماعي مع والديّ.

أخيرًا انتهت تلك العلاقة، وتزوجتُ من رجل آخر، ولكنني بقيتُ على خلافٍ مع أُمي. لقد كانت علاقتي مع أُمي علاقة غريبة جدًا في الواقع، لأنني كنتُ ما أزال راغبة بشدة في إرضائها.

ومرّت أُمي بأوقات طويلة من الأزمات الجسدية والنفسيّة خلال تلك السنوات، ولكنني استصعبتُ التعاطف معها أو حتى إبداء الكثير من الاهتمام لها. وأخيرًا جاء يوم أبيتُ فيه عطفًا وشفقة لها عندما كانت تخوض برنامجًا مُكوّنًا من اثنتي عشرة مرحلة للتخلّص من إدمان الكحول. وأمضينا أسبوعًا رائعًا معًا من مفاتحة القلوب، ولكن الأبواب أغلقت بعد ذلك بوقت قصير. وألقيتُ باللّوم عليها على ما حصل، رغم أنني لا يمكنني الآن معرفة سبب حدوث ذلك.

في النهاية، اتّضح لي أن شخصيتها الظاهرية التي بدتُ قوية وواثقة النفس ومسيطرة كانت مجرد غطاء لشخص

يفتقر كثيرًا إلى الأمان النفسي، إذ كانت تحمل في داخل نفسها جراحات كثيرة بسبب الإساءات التي تلقتها عند مرحلة طفولتها. وحاولنا كِلانا التواصل أحدنا مع الآخر بطريقتنا الخاصة، غير أنَّ كِلانا كان يخشى من رفض الآخر له، لذلك أمست جهودنا سطحية حتى في أحسن أحوالها. وها أنا خجلانة الآن من أن أقول إنني توقفتُ عن الكلام معها بعد أسبوعين.

إلاَّ أن التَّقدُّم المفاجئ في علاقتنا تحقق بعد سنوات لاحقة عن طريق صديقة ظلَّت تلاحقني للاستماع إلى بعض الأشرطة لوعظات قسيس يدعى تشارلس ستانلي. ومع أني لم أسمع عنه من قبل، إلاَّ أنني كنتُ آنذاك أبحث عن إجابات للعديد من تساؤلاتي في الحياة، لهذا استمعت إلى تلك الأشرطة بحذر. ولا أتذكر ما قاله بالضبط، ولكنه قال الكلام الذي كنتُ بحاجة إلى سماعه في ذلك الوقت. فبدأتُ عيناى تتفتحُ لترى حصتي من الذنب في علاقتنا، وحاجتي الماسة لطلب الغفران من أمي، وأن أغفر لها أيضًا.

ولم تمرَّ مدة طويلة حتى زُرت والديَّ. وعندما كنتُ بمفردي مع أمي طلبتُ منها أن تغفر لي تصرفاتي في الماضي، وأخبرتها بأنني من جهتي قد سامحتها أيضًا. واعترفتُ بأنني كنتُ غاضبة عليها طوال حياتي، رغم أنني لم أكن أعرف سبب غضبي عليها على وجه اليقين. أمَّا هي فلم تفهم السبب الذي اضطرَّني إلى هذا الغضب عليها، لكنها اعتذرتُ أيضًا عن الأذى الذي سبَّبه لي. وقالت: «ما حدث قد حدث، ولا يمكنني تغييره؛ لكن يجب علينا الآن أن نقلب صفحة جديدة ونواصل حياتنا بمحبة.» لقد كان وقت شفاء لِكِلينا. فأعطاني

الانفتاح، والصدق، والتعبير عن رغبات قلبي في أن أحب الآخرين وأن أكون محبوبة على ما أنا عليه، وليس على ما ظننت أنه يمكنني تقديمه.

**وبمجرد تواجده سوزان ووالدتها مع مشاعر الغضب في داخلهما،** تمكنت كل منهما من الشروع في إعادة بناء علاقتهما. ولا يزال العديد من الأشخاص الآخرين الذين لديهم قصص مماثلة يعانون بلا داعٍ، لأنهم لا يمكنهم الغفران. فلا يهم مَنْ نكون أو مِنْ أين جئنا. فما يهم هو أن نتعلم الغفران. عندئذ يمكن للمعجزات أن تحصل. أمّا الذكريات المؤلمة فتستمر في الظهور من حين لآخر لزيادة الطين بلةً، ولكننا لا يمكننا السماح لها بالتشويش إلى الأبد على رؤيتنا للمواقف الصحيحة. وحتى حيثما يكون النسيان مستحيلًا — وهذه مسألة طبيعية — فيجب أن نؤمن بأن الغفران ليس ممكنًا فحسب، بل ضروريًا أيضًا. فإننا نحصل بالغفران على الشفاء الروحي الحقيقي.

## مسامحة أنفسنا

ما لم يُغْفَرَ لنا، ونتحرر من عواقب ما اقترفناه، تَظَلُّ قدرتنا على فعل الأعمال الصالحة مشلولة من جراء سيئة واحدة لم نقدر على أن نشفى منها مطلقاً؛ وسنبقى ضحايا عواقبها للأبد، بما يشبه صبي الساحر في القصيدة الروائية الألمانية الذي افتقر إلى وصفة سحرية لِفَكِّ قيود السحر.<sup>[5]</sup>

قَوْلٌ مِنْ

حنة آرنست Hannah Arendt

مُنْظَرَةٌ سياسية يهودية من أصل ألماني ومؤلفة وناجية من الهولوكوست

**أَيُمْكِنُ أَنْ نَغْفِرَ لَأَنْفُسِنَا، حَتَّى لَوْ غَفَرَ الْآخَرُونَ لَنَا؟ إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ مُعَذِّبُونَ جَدًّا بِمَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ أَفْعَالٍ، لَدَرَجَةٍ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بَعْدَ**

---

[5] صبي الساحر The Sorcerer's Apprentice قصيدة أصلها ألماني، كُتِبَتْ عام 1797م. وتدور حول ساحر كبير السِّنِّ يغادر ورشته، تاركاً تلميذه الصبي بمفرده ليقوم بتنظيف المكان. وعندما سَيَّم الصبي من نقل الماء بالدلو، سَحَرَ المكنسة لتؤدي العمل بدلاً عنه، مُطَبِّقاً السَّحْرَ الذي لم يتدرَّب عليه بشكل كامل. وسرعان ما امتلأت الأرضية بالماء، وأدرك الصبي عدم استطاعته إيقاف المكنسة، لأنه لم يعرف الوصفة السحرية المطلوبة للقيام بذلك. فقام بكسر المكنسة إلى قسمين بفأس، فإذا بكل قسم يصبح مكنسة، وأخذت دلوًا واستمرت في نقل الماء إلى الورشة وبضعف السرعة. وسرعان ما فاضت الغرفة بأكملها. وفي ذروة استسلام الصبي، عاد الساحر وأبطل السحر بسرعة وأخرج الصبي من المأزق الذي وقع فيه.

بإمكانية الشفاء الروحي، لكن يمكن حتى لهذه النفوس المضطربة أن تحصل على الأمل والرجاء.

**ديلف فراننشام Delf Fransham**، وهو كندي من طائفة الأصدقاء المسيحية (كويكرز)، تمكّن من أن يتحرر من ماضيه عن طريق تقديم أعمال المحبة والرحمة للآخرين. فقد حدث له، بصورة غير متوقعة، مأساة غيّرت مجرى حياته، مثل الكثيرين الذين نروي قصصهم في هذا الكتاب. إلا أن قصته مختلفة جدًا نوعًا ما: فالشخص الذي كان عليه أن يغفر له كان هو نفسه شخصيًا.

لقد التقيت ديلف أول مرة عندما كنت في الثالثة عشر من عمري. فقد انتقل من الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجتمعنا الذي كان يعيش حياة مسيحية مشتركة في باراغواي بأمريكا الجنوبية، وبدأ يُعلّم الأولاد في مدرستنا. وكان هناك أحد عشر ولدًا في فصلي، وكُنّا كلنا أولاد وقحون، ولم تمض سوى بضعة أيام من وصوله حتى قررنا إخضاعه للاختبار.

لقد كان يومًا نموذجيًا في باراغواي — رطوبة عالية ودرجة حرارة حوالي 100 درجة فهرنهايتية — فعرضنا عليه أن نأخذه في نزهة طويلة في الطبيعة لنمتحن معدنه وقوة صلابته. فأخذناه ومشينا مسافة عشرة كيلومترات على الأقل عبر الأدغال والبراري والمستنقعات، ومن ثم رجعنا. غير أنه انهار بمجرد وصولنا إلى مجتمعنا مصابًا بضربة شمس.

ظَلَّ ديلف طريح الفراش لعدة أيام، إلا أننا لم نأبه للأمر. فقد حققنا ما أردناه بالضبط: لقد أثبتنا أنه «مُخَنَّث». إلا أن المفاجأة كانت بانتظارنا. لأنه في اليوم الذي عاد ديلف إلى المدرسة، قال لنا: «أيها الأولاد، دعونا نجرب تلك النزهة ثانية.» أمّا نحن فلم نصدّق





ديلف وأسرته

ما قاله! فقطعنا الطريق نفسه ثانية، ولكنه لم يمرض هذه المرة على الإطلاق. وفاز ديلف باحترامنا ودخل قلوبنا، ووثقنا به منذ ذلك الحين. وسرعان ما اكتشفنا أنه كان رياضياً موهوباً، وأبعد ما يكون عن الجبن والضعف. وأحببنا لعب كرة القدم معه.

وبعد عدة عقود، اكتشفتُ بالصدفة السبب الذي جعل ديلف يفيض بمحبته وطاقته في عمله بمدرستنا. فقد تبين أنه كان قد فقد ابنه نيكولاس في أكثر الحوادث مأساوية. فقد وُلِدَ نيكولاس في أبريل 1951م، عندما كانت أسرة ديلف فرانشم تعيش في ولاية جورجيا الأمريكية. وبعد فترة وجيزة من عيد الميلاد المجيد (كريسماس) لعام 1952م، كان نيكولاس يلعب خارج المنزل، فركض نحو شاحنة كان والده ديلف يقودها راجعاً بها إلى الورا نحو الشارع

الخاص بالمنزل. وكانت الشاحنة مُحمَّلة بالحطب. ولم يَرَ ديلف ابنه إلاَّ بعد فوات الأوان.

وكانت زوجته كيتي تتحدث آنذاك مع جاريتها داخل المنزل، فإذا بزوجها ديلف يدخل وابنهما مُلقى على ذراعيه. فتتذكر كيتي تلك اللحظات قائلة:

فقدتُ رشدي — وأصبحتُ مذهولة للغاية — إلاَّ أن ديلف أخذ يهدئني. وأخذنا طفلنا إلى طبيبنا في مدينة كلاركسفيل، الذي كان أيضًا الطبيب الشرعي، وشرحنا له ما حدث ... ومن ناحيتي، لم يخطر ببالي مطلقًا أيُّ شكوك في أن أغفر لزوجي، لأنني علمتُ أنني مُقَصَّرة ومستحقة اللوم بالقدر نفسه. وكذلك زوجي لم يُلَمِّني، بل لأم نفسه فقط. ووقفنا معًا في هذا الحزن.

غير أن ديلف لم يستطع أن يغفر لنفسه، وظلَّت تلك الحادثة تطارده لسنوات. ومنذ ذلك الحين، بدأ ديلف ببذل قصارى جهده لأجل تخصيص وقت للأطفال — ذلك الوقت الذي لم يصرفه سابقًا ليكون مع ابنه الذي قتله. وعندما استرجعُ ذكرياتي في المدرسة، أتذكرُ عينيهِ وهما تتلألآن بالدموع في كثير من الأحيان، ولديَّ إحساس قوي الآن بأنه كان يرى ابنه فينا نحن التلاميذ، أو كان يتخيَّله وهو يكبر. وكان تصميمه على بذل نفسه من أجل الآخرين هو طريقته في تعويض المأساة التي تسبَّب فيها عن غير قصد. وأنا مقتنع بأن هذه الطريقة أنقذته من التفكير في مشاعر الذنب التي يشعر بها. فأعادَتْ له حياته، وأعادَتْ له أخيرًا الشعور بالسلام.

**ديفيد هارفي David Harvey** الذي يبلغ عمره الآن حوالي الثمانين عامًا، التحق بالجيش البريطاني حين كان في سن السادسة عشرة، قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية.



ديفيد هارفي

وبعد أن أمضى معظم سنوات الحرب المتبقية في التدريب، تم نقله إلى إفريقيا، ثم ألمانيا، وإيطاليا، وهونغ كونغ، والصين، وحوض البحر الأبيض المتوسط. وفي البداية، استمتع بوقته في الجيش، وخاصة الصداقة الحميمة التي شعر بها بين زملائه الجنود. ولكن بعد ذلك حدث شيء غير حياته إلى الأبد. فها هو يقول:

قضيتُ جزءًا من خدمتي في كينيا، حيث كنتُ أقوم على الأكثر بواجبات الشرطة ومطاردة «الإرهابيين». وكنتُ أقضي معظم الوقت في القيام بدوريات في مناطق الأدغال. وأثناء إحدى هذه الدوريات تعرّضتُ لحادث مروع.

فبينما كنّا منبطحين أرضًا ومنتظرين وصول عصابة من «الإرهابيين»، تعرّضنا نحن أنفسنا لكمين. فحصل الكثير من إطلاق النار والكثير من الارتباك والفوضى وسوء فهم الأوامر. وانقسمت الدورية إلى نصفين. فسار النصف الذي كنتُ فيه بخط مستقيم في ممرٍّ للحيوانات، في حين كان النصف الثاني يقوم بتمشيّط الأحرّاش في كل جانب من جانبي الممر.

بعدئذ تقدّمت جماعة الأحراش في السير على الذين في الممر واجتازتهم، وكانت النتيجة أن بعضنا أخذ يطلق النار على بعض. ورأيتُ الأحراش تنفرج أمامي مباشرة، فأطلقتُ النار، راميًا أمر الدورية برأسه. فانسحبنا من مهمتنا، وحملنا الرجل الجريح مدة ست عشرة ساعة عبر الأدغال على نقالة صنعناها يدويًا من خشب الخيزران، ليحصل على الرعاية الطبية الذي كان في أمس الحاجة إليها.

وفي النهاية عُقدتُ جلسة قضائية عسكرية للتحقيق في الحادث، و تمت تبرئة ذمّتي من كل لوم. غير أن ضميري لم يمنحني السلام ولا راحة البال. وبعد أربع سنوات، انتهت مدة خدمتي في الجيش ورجعتُ إلى الحياة المدنية.

وفي بداية حياتي المدنية، وجدتُ الأمر صعبًا للغاية. ففي الجيش أُعطي لي رقم بدلاً من اسم، وكنتُ مُدرَّبًا على الامتثال لأيّ أمر دون سؤال أو مناقشة، وعلى الاعتقاد بأن كل ما يُطلب مني فعله كان صحيحًا. إلّا أن هذا الأمر لا يتوافق مع الحياة المدنية. لكن عادت الأمور إلى طبيعتها تدريجيًا، وكان لديّ الوقت لأتذكّر خدمتي العسكرية وكل ذكرياتي فيها. وكان أول ما يخطر في بالي دائماً هو إطلاق النار على زميلي العسكري. فأين هو الآن؟ وكيف حاله؟ ألا يزال على قيد الحياة ناجيًا من تلك الحادثة؟

وبعد عدة سنوات، بدأتُ استفسر وأتحرى بنفسني عن مكان زميلي وصحته وأحواله. ولكن جميع محاولاتي باءت بالفشل. وتقابلتُ مع زملائي السابقين في الجيش الذين قصّوا عليّ قصصًا متضاربة عما حدث له. وبعد ذلك، وفي عام 1996م، وجدتُ زوجتي مارين وبالصدفة كتابًا يذكر

تلك الحادثة بالذات. فاتصلتُ بمؤلف ذلك الكتاب، الذي قال لي إنه في الحقيقة لم يره مؤخرًا، لكنه سمع أنه كان يعيش في لندن.

وأدركتُ أن محاولتي هذه باءت بالفشل هي الأخرى. وفي محاولة يائسة، قررتُ الاستعانة بخدمات إحدى الصحف المحلية. فنشرتُ قصتي وصورتي في عددها الأسبوعي لصحيفتها. وفي غضون ثمانية وأربعين ساعة تلقيتُ مكاملة من الشخص الذي كنتُ أبحث عنه لسنوات.

لقد كانت تجربة صعبة. فبعد عدد من المحادثات التليفونية، رتبنا أن نلتقي في منزلي. وفي الوقت المحدد، جاء حاملًا هدايا للرجل الذي أطلق النار عليه! فكان بسببي أنا قد أصيب بشلل نصفي، وكان عنده صعوبة في المشي وفي تحريك ذراعه. فسألته: «أيمكنك أن تغفر لي؟» فعانقني في الحال. لأنه كان قد غفر لي سلفًا.

**يعيش جون بلمر John Plummer حياة هادئة، وهو قسيس في الكنيسة الميثودية Methodist Church في مدينة فيرجينيا الأمريكية الهادئة هذه الأيام، ولكن لم تكن الأمور هكذا دائماً في السابق. فقد عمل جون طياراً لطائرة هليكوبتر أثناء حرب فيتنام، وقد ساهم في تنظيم غارة جوية بقنابل النابالم على قرية ترانغ بانغ Trang Bang في عام 1972م — وهو القصف الذي تخلد لاحقاً عن طريق الصورة الحائزة على جائزة بوليتزر Pulitzer Prize لأحد ضحاياه، وهي الفتاة الفيتنامية فان ثي كيم فوك Phan Thi Kim Phuc المبيّنة في الصفحة التالية.**

وعلى مدار الأعوام الأربعة والعشرين التي تلت، ظلَّت تلك الصورة تطارد جون، فهي الصورة التي يراها الكثيرون أنها تُبَيِّن



فان ثي كيم فوك

المضمون المأساوي للحروب: فتاة عارية بعمر تسعة سنوات، ومحرقة، وتبكي، وذراعيها ممدودتان، وتجري نحو الكاميرا، مع أعمدة من الدخان الأسود تتصاعد في السماء من خلفها.

وظلَّ ضميره يعذبه طيلة أربع وعشرين سنة. وتمنَّى كثيرًا جدًّا أن يجد تلك الفتاة ليقول لها إنه آسف — ولكنه لم يستطع أن يجدها. وكانت دولة فيتنام بالنسبة إليه فصلًا

قد انتهى من حياته؛ فلم يستطع مطلقًا حمل نفسه على الذهاب إلى هناك مرة أخرى. وحاول أصدقاؤه تهدئته وطمأنته. ألم يفعل كل ما في وسعه ليرى القرية خالية من المدنيين قبل قصفها بالنابالم؟ ومع ذلك لم يحصل على السلام الروحي. فأخذ ينعزل عن الناس، وفشل زواجه، وبدأ بالشرب.

بعد ذلك، وفي مصادفة لا يمكن تصديقها، تقابل جون مع فان ثي كيم في يوم المحاربين القدامى عام 1996م عند موقع النصب التذكاري لحرب فيتنام. فقد جاءت كيم إلى واشنطن العاصمة لكي تضع إكليلاً من الزهور من أجل السلام؛ في حين جاء جون مع مجموعة من الطيارين السابقين الذين كانوا ما يزالون يبحثون عن تحرُّر من الماضي وشفاء الروح. وفي الكلمة التي ألقته كيم أمام الحشد قالت

إنها لا تشعر بهرارة الاستياء مما جرى لها. ورغم أنها كانت ما تزال تعاني كثيرًا من الحروق التي تعرّضت لها، إلا أنها أرادت أن يعلم الناس بأن هناك آخرين غيرها عانوا أكثر منها، فقالت: «خلفي في هذه الصورة، كان هناك آلاف وآلاف من الناس ... الذين ماتوا. لقد فقدوا أجزاء من أجسادهم. ودُمّرت حياتهم كلها، ولم يلتقط أحد صورًا لهم.»

واسترسلت كيم في حديثها قائلة إنها قد غفرت للرجال الذين قصفوا قريتها، وإنه بالرغم من عدم استطاعتها تغيير الماضي، إلا أنها تريد الآن «ترويج السلام.» أمّا جون، الذي طار فرحًا، فقد حاول شقّ طريقه خلال الحشود وتمكّن من لفت انتباهها قبل أن تنقلها سريعًا الشرطة المرافقة لها لمغادرة المكان. فعرفّها بنفسه بأنه الطيار المسؤول عن قصف قريتها قبل أربع وعشرين سنة، وتمكّن من التحدّث لمدة دقيقتين قصيرتين. فيخبرنا جون ما يلي:

رأْتُ كيم مدى حزني وألمي وكربي ... فمدّت ذراعيها لي وعانقتني. ولم أتمكن من قول أيّ شيء سوى «أنا آسف؛ أنا آسف» — عدة مرات. وفي الوقت نفسه كانت تقول لي: «لا تقلق، واطمئنّ، أغفرُ لك.»

والتقيا ثانية في وقت لاحق من اليوم نفسه، وأكّدت كيم له من جديد أنها قد غفرت له. وقد أصبحا منذ ذلك الحين صديقين حميمين، ويتصل أحدهما بالآخر تلفونيًا باستمرار.

فهل حصل جون على السلام الذي كان ينشده؟ يقول جون: «نعم، حصلتُ عليه!» وعلى الرغم من أنّ ذكريات الحرب لا تزال



تثير مشاعره بسهولة، إلا أنه يشعر بأنه أصبح الآن قادرًا على أن يغفر لنفسه، وبأن فكره لم يعد يُركّز في ذلك الحدث. ويقول جون إنه كان من الضروري جدًّا أن يجتمع وجهًا لوجه مع كيم، ليخبرها بأنه تعذّب حقًّا بسبب جراحاتها. ومع ذلك، فإنه يؤكّد على أن الغُفران الذي حصل عليه هو هبة إلهية — لم يكسبها بمجهوده ولم يستحقها أيضًا لأنه إنسان خاطئ. وفي نهاية الأمر، فإنَّ الغُفران سرٌّ عجيبٌ: لأن جون لا يزال غير قادر على فهم كيف يمكن لمحادثة لم تستغرق سوى دقيقتين أن تمحو كابوسًا دام أربعة وعشرين عامًا.<sup>[6]</sup>



جون بلمر وفان ثي كيم فوق صديقان حميمان بعد الغُفران والمصالحة

[6] لاتزال فان ثي كيم فوق تُروّج لحد الآن، ولغاية نشر الطبعة الجديدة لهذا الكتاب، موضوع الغُفران. فقد ظهرت مؤخرًا في وسائل الإعلام، وقالت: «لم أعد ضحية حرب، لكن لدي صورة جديدة عن حياتي، صورة حب وأمل وغُفران.» Euronews يونيو 2022م. [الناشرون]



**ريتشارد Richard محارب قديم آخر في حرب فيتنام،** رجل لطيف وهادئ ويحب الأطفال والخيول. ولكنني لاحظتُ طيلة السنوات الخمسة التي عرفتُه فيها، أنه كان يتعذَّب من جراء الأحداث التي كان قد مرَّ بها منذ أكثر من عقدين. فاسمعوه وهو يقول:

هناك أحداث موت كثيرة تملأ ذهني. فالموت الذي تَسَبَّبَتْ فيه للآخرين — والموت الذي أراده الآخرين لي — لا يفارقني أبدًا! وعادة ما أمزح كثيرًا مع الأشخاص الذين أعمل معهم. فيجب عليَّ أن أفعل ذلك، لكي أخفي الألم الذي في داخلي، وأمنع ذهني من التفكير في هذا الأمر. فأنا بحاجة إلى الضحك. فالضحك يبعد الكآبة.

غير أنني لست قادرًا على محبة الآخرين. إذ إنَّ جزءًا من روحي مفقود، ويبدو أنني لن أستعيده أبدًا. ولا أعرف إن كان بمقدوري في يوم من الأيام أن أغفر لنفسي كل الذنوب التي اقترفتها. فأنا أعيش يومًا بيوم، ولكنني مُتَعَبٌ طوال الوقت — مُتَعَبٌ. فهل ينتهي هذا الحال في يوم ما؟ فلا أدري كيف سينتهي. فقد كان معي أكثر من خمسة وعشرين عامًا حتى الآن.

غالبًا ما يجري حَتُّ الأشخاص من أمثال ريتشارد على مراجعة جهات رسمية لتلقي المشورة، وهذا بحدِّ ذاته أمر سليم. فينصحونهم مثلاً بأن يجدوا غيرهم من الذين مرُّوا بتجارب مماثلة، أو الانضمام إلى مجموعات تدعمهم وتساعدهم معنويًا، أو المداومة على حضور جلسات المعالجة الجماعية. وقد فعل ريتشارد كل هذه الأمور؛

وزار عددًا كبيرًا جدًا من المستشارين، وحضر اجتماعات جماعية مع قدامى محاربي فيتنام لأكثر من عام. ومع ذلك، لم يحصل على السلام. وغالبًا ما تكون البرامج الطبية للمعالجة النفسية مفيدة، ولكنها تقف أحيانًا عاجزة عن تقديم حلٍّ دائم. فيمكن للمعالج النفسي الجيد أن يشجعك على الكشف عن أعباء ماضيك، ولكن ما لم يتبعه تأنيب ضمير وندامة وإقرار بالحاجة الشخصية إلى المغفرة، فلا فائدة من الاعتراف.

**يتذكر روبرت كولس Robert Coles، الطبيب النفسي من جامعة هارفارد الأمريكية،** محادثة مهمة أجراها ذات مرة مع المُحلِّلة النفسائية الشهيرة آنا فرويد، ابنة عالم النفس الشهير فرويد. ويقول إنه عندما تحدثا ذات مرة عن التاريخ النفسي الطويل والمضطرب لامرأة مُسنَّة كانا يعالجانها في المستشفى التعليمي للجامعة، فإذا بزميلته آنا فرويد تخلص إلى هذا القول:

سأقول لك شيئًا؛ قبل أن نقول وداعًا لهذه السيدة عند مبارحتها للعالم، يجب أن نتساءل فيما بيننا لا عما نعتقد عن حالتها النفسية — فهذا ما نفكر فيه طوال الوقت! — وإنما نتساءل بالأحرى عن هذا الموضوع: ما الذي نتمناه لها؟ آه، أنا لا أقصد جلسات العلاج النفسي؛ فقد أخذتُ منها كفايتها. فإنَّ التحليل النفسي، على ما أظنُّ، سيستغرق سنوات لمعالجتها أكثر مما تبقى لها من العمر الذي وهبه لها الرب الصالح ... لا، لقد شِيعَتْ مِنَّا نحن الأطباء النفسيين، حتى لو لم تَكُن تعرف ذلك ... فهذه السيدة العجوز المسكينة لا تحتاجنا على الإطلاق ... فما تحتاجه هو ... الغُفران. فهي بحاجة إلى أن

تحصل على السلام الروحي، لا التحدُّث عن عقلها. فلا بد وأن يكون هناك إله في مكان ما ليساعدها ويسمعهها ويشفيها... ونحن بالتأكيد لسنا الناس المناسبين لمساعدتها في هذا الصدد!

**إنَّ هذه النقطة مهمة جدًا:** فلا يمكننا الحصول على السلام والشفاء الروحيين ما لم نتعلَّم التَّواجُّه مع ذنوبنا التي اقترفناها. ومع ذلك، فإنَّ الاعتراف بالذنب لا يكفي في حدِّ ذاته لتحقيق الغُفران. ففي بعض الأحيان، يكون الشخص الذي أسأنا إليه غير قادر أو غير راغب في مسامحتنا. وفي بعض الأحيان، نكون، نحن شخصيًا، غير قادرين أو غير راغبين في مسامحة أنفسنا. وربما نحتاج في هذه الحالة إلى الالتجاء إلى الله لطلب العون مثلما تقترح آنا فرويد. ونحن ننال غُفران الخطايا لكونه هِبَة المحبة الإلهية، تلك الهِبَة التي تصلنا عند ذات النقطة التي نشعر فيها بأننا ناس خطأة ولا نستحق نيلها بالمرَّة. فإنَّ هذه الهِبَة وحدها يمكنها تحريرنا من قيود الخطيئة لكي نستطيع مسامحة الآخرين من صميم قلوبنا، وإلزام أنفسنا بتغيير الحياة والتوبة.

## تحمُّلُ مسؤولية الذنوب

عندما نعترف بخطايا معينة، يموت الإنسان القديم الذي في داخلنا ميتة موجعة ومخزية أمام أنظار أخ مؤمن. ولمَّا كان هذا الشعور بالخزي صعبًا جدًّا علينا، فإننا نخطط باستمرار لتجنبه. غير أنه بفضل هذا الوجد النفسي والجسدي العميق لمشاعر الخزي أمام الأخ المؤمن، فإننا نشهد نجاتنا وخلصنا.

قَوْلٌ مِنْ

ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer

قسيس ولاهوتي ألماني شهير

ناضل ضد الحكم النازي ومن ثم أُعِدِمَ

**من المستحيل أن نغفر للآخرين** إن لم ندرك حاجتنا الشخصية إلى الغُفران. وفي الواقع، فإنَّ مجرد إدراك الموضوع ليس كافيًا: إذ يجب علينا أن نعترف بأخطائنا لشخص آخر.

ويعترف بعض الناس نظرهم عن موضوع «الاعتراف بالخطايا» بحجة أنه طقس كاثوليكي غريب وعقيم. ويقرُّ آخرون بأن الاعتراف — سواء كان لقسيس أو لصديق أو لمرشد اجتماعي — يمكن أن يكون مفيدًا، ويضيفون قائلين: ولكن يمكن للمرء أن يحصل على سلام القلب بالسهولة نفسها بدون الاعتراف لشخص

آخر. غير أن سلام هؤلاء الناس غالبًا ما يكون مجرد «تمويت الروح» كما قال تولستوي.

إنَّ اعتراف الذنوب يجري عادة في الخفاء، ولا تفقد الذنوب قوتها إلاَّ بعد أن يُسمح لها بالخروج إلى العلن. ولكنَّ حرصنا على إعطاء الآخرين انطباعًا جيدًا عن شخصيتنا وإظهارها بأنها قوية وفاضلة غالبًا ما يمنعنا من الإقرار للآخرين بما قد اقترفناه من ذنوب. ونحاول عوضًا عن ذلك شطب ذنوبنا من الذاكرة، وعندما لا ينجح ذلك، نحاول ببساطة إبقاءها مخفية. وبفعلتنا هذه فإننا لا نقوم إلاَّ بتكديس ذنب على ذنب. فما لم نعتزف بما قد اقترفناه من الذنوب ونتحمّل مسؤوليتها، يمكن أن يصبح الضغط الداخلي على نفوسنا هائلًا ولا يُطاق.

إنَّ مشاعر الندامة على ما اقترفنا من ذنوب لا علاقة له بتعذيب الذات نفسيًا. فإذا كنَّا لا ننظر إلاَّ إلى أنفسنا وإلى ضعفاتنا البشرية، حينئذ سيكون حليفنا اليأس والدمار النفسي بكل تأكيد. وبمجرد أن نبكي بكاءً مُرًّا ونذرف دموع الندامة، فلا يلزمنا عندئذ سوى ترك الأمر لله لنسمح للمياه العكرة التي ملأت قلوبنا بأن تُصَفَّى — وإلاَّ فلن يسعنا أبدًا رؤية الرواسب الدفينة في أيِّ مكان بداخلنا.

**ستيف Steve، وهو صديق قديم لي،** نشأ في إحدى ضواحي مدينة واشنطن العاصمة في الستينيات، ويكتب ما يلي:

لقد سعيْتُ إلى العديد من الديانات والدراسات النفسانيَّة من أجل السلام والكمال الروحيين، غير أنني لم أجد إلاَّ

إجابات جزئية ... لكنني عندما رأيتُ أخيراً الخطايا في حياتي الشخصية، أدركتُ عندئذ حاجتي الملحة إلى التوبة والتغيير. لقد جاءت نقطة التحول بشكل غير متوقع ذات يوم في عام 1983م، عندما أدركتُ إدراكاً كاملاً أول مرة في حياتي مدى فداحة جبل الذنوب التي اقترفتها. فقبل ذلك الوقت، فإنَّ كبريائي ورغبتي في الظهور بمظهر جيد وصالح أمام الآخرين هما اللتان كانتا تُخفيان هذه الحقيقة عني. أمّا الآن فأخذتُ الصور والذكريات الفاسدة تتدفق مني وكأنها نهر من مرارة الصفراء المُقززة.

فكل ما كنتُ أبتغيه هو أن أكون مُتحرراً منها، وأن لا يكون في داخلي أيُّ شيء مظلم ومخفي في أعماقي؛ وأردتُ أن أصلح الأخطاء التي ارتكبتها، حيثما استطعت. فلم يكن لديَّ أعذار وحجج لتبرير ذاتي بإلقاء اللوم على مرحلة الشباب أو الظروف أو أصدقاء السوء. فقد كنتُ أنا شخصياً مسؤولاً عما فعلته.

وبدأتُ أمسك ورقة بعد ورقة وأسكب فيها كتابة كل ما لديَّ من أفعال شائنة وبتفصيل واضح. وشعرتُ كما لو أن ملاك التوبة يقطع قلبي بسيفه، فهكذا كان الألم. وكتبتُ عشرات الخطابات لأفراد ومؤسسات تحايلتُ عليها، أو سرقْتُ منها، أو كذبتُ عليها ... وأخيراً شعرتُ بالتحرُّر حقاً.

**في رواية «الإخوة كارامازوف»** كتب الروائي الروسي العظيم دوستويفسكي بالفكر نفسه عن رجل اعترف بجريمة قتل أخفاها لعقود، فقال بعد اعترافه:

أشعر بالفرح والسلام لأول مرة بعد سنوات عديدة. لقد  
حلّت سماء في قلبي ... فأصبحت الآن أجرؤ على محبة  
أولادي وتقبييلهم.

**ينتشر الغفران الحقيقي في أماكن مختلفة** بانتقاله من شخص إلى  
آخر، وله القدرة على اكتساح مجتمع أو مدينة أو إقليم بأكمله.  
فمن الواضح أن الغفران يمكن أن يغيّر الحياة على المستوى الشخصي،  
ولكن يجب أن لا ننسى قدرته على إحداث موجة من الغفران على  
نطاق أوسع أيضًا. وفي الواقع، فإنّ التغيير الذي يبدأ في فرد واحد  
قد يؤثر في أولئك الذين من حوله بحيث تنتشر تموجاته على نطاق  
أوسع وأوسع، من شخص إلى آخر.

**وعاش مثل هذه الموجة القسيس يوهان كريستوف بلومهارت**  
Johann Christoph Blumhardt، وهو راعي كنيسة بلدة



يوهان كريستوف بلومهارت

موتلنجن Möttlingen، وهي  
إحدى البلديات التابعة لمنطقة  
بلاك فورست Black Forest في  
ألمانيا. فقد حصل أن سكان بلدة  
موتلنجن شهدوا حركة روحية  
مماثلة في عام 1844م، التي  
قلبت حياتهم رأسًا على عقب.  
أمّا اليوم فهي مجرد بلدة عادية  
مثلما كان حالها قبل حدوث  
الصحة الروحية فيها. إلّا أن  
يوهان كريستوف بلومهارت

— الذي صار معروفًا في أيامنا هذه — كان يشكو كثيرًا في السابق من ظاهرة اللامبالاة والفتور المخيِّمة على أبرشيته، وكأنها سحابة من الضباب. غير أنَّ لوحة وجدوها مُعلَّقة على جدار ذي أوتاد خشبية لمنزل قديم، تشهد لحد الآن لصحة هذه الأحداث العجيبة التي اكتسحت البلدة ذات يوم. وهذه اللوحة موجودة لحد الآن في بلدة موتلنجن حيث الزيارات مفتوحة لها. فقد وجدوا مكتوبًا عليها العبارات التالية:

أيها الإنسان، فكّر بالآخرة،  
ولا تهزأ بزمن الرحمة؛  
لأن يوم الحساب قريب!

وحركة «الصحوة»<sup>[7]</sup> كما تُسمَّى غالبًا اليوم، بدأت في ليلة رأس السنة الجديدة عام 1843م، عندما أقبل إلى بيت القسيس يوهان كريستوف بلومهارت شاب معروف بمزاجه المتهور والعنيف. وبعد التوسل لمقابلة القسيس، سُمِحَ له بالدخول. وأخبر القسيس بأنه لم يتمكن من النوم لمدة أسبوع كامل، وبأنه يخشى من أن يموت إذا لم يعترف بخطايه التي أثقلت ضميره. وظلَّ بلومهارت مُتَأَنِّيًا إلى حدٍّ ما، ولم يقبل مصداقية الرجل إلَّا بعد أن بدأ يرى كيف أخذ وابل من الذنوب الكبيرة والصغيرة ينهمر كالسيل من قلبه.

وهكذا بدأت موجة عجيبة من الندامة والتوبة في تلك البلدة. وبحلول 27 يناير 1844م بلغ عدد الذين جاؤوا إلى بيت القسيس بلومهارت ليزيخوا عن قلوبهم حمل الخطيئة ستة عشر

[7] تنشر دار المحرث كتابًا بعنوان «الصحوة» فيه تفاصيل تلك الأحداث العجيبة التي شهدتها القسيس بلومهارت وسكان بلدة موتلنجن والبلدات المجاورة لها.



شخصًا. وبعد ثلاثة أيام، ارتفع العدد إلى خمسة وثلاثين. وبعد عشرة أيام، وصل العدد إلى أكثر من مئة وخمسين. فأخذ الرجال والنساء من جميع القرى المجاورة لبلدة موتلنجن يتدفقون إليها. ولم يكن هناك أي نوع من انفعال المشاعر الذي تُعرّف به «النهضات الدينية»، أو أي إعلانات مبالغ فيها عن الشرور الماضية، أو أي اعترافات علنية بالتوبة. فقد كانت تلك الصحة الروحية أكثر رزانة وجديّة بالمقارنة مع هذه الأمور، وأكثر تأصلاً في الواقع. فقد شعر الناس في داخلهم بضرورة قطع علاقاتهم بالماضي: فقد نُخسوا في قلوبهم، وفجأة رأوا أنفسهم بكل بشاعتها. ولما اعتراهم الفزع، شعروا بأنه عليهم ببساطة أن يتركوا أسلوب حياتهم الماضي المليء بالفساد.

وأهم ما في الموضوع هو أن حركة تأثر القلوب هذه قد تجاوزت حد الكلام والمشاعر وأفرزت تعبيرات حياتية ملموسة عن التوبة والغفران. فأعيدت البضائع المسروقة، وتصالح الأعداء، وتم الاعتراف بالخianات الزوجية والجرائم (ومن ضمنها وأد الأطفال)، والتأمت الزيجات المفككة. حتى إن السكارى في البلدة ظلّوا بعيدين عن حانات الشرب!

إنّ الذين يشككون في مدى أصالة الصحة الروحية التي حصلت في موتلنجن، لا يلزمهم سوى أن ينظروا إلى نتائجها ليدركوا أنها لم تكن حدثًا مُلقًا. فقد تأثرت البلدة بأكملها تقريبًا بتلك الصحة الروحية رغم سُخرية الناس منها في البلدات الأخرى. ويذكر أنه في عام 1883م، أي بعد حوالي 40 سنة من تلك الصحة، كتب فريدريش تسندل Friedrich Zündel (وهو كاتب سيرة بلومهارت) ما يلي: «إنّ الناس لم ينسوا لحد الآن تلك الصحة الروحية — حتى أن أولاد أولئك التائبين لا يزالون يُشعّون فرحًا». أمّا أنا [يقول

المؤلف] فقد سافرتُ على مدار الثلاثين عامًا الماضية عدة مرات إلى ألمانيا لزيارة حفيدات بلومهارت. (وقد تأثر والداي بشدة بكتاباته وسمياني باسمه تيمُّنًا به.) ويمكنني أن أشهد أن هناك شيئًا من الروح نفسه الذي اكتسح البلدة آنذاك لا يزال باقيًا حتى اليوم.

غير أنَّ السؤال المطروح هو: أكانت الصحة الروحية التي حدثت في بلدة موتلنجن حدثًا عرضيًا ونادرة الحدوث؟ أميكنها الحدوث ثانية؟ أمَّا القسيس بلومهارت فكان يؤمن بإمكانية حدوث ذلك: فقد بدأتُ رغم كل شيء برجل نادم واحد فقط.

**في كثير من الحالات، يمكن تصحيح الخطأ** بمجرد اعتذار بسيط — مثلًا عندما نتكلم بفظاظة مع شخص ما أو عندما يفتقر تعاملنا إلى الرأفة والتعاطف. ومع ذلك، لقد وجدتُ من خلال خبرتي أن أفعالاً مُتعمَّدة كالخداع أو السرقة يجب أن لا يتم الاعتراف بها فحسب، بل التَّواجُه مع عواقبها أيضًا، إذا أردنا الحصول الأكيد على تحرُّر كامل من قيود الخطيئة. فهناك حالات يكون فيها من الضروري عمل أشياء أكثر من مجرد الاعتراف الشخصي.

فكما يكتب اللاهوتي الأمريكي والمتخصص في فلسفة الأخلاق ستانلي هاورفاز Stanley Hauerwas: «لا يمكن لأيِّ جماعة مسيحية مُتَّحدة أن يخاطر أفرادها بأن يتغاضى بعضهم عن خطايا بعض، لأنهم تعلَّموا أن الخطيئة تشكِّل تهديدًا لكيانهم باعتباره مجتمعةً للسلام.» فلم يَعدُ أفراد الجماعة المسيحية المُتَّحدة يُخبِّنون الظلم الذي يصيبهم وكأنه يَخُصُّهم لوحدهم. ويردِّف ستانلي قائلاً: «عندما نفكر في أن أخانا (أو أختنا) في الكنيسة قد أخطأ إلينا، فإنَّ إهانة كهذه لم تُوجَّه إلينا نحن الأفراد فحسب، بل أيضًا إلى الجماعة المسيحية كلها.»

**مارك ودبي Mark & Debbie، صديقان لي** يعيشان الآن في ولاية بنسلفانيا، اختبرا هذا الأمر شخصيًا في الجماعة المسيحية الصغيرة التي كانا ينتميان إليها في ولاية كاليفورنيا في أواخر الثمانينيات، فيقولان:

لقد شهدنا على مر السنين النتائج الكارثية المترتبة عن تجاهلنا للذنوب أو التّسّتر عليها. فكُنّا نعيش ضمن جماعة مسيحية متشاركة صغيرة في داخل المدينة مع عدد من الأشخاص، وكان أحدهم رجلًا أعزب وقع في حب امرأة متزوجة في جماعتنا. وحاول البعض منا معالجة مشكلة علاقتهم الغرامية من خلال التحدّث معهما بشكل منفصل حول هذا الموضوع. ومع ذلك، لم يكن هناك أيُّ وسيلة لكي نتمكّن فعلاً من «طرح القضية علنًا على الجماعة.»

ولخشيتنا من أن نبدو في موقف دَيَّان أو قاسي القلب، اخترنا أن نتعامل مع الأمر باعتبار أن تلك العلاقة لم تكن علاقة خطيرة للغاية، أو على الأقل ليست خطيرة بالدرجة التي تستوجب إثارتها علنًا. فكُنّا نقول في نفسنا: ألم نرتكب جميعنا أخطاء؟ فَمَنْ نحن لِنُدينهما؟ فأقنعنا أنفسنا بأن التّواجه لن يزيد من شعورهما بالخزي وإدانة الذات فحسب، بل سيؤدي أيضًا إلى استمرار دورة الفشل في داخلهما. لهذا السبب تجنبنا الأمر برُمَّته كما لو كان مرض الطاعون. والآن نرى بكل وضوح أن ما كان يُدعى «عطفًا» هو الذي عمل على ديمومة فشلهما.

فقد ترك الرجل جماعتنا أخيرًا. وبعد سنتين، تركتُ المرأة أيضًا جماعتنا — وطلّقت زوجها.

من المؤكد أن التجربة التي اختبرها مارك ودّي في جماعتهم المسيحية ليست فريدة من نوعها. فقد كان لأفراد تلك الجماعة يدٌ في أن يتفكك الزواج، لأن الجميع سعى إلى إهمال ما كان يجري بالفعل. إذ يكون التّواجه أحياناً ضرورياً إذا أراد الناس الحصول الأكيد على الغُفران، لأنه ما لم يتواجه الإنسان مع ذنبه، لن يسعى إلى طلب الغُفران ولن يكون في وسعه اختباره. أمّا رفضنا للتّواجه مع الأشخاص الذين يسيئون إلى الآخرين — لأننا نقنع أنفسنا بأن هذا الأمر ليس من شأننا، مثلاً — فيصبح أحياناً هذا السلوك ليس أكثر من مجرد وسيلة لإغفائهم مما يفعلونه من ذنوب. وكما رأينا سلفاً، فإنّ تبرير الذنوب وغُفران الذنوب أمران متناقضان.

**يكتب الكاتب آلان باتون Alan Paton** من دولة جنوب إفريقيا في روايته الشهيرة *Too Late the Phalarope* (أي بمعنى فات الوقت يا طائر الفلّروب) عن رجل إفريقي محترم،<sup>[8]</sup> في ذروة زمن التمييز العنصري في دولة جنوب إفريقيا. فقد كان ذلك الرجل قد اقترف خطيئة «لا تُغتفر» ألا وهي: الزّنا مع امرأة إفريقية الأصل. ولَمَّا انفضح أمره، دُمّرت أسرته. وتركه أصدقاؤه، واحتقره أقرباؤه ورفضوه، ومات والده من جراء شعوره بالعار. إلّا أن واحد من جيرانه عبّر عن حزنه لِمَا حدث، فقال:

يحقُّ معاقبة المذنب ... أمّا المعاقبة دون الإصلاح ودون تقديم الشفاء له، فهي من أشد الجرائم ... فلو أخذ الإنسان على عاتقه القيام بدور الله في العقاب، لوجب

[8] إفريقي Afrikaner هو شخص إفريقي من أصل أوروبي وأبيض البشرة.

عليه أفضا أن يأخذ على عاتقه تحقيق وعد الله بإصلاح الشخص المذنب واسترداده.

**إنَّ الاعتراف بالخطايا يمهد الطريق للغفران والمصالحة.** وبدونه نبقى أسيري كبريائنا، ويصبح الغفران ليس ممكنًا. فعندما عاد والد زوجتي هانز Hans إلى برودرهوف بعد أحد عشر عامًا بعيدًا عنا، كتب ما يلي:

كنتُ أظنُّ أن الناس سيستقبلونني بالحجارة، ولكن لم يحدث أيُّ شيء من هذا القبيل. فقد أُتيحت لي كل الفرص لطرح أسئلي وهواجسي علنًا أمام الجماعة، وتحدثت الجميع معي بانفتاح وصراحة تامة. غير أن الذي ذوّب جمود قلبي لم يكن مجرد الانفتاح؛ وإنما بالأحرى المحبة التي تُشارك في تحمُّل المسؤولية — محبة مستعدة لتغفر، لأنها هي نفسها اختبرت الغفران.

ولم تكن المسألة مسألة معركة بين الناس، بل معركة مع الشيء الذي يُفرِّق بيننا ويزرع الانقسامات. وباختصار، كنّا كلنا سواسية ولدينا الصراع الروحي نفسه. ولم يتم التعامل مع الأمور بمشاعر الإطراء والمداهنات، بل تمَّ الاعتراف بأكثر الأمور المؤلمة في نور المحبة.

لقد تأثر هانز جدًّا بمحبة مجتمعه المسيحي له، إلّا أن الشيء الذي أطاح بعناده كان استعدادهم لطلب العفو منه عن الأفعال التي سببوا له الأذى بها، هم أنفسهم.

**أما سارة Sarah، التي هي أخت أخرى في مجتمع كنيستنا، فتكتب**  
عن الفرح والتحرُّر اللذين غمراها عندما قررت أن تنظف سجلاتها  
القديمة وتبدأ بحياة جديدة نقية في نور المسيح، فتقول:

لم أذق طعم النوم والراحة في الليل. فكان هناك شيء يطرق  
في بالي: كان عليَّ أن أصحح الأمور! فذهبتُ إلى بعض الأصدقاء  
الموثوق بهم وأخبرتهم بكل شيء. وقد ساعدني هذا كثيرًا جدًا،  
رغم أن ما كان عليَّ الاعتراف به كان مُقَرَّزًا. وفي الأيام التي  
تلت ذلك، بدأتُ شائعات أخرى تتوارد إلى ذهني، عندئذ لم  
أستطع الانتظار للاعتراف بها. وأتذكرُ بأني صرْتُ أركض لكي  
أخبرهم بتلك الأشياء الأخرى. فعندما تقوم بتنظيف جميع  
دفاترك وسجلاتك تنظيفًا مُخلصًا، تصبح حتى أصغر وأدق  
الأشياء مُهمَّةً وتحسُّ بضرورة الاعتراف بها. فكان يجب عليَّ  
أن أتخلص على الفور من كل شيء صغير تبادر إلى ذهني. فلم  
أستطع الانتظار.

ولم أكن أعلم مطلقًا بأني سأجد مثل هذا الفرح في  
الاعتراف والتوبة، فأخذت الفرحه تملأ قلبي أكثر فأكثر.

**اكتشفتُ سارة شعورًا رائعًا من التحرُّر والراحة الروحية، مثلما**  
اكتشفه الآخرون الذين صمموا على التَّوَجُّه مع ذنوبهم وطلب  
مغفرة الخطايا من يسوع المسيح المُخلص. وكانت تتوقع من أعضاء  
المجتمع المسيحي الآخرين أن يرفضوا بشدة ما اقترفته في الماضي،  
وأن يتجنبوها تجنُّبًا كاملاً بمجرد أن تخبرهم بذلك. ولكنها تعجَّبتُ  
عندما وجدتهم يُرحِّبون بِصِدْقِها ويقبلونها معهم في مجتمع الكنيسة  
بكل إخفاقاتها. وعندما اعترفتُ بمسؤوليتها عن أخطاء الماضي،

وأعلنت عزمها على القيام ببداية جديدة وأن تحيا بحسب وصايا الإنجيل، وجدتُ سارة — مثلما يستطيع أن يجده كل واحد مِنَّا — أن الاعتراف مَهَّد السبيل للمصالحة.

## إلقاء اللوم على الله

ليس من الصواب القيام بمحاولة إزالة كافة أشكال المعاناة، وليس من الصواب أيضًا تحمُّلها من غير تأثُّر أو انفعال على غرار الفلسفة الرواقية. فالمعاناة يمكن تسخيرها وتحويلها إلى أمر صالح تمجيدًا لله. فليست الظروف الخارجية ما تجعل الحياة سعيدة أو تعيسة بل موقفنا الروحي منها.

قَوْلٌ مِنْ

ايرهارد آرنولد Eberhard Arnold

لاهوتي ألماني تأسست على يده مجتمعات برودرهوف المسيحية Bruderhof

**عندما نتحدث عن الغُفران،** فإننا عادة ما نقصد الأذى الذي يلحقه بعضنا ببعض، ولكن في بعض المرات يبدو أنه لا يوجد مَنْ نلومه على هذا الأذى. ولَمَّا كانت المشاعر المؤلمة التي تهيج بداخلنا في هذه المرات بسبب هذا الأذى تشابه كثيرًا تلك المشاعر المؤلمة التي تهيج بداخلنا في الحالات التي يكون هناك بكل وضوح طرف مذنّب، فإنَّ الكثير مِنَّا يميلون عندئذٍ — بِحَقٍّ أو بغير حقٍّ — إلى إلقاء اللوم على الله لأنه جعلنا نتعذب دون أيِّ مبرر أو سبب واضح. عندئذٍ نتساءل



ونحن ممتلئون بالغضب والألم: «كيف يمكن لإله رحيم أن يسمح بهذا؟» ولكن، أيمكننا إلقاء اللوم على الله؟

لا أنوي التمعّن في مسألة: «أمن العدل أن نلوم الله في مثل تلك الظروف أم لا؟» ففي أغلب الأحيان، يكون إلقاء اللوم على الله ومن ثم مسامحته وإغلاق الموضوع — حتى لو كُنّا في الحقيقة لا نؤمن به — أسهل علينا بكثير من التّواجه مع حالة لا يوجد فيها مَنْ نلومه. فالغضب مرحلة مشروعة من الحزن، حتى عندما لا يوجد لدينا جهة واضحة لتوجيه هذا الغضب إليها. فنحن نحتاج إلى التعبير عن غضبنا والتعامل معه، إذا أردنا فعلاً الحصول على الشفاء الروحي الحقيقي والمضي قُدماً في حياتنا.

أيمكننا إذن أن نتعلم أن نغفر لله عندما نُحمّله مسؤولية إيذائنا، مثلما نتعلم أن نغفر للآخرين عندما نشعر أنهم يؤذوننا؟ إنّ الحل يكمن في استعدادنا للتعلّم من تجاربنا، والنمو من خلالها وإنتاج شيء إيجابي منها، وإلاّ سيبدو لنا ذلك الوقت الذي مررنا به في حياتنا بأنه سلبيّ بصورة كاملة. فعندما يبدو أنه لا يوجد سبب لمعانائنا، يجب علينا عندئذ أن نجد سبباً لتلك المعاناة. فليس من الضروري أن تكون الأزمة مجرد كارثة: إذ يمكنها أن تكون فرصة مفيدة أيضاً.

**زوهار جيمبرلن Zohar Chamberlain**، صديقة لنا من كيبوتس كيشور Kibbutz Kishor في إسرائيل، كانت قد فقدت ساقها في حادثة وهي مجرد في السابعة عشر من عمرها. ومع أن زوهار لم تجد شخصاً لتلومه على ما حدث، وعليه لم تجد شخصاً لتغفر له، فقد كانت لا تزال غاضبة ومُدَمِّرة نفسياً من الوضع الذي أمست فيه، لأنه صار عليها فجأة أن تتعلم من جديد كيفية القيام بالكثير

من الأمور التي كانت في السابق تفعلها دائماً بشكل تلقائي. فيها هي تقول:

كان ذلك في صيف عام 1987م. فقد كنتُ في السابعة عشر من عمري، وبدأتُ بالخدمة كمرشدة ضمن منظمة شبابية في أورشليم لمدة عام واحد. وبعد أربعة أيام فقط من بداية عملي، كان عليّ السفر شمالاً، ولذلك ركبتُ حافلة من محطة الحافلات المركزية في أورشليم. فكانت أفضل طريقة للسفر. فلم أحاول أسلوب الركوب المجاني عن طريق التلويح للسيارات المارة، أو القيام بأيّ مخاطرة أخرى. وإنما سافرتُ ببساطة في حافلة للنقل العام.

لم يستغرق الأمر إلاّ دقائق معدودة للوصول إلى شارع يرمياه، ولم تكن هناك حتى أدنى فرصة للسائق ليُسرع حقاً في سياقته، لكن الطريق كان زلّجاً بالماء والصابون من أحد المطاعم الواقع في جانب الشارع. ويبدو أن السائق ارتكب خطأً وأغلق الفرامل. فظَلَّت الحافلة تنزلق نحو شاحنة واقفة جانباً. فأصيب ثماني عشرة شخصاً بجروح، ولقي جندي وفتاة في الخامسة من عمرها حتفهما.

ولا أتذكرُ أيّ شيء عن الحادث، على الرغم من أنّ المُسعف الذي بدأ يعالجنني على الفور قال إنني لم أفقد وعيي. ولا أكاد أتذكرُ سوى بعض الأحداث البسيطة في المستشفى: كإعطائي رقم بطاقتي الشخصية وأرقام الهواتف اللازمة لتبليغ والديّ؛ وأيضاً عندما قصّوا ملابسي؛ وأمي في طريقها من غرفة الإنعاش إلى وحدة العناية المُركزة.

ولم يخبروني بأني فقدتُ ساقِي إلَّا بعد يوم من ذلك الحادث. فجاءتُ أُمِّي إلى سريري وسألتني إن كنتُ أعلم ما حدث. فأخبرتها بأنه يوجد عطب ما في ساقِي، ولكنني لم أستطع رؤيتهما لأنني كنتُ مُستلقية على ظهري. ولا أعتقد أنني كنت في حالة صدمة، لكن ربما كان ذلك بسبب كل المُسكِّنات. ومكثتُ في وحدة العناية المُركَّزة لمدة اثني عشر يومًا. وشعرتُ بالاطمئنان في ذلك المكان، رغم آلامي الرهيبة، لدرجة أنني لم أستطع رفع رأسي عن الوسادة، وكنتُ أعاني من ارتفاع في درجة الحرارة معظم الوقت تقريبًا. فقد تم الاعتناء بي اعتناءً جيدًا، ولم يخطر ببالي وقتذاك أنه سيترب عليَّ التعامل مع أيِّ أمر صعب بعد، وكنتُ محاطة بكل الدعم والرعاية المُحبَّة التي كنتُ أتمناها.

بعد ذلك، وقبل حلول العام اليهودي الجديد، تم نقلي إلى قسم تقويم العظام. وقرروا عند ذاك أنه لا يمكن إنقاذ ركبتي اليمنى، وأخبروني بأنه يجب عليَّ إجراء عملية جراحية ثانية لبتَر رجلي فوق الركبة مباشرة. وكان هذا الخبر صعبًا كثيرًا لتقبُّله؛ وانفجرتُ بالبكاء عندما أخبرتُ أحد أصدقائي الذي جاء لزيارتي.

كانت إجراءات النقاهاة من بعد العملية الجراحية الثانية صعبة. فقد عانيتُ بشكل خاص مما يُسمى بالآلام الوهمية في الساق المفقودة. وما جعل الأمر أصعب هو محاولة الأطباء إقناعي بأن مثل هذه الآلام وهمية ولا وجود لها. وكانت تلك الفترة التي استمرت حوالي أربعة أسابيع فترة عجز كبيرة بالنسبة إليَّ. فقد كنتُ مدركة لضعفي وعدم قدرتي على الاعتناء بنفسِي، الأمر الذي جعلني في الواقع

غاضبة للغاية، (إذ كانت عائلتي وأصدقائي بجواري طوال الوقت). فقد كنتُ إنسانةً مستقلةً للغاية، وفجأةً رجعتُ طفلةً صغيرةً مرةً أخرى. ولم يكن من السهل أن استجمع قواي للقيام بأشياء كانت تُعتبر سابقًا من المُسلّمات، أمّا الآن فتبدو شبه مستحيلة.

لا أعلم كيف كانت لشخصيتي أن تكون لولا هذا الحادث والتجارب التي أعقبته، لكنني أعتقد أنه جعلني أقوى. فعندما أدركتُ إلى حدٍّ ما بأنني بحاجة إلى الآخرين من حولي واضطراري للتعامل مع هذا الوضع، تجلّيتُ لي بكامل الوضوح أهمية المجتمع المتضافر. فبدلاً من الشعور بأنني عديمة الفائدة لأنني لا أستطيع القيام بأمر معين، وجدتُ أن الاعتراف بأنني بحاجة إلى المساعدة يعمل على تنمية إنسانيتي بكافة أبعادها أكثر وأكثر. في حين كنتُ سابقاً عادةً ما أنظر باستعلاء إلى أولئك الذين لا يستطيعون الوفاء بمتطلبات الحياة بمفردهم، لكنني تلقيتُ الآن درساً جيداً في قبول الآخرين كما هم عليه من خلال تعلُّم طلب المساعدة.

**في حياتي الشخصية** [يقول المؤلف] كان يتحتم عليّ باستمرار مواجهة مواقف من الإحباط والغضب، وشعرتُ أحياناً وكأنني ألوم الله. ففي إحدى المرات، كنتُ في رحلة صيد سمك شمالي ولاية نيويورك — وكانت رحلة فاشلة فيما يتعلق بالصيد، ولكنها كانت فرصة جيدة للهروب من ضغوط العمل لبضعة أيام.

وفي طريقي عائداً إلى البيت، لاحظتُ أنني كنتُ أفقد صوتي. فتجاهلتُ الأمر في البداية، متوقعاً أنه سيتحسن خلال بضعة أيام. ولكنه لم يتحسن، وسرعان ما تمت إحالتي إلى طبيب أخصائي، الذي

شَخَّصَ المرض بأنه شلل في الحبال الصوتية. وطمأنني بأن صوتي سيتعافى في النهاية، ولكن مرَّت أسابيع ثم شهور ولم يحدث أيُّ تغيير. وكانت وصفته العلاجية لي هي راحة كاملة للصوت — ولم يُسمح لي حتى بالهمس. وتساءلتُ فيما إذا سيكون بإمكانني التكلُّم ثانية.

ومما زاد الأمر سوءًا أن مجتمع كنيستنا كان في حاجة ماسة إلى قيادة رعوية قوية في ذلك الوقت. فقد كُنَّا نخوض بما يشبه الأزمة — لقد كان وقتًا مليئًا بالتفحُّص الروحي الذاتي لأفراد الرعية — وخلال تلك الأسابيع من النقاش الساخن والمجادلات أحيانًا، لم يسعني سوى الجلوس صامتًا ومكتوف اليدين عاجزًا عن المشاركة.

كنتُ أتوق إلى أن يكون بإمكانني المشاركة في هذه الاجتماعات، ولكنني لم أستطع ذلك؛ فقد أدركتُ أول مرة في حياتي قيمة عطية الكلام. حتى أنني لم أستطع التكلُّم مع زوجتي وأولادي، بل كان عليَّ أن أكتب كل شيء لهم، الأمر الذي جعلني مُدَمَّرًا نفسيًا وخائر العزيمة. وبصراحة، كنتُ غاضبًا. وباعتباري راعيًا روحيًا للكنيسة، لم أستطع أن أفهم السبب الذي بدا لي بأن الله أسكتني في الوقت الذي كانت هناك حاجة لي بشكل واضح جدًا.

وبعد ثلاثة أشهر، بدأ صوتي يعود؛ وبعد مضي خمس سنوات أصبح طبيعيًا تقريبًا. ولكنني لم أنسَ مطلقًا تلك الأسابيع الاثني عشر. وعندما أعود بذاكرتي إلى الماضي، يمكنني أن أرى أن عجزني عن الكلام ساعدني على تنمية نظرة أكثر تواضعًا ومرونة للحياة. فقد تعلمتُ شيئًا فشيئًا أن أرى ضعفاتي وإخفاقاتي الشخصية وذلك لعمل شيء صالح من وضع غير مثالي. أمَّا الآن فأنا أتذكَّر على الفور تلك التجربة المفيدة في التواضع وإدراك ضعفاتي كلما سَوَّلَتْ لي نفسي أن ألوم الله في لحظات الأزمات أو الإحباط.

**أندريا Andrea، وهي سيدة في أحد مجتمعات كنيسةنا، صارت** روحياً لقبول ظروف مختلفة تماماً: فقد عانت من ثلاث خسارات حمل [أي الإجهاض التلقائي للجنين] قبل أن تنجب طفلاً سليماً. وفي بعض الأحيان، وجدت أعباءها أثقل من أن تتحملها. فتقول:

غمرتنا السعادة أنا وزوجي نيل Neil عندما اكتشفنا أنني حامل بعد حوالي ستة أشهر فقط من زواجنا. ولكن في إحدى الليالي، قبيل عيد الميلاد المجيد (كريسماس)، شعرتُ بألمٍ حادٍّ ازداد سوءاً بسرعة. وأراد طبيب مجتمعتنا المسيحي أن يرسلني إلى المستشفى، وجاءت جارتِي الممرضة لتبقى معي لغاية ذهابنا إلى المدينة. وأكّدت الممرضة لي ما كنتُ أخشاه — وهو أنني قد أفقد طفلي. وكان الألم النفسي على الأقل بالشدّة نفسها للألم الجسدي. لماذا يا الله؟ لماذا أنا؟ لماذا عليك أن تأخذ هذه النفس الصغيرة بهذه السرعة؟ ما الذنب الذي ارتكبته أنا؟

ولغرض إنقاذ حياتي، كان من الضروري إجراء عملية جراحية. وفقدتُ الطفل، وقضيتُ أسابيع لاسترد عافيتي. فيا له من كريسماس مختلف هذه المرة!

وتعذبنا كثيراً بسبب خسارتنا للطفل، وشعرنا بالوحدة في آلامنا. وعندما قال لنا أحد أقاربنا: «ابتهجاً! فرما سيكون لديكما حظ أفضل في المرة القادمة»، شعرتُ وكأنني تلقيتُ صفعة على وجهي. حظ؟! أي حظٍ هذا؟! لقد فقدنا طفلاً تَوّاً! إنسانٌ حقيقيٌّ! طفلنا!

وأرسل أحدهم بطاقة لي تقول: «الرّب يعطي، والرّب يأخذ، ليكن اسم الرب مُباركاً.» غير أنّ هذا دمّرني فعلاً.

فكيف لي أن أشكر الله على هذه التجربة المرّوعة والمؤلمة؟ فلم أستطع فعل ذلك. ولم أتمكن من التوقّف عن التفكير في أن الله كان يعاقبني بطريقة أو بأخرى، رغم عدم استطاعتي فهم السبب.

إلا أن القسيس في كنيستنا أخذ يعزّيني روحياً قائلاً: «إنَّ الله إله المحبة، وليس إله العقاب، وهو موجود لتخفيف آلامنا.» فتمسّكتُ بكلماته مثلما يتمسّك الإنسان الغارق بعصا ممدودة إليه من الشاطئ. أمّا الدعم المليء بالمحبة الذي تلقيته من زوجي نيل فبدا كعلامة منظورة لمحبة الله هذه، واكتشفنا أن آلامنا قد وحدتنا بطريقة جديدة. وقد عزّتني روحياً بالأخص كلمات المزمور 30 العدد 5: «يَبْقَى الْبُكَاءُ لِلَّيْلَةِ، أَمَّا فِي الصَّبَاحِ فَيَعُمُّ الْابْتِهَاجُ،» حتى عندما لم أستطع الشعور بقدوم ذلك الابتهاج، حين بدا لي أن الفجر لن يطلع أبداً.

وتدريجياً، ومراراً الوقت وبالمعونة المُحبّة لأولئك الذين من حولي، أصبح بمقدوري التحسّس بأن تلك التجربة المؤلمة للغاية قد أعطتني فكرة عن محبة الله، الذي يهتم بمعاناة الناس، الذي كان موجوداً بقربي في آلامي، وأنا مقتنعة تماماً بذلك. فزادت حقيقة واقعية الله بالنسبة إليّ، وبدأتُ أثقُ بمحبته.

إلا أنه بعد عدة أشهر، وعندما كنتُ حبلً بطفل آخر، وكلي أمل في أن يسير كل شيء على ما يرام هذه المرة، حدث الشيء نفسه مرة أخرى؛ ألمٌ شديدٌ، ورحلة طارئة في سيارة الإسعاف إلى المستشفى، وعملية جراحية لإنقاذ حياتي. وهنا مرة ثانية، فقدنا إنساناً صغيراً وعزيزاً فور تكوينه مباشرة.

ومزَّق حزن شديد قلبي. وكتبْتُ في مذكراتي اليومية: «لا يسعني أن أفهم السبب؛ وربما لن أفهمه أبدًا. فأحتاج إلى يقين الإيمان — ساعدني يا رَبُّ!»

وقف نيل إلى جانبي بكل إخلاص. وكان قد فقد أخته بسبب السرطان قبل بضع سنوات، وما كتبه آنذاك كان مصدر تشجيع كبير لي: «نحن منفصلون عن الله بتباعدٍ جسديٍّ فقط، وربما لا يكون ذلك التباعد كبيرًا.» فتمسَّكتُ بهذه الكلمات بكل قوتي.

وعلى مرَّ الأسابيع والأشهر التي تلت، تضاءلت تدريجيًّا أوجاعي وأحزاني، رغم أنها لم تختفِ كليًّا على الإطلاق. وبعد حوالي عام فقدنا مرة أخرى طفلًا قبل ولادته. وهنا أيضًا، ملأ قلبي حزن شديد، ولكن لم تنتابني هذه المرة مشاعر اليأس والعذاب لكي أعرف السبب.

أمَّا اليوم، فإنَّ أندريا أمُّ لطفلة جميلة عمرها ثماني سنوات. ورغم أنها تتحطم نفسيًّا وينتابها فيض من المشاعر الصعبة حينما تتذكر حالات الحمل الثلاث الأولى، إلَّا أن قلبها خالٍ من أيِّ استياء. وتحاول أن ترى شيئًا إيجابيًا في معاناتها، وتشعر بأنها، وبفضل تلك المعاناة، صارت تُحبُّ زوجها حبًّا أعمق من قبل، إذ إنها اجتازت مع زوجها بالجحيم وعادا منها، وليس ذلك فحسب، بل أخذت أيضًا تُثمن بنتها وتعتزُّ بها اعتزازًا أكبر مما لو لم تمرَّ بتلك التجربة.

**جوناثان وجريتشن رودس Jonathan and Gretchen Rhoads**

زوجان شابان في مجتمع كنيسة، تزوجا في عام 1995م. وكانا مثل أيِّ أبوين جدد ينتظران بفارغ الصبر ولادة طفلهما البكر. ووُلِدَ



آلان Alan بعد حمل كان يبدو طبيعياً، ولم يلاحظ والداه وجود أشياء غير طبيعية عنده إلا بعد خروجه من المستشفى. فما كان الطفل يأكل جيداً، إضافة إلى أن تحكُّمه في عضلاته كان ضعيفاً. وكان يستلقي بسكون، وبدون أيِّ حركة تقريباً، وعندما كان يتنفس كان يصدر أحياناً أصوات غرغرة غريبة. فتم إدخاله بسرعة إلى مستشفى جامعي قريب منّا، ولكن مشاكله الصحية لم تتضح إلا بعد بلوغه الثلاثة أشهر: فقال الأطباء إنَّ هناك احتمالية عدم قدرته على المشي والتكلُّم لبقية حياته؛ وقد كان أعمى؛ ويعاني من تشوهات كبيرة في الوركين والدماغ والأذنين والمعدة.

أمّا والدا آلان فتحطما نفسياً. فقد ظلَّ لفترة طويلة يشكَّان في وجود علة معينة في طفلهما، ولكنهما لم يتوقعا مطلقاً أن يكون الأمر بهذا السوء. وبدَّآ على الفور باتهام نفسيهما، ولم يمرَّ وقت طويل حتى بدَّآ باتهام الله قائلين: «لماذا نحن بالذات؟» وأخبرني جوناثان ذات مرة بأنه كان غاضباً، ولكن عند مساءلته لم يستطع تحديد الجهة التي يوجِّه لها غضبه. لنفسه؟ لزوجته جريتشن؟ للأطباء؟ لله؟ نعم، ربما لله. رغم أنه لم يستطع تفسير السبب. فقد قال:

من الأمور التي تعلَّمتها بسرعة هي أن لا نقارن طفلنا بأطفال الآخرين. إذ إنَّ طفل جارنا يزن بالوزن نفسه الذي لطفلنا آلان، ومع ذلك فهو لا يتجاوز ثلث عمر آلان. وطفل جارنا لا يجد أيِّ مشكلة في إنزال زجاجة الحليب في خمس عشرة دقيقة. أمّا عندنا فيُعتَبَر شرب 14 غرام انتصاراً كبيراً. لماذا؟ فلا يوجد ما يُقال. فإمّا أن يكون الله يكرهنا، وإمّا أن يكون حاله هذا هو ما قدَّره الله. وقد لا نعرف السبب أبداً،

لكن إذا امتلأت أحشاؤنا بالاستياء، فسنقتل كل الأفراح التي كانت لدينا.

وعندما جاء جوناثان وجريتشن إليّ بمشكلتهما، أكّدتُ لـكليهما على أنهما ليسا مسؤولين بأيّ شكل من الأشكال عن معاناة ابنهما. وأخبرتهما بأنه لَمَّا كان كل طفل عطية من الله، فربما الطفل آلان عطية مُميّزة للغاية، لأنه يمكنه أن يُعلِّمنا دروسًا قيّمة عن الصبر والرحمة. فهو يذكّرنا بالأمور الهامّة في الحياة، وينشلنا من سباق الجردان الذي يُمثّل الحياة الشقيّة الروتينية التي تتطلب العمل الشديد من أجل التنافس على المال والسلطة والمكانة، ويساعدنا الطفل آلان على تصحيح ترتيب أولوياتنا، كما يُعلِّمنا ذلك كل الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة. إذ يتمتع الأطفال من أمثال آلان بالقدرة على إخراج أفضل ما في داخلنا من صفات خيِّرة، فيعيدوننا إلى التواصل مع إنساننا الداخلي الحقيقي.

وما يزال والدا آلان يصارعان روحياً من أجل أن يغفرا. فالأمر ليس بالأمر السهل. ففي بعض الأحيان يريدان الهروب، عندما لا يتمكنان من مواجهة زائر آخر يُقدِّم لهما كلمات تعاطف لا معنى لها.

ومع اقتراب آلان من عيد ميلاده الأول، فإنّ والديه يواجهان مستقبلاً مجهولاً بشأن ابنهما. وتضمنتُ التطورات الصحية الأخيرة فتح ثقب في القصبة الهوائية للتنفس، وتركيب أنابيب للتغذية، وفوق كل ذلك استئصال الزائدة الدودية. فكم من المعاناة التي سيتعيّن عليه تحمّلها بعد كل هذا؟

وفي عالمنا الذي يدعو إلى «التشخيص المبكر» (وأيضاً إلى ما يسمى بإنهاء الحمل Pregnancy Subsequent Termination) كإجراء لتفادي إنجاب الأطفال من ذوي العاهات، يقف والد آلان شاهدين للقيمة الجوهرية لكل طفل. وشدداً على أن الطفل آلان ليس حالة شذوذ وراثي، وإنما هو إنسان لديه الكثير ليخبرنا به ويعلمنا إياه، ولن يقبلأ بأنه مجرد يرحد يرحد دون أن يبذلا كل ما في وسعهما من أجله. وتكتب الأم جريتشن قائلة:

تمتد يده الصغيرة عَبْرَ الأسلاك المتشابكة بحثاً عن خدي. وعندما انحني لأرفعه من سريرهِ، يتحركان جَفْنِيهِ قليلاً ويهديني ابتسامة عريضة وهو نائم ... وفي خلال الأشهر الأحد عشر الأولى من بعد ولادته، تم إدخاله المستشفى خمس مرات؛ أمّا مواعيد العيادات الخارجية فقد توقفنا منذ فترة طويلة عن عَدّها. وفي كل مرة نعود إلى المنزل بأسئلة أكثر وأجوبة أقل؛ وبدموع أكثر، وبيقين أقل. ولكن عندما يحتضني الطفل وينظر حوالبه حُبّاً بالاستطلاع، عادة ما يتسم. فإنّ رضاه بما هو عليه بلسمّ لقلبي.

فهل يمكنه تحمّل المزيد من الآلام؟ وما العقبات الجديدة التي بانتظارنا لتجاوزها؟ أمّا خرطوم التنفس الاصطناعي فقد سرق مِنّا بعض المغامرات الصغيرة التي كُنّا نتطلع إليها مثل الأكل بقنينة الحليب أو حتى تناول بعض الطعام الصلب. ولم يَعدْ هناك أيُّ صوت كركرة فرح، وأيُّ صرخة إحباط.

ويخبرنا الأطباء بأنه لو عاش طفلنا، فرما لا يحتاج إلى تلك الخراطيم. هذا «لو عاش!» وهذه الكلمات تمزّق قلبينا،

ومع ذلك تستمر ابتسامته في منحنا الأمل. فهو يُعلِّمنا القبول — وبالتالي الغُفران — كل يوم.

**أَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّ الْوَلَدَ آلَانَ Alan** فتىٌ بعمر المراهقة ومُشرق الوجه وأنيسٌ ومنفتحٌ اجتماعيًا، رغم تنبؤات الأطباء الذين فحصوه وهو طفل. وبإمكانه المشي والركض — وحتى الرقص. فإذا قُمتَ بزيارة بيته، فرما يخرج لمقابلتك على دراجته الهوائية ثلاثية العجلات. وبالرغم من أنه لا يستطيع النطق (ولا يزال يعتمد على أنبوب التغذية) إلا أنه ليس لديه مشكلة في التواصل مع الناس، سواء كان ذلك بالمصافحة، أو بتلويح يده، أو بإصدار صوت نخر، أو بضحكة صاخبة. ويقول والده:

في البداية، لم نَرَ ابننا آلان سوى أنه طفل مُعاق. وصلينا من أجل شفائه، ومن أجل التغلُّب على إعاقاته. ومع مرور السنين، أخذنا، نحن أنفسنا، ننمو في الحكمة. فأصبحنا حاليًا نُصلي إلى الله لَعَلَّنَا، نحن أنفسنا، نشفى، وَلَعَلَّنَا نجد المزايا والصفات التي تجعله مثاليًا جدًّا — مثاليًا في براءته ومحبته، وفي البكاء والضحك.

وتعبّر والدته عما تشعر به قائلة:

بالطبع، إنَّ الحياة مع آلان مؤلمة وليست كلها مفروشة بالورود، وعندما يتعيَّن علينا اتخاذ قرارات عنه، عادة ما نشعر بالقلق بشأن ما إذا كنا سنتخذ الخطوة الصحيحة. ولكن هناك أولادنا الآخرون أيضًا: فأنا قلقة بشأن ما إذا كُنَّا

منهم الوقت والاهتمام الكافين. ولكننا في مواجهتنا لهذه المسائل، نعود باستمرار إلى موضوع الغفران. فالتربية التي نقدّمها لأولادنا تعتمد على هذا الموضوع. وزواجنا يعتمد عليه. فمن المهم جدًا أن نكون قادرين على قول «أنا آسف» أحدنا للآخر، ولأولادنا، ولله. وهذا ما يتيح لنا أن نبدأ بداية جديدة، والسلام في قلوبنا — وأن نكون على استعداد للضحك مع آلان وهو يرفع مستوى الصوت لموسيقاه المفضلة في جهاز السي دي، ويسحب أيدينا لحملنا على الرقص معه.



آلان Alan عندما كبر وصار في المدرسة

## رقرة الماء

إنَّ المحبة بالأفعال أمر قاسٍ ومُفْزِع بالمقارنة مع المحبة بالأحلام. فالمحبة بالأحلام مُتلهِّفة لاتخاذ إجراءات فورية، والقيام بها بسرعة، وعلى مَرَأَى من الجميع. ثم إنَّ الناس مستعدون للتضحية بحياتهم بشرط أن لا يستغرق تعب المحبة فترة طويلة ... وأيضًا بشرط مشاهدة وتصفيق الجميع لهم. أمَّا المحبة بالأفعال فهي مُتعبة وتحتاج إلى صبر.

قَوْلٌ مِنْ

فيودور دوستويفسكي Fyodor Dostoevsky

وهو من أكبر الكتاب الروس ومن أفضل الكتاب العالميين

**كنتُ، لسنوات، كلما سمعتُ اسم رواندا** كان ردُّ فعلي فوراً تقريباً. فعادة ما كانت كلمة مذبحه جماعية تتبادر إلى ذهني، ومعها صور مُروعة من عام 1994م، عندما مُحِيتُ قري بأكملها عن الوجود في واحدة من أسوأ المجازر في التاريخ الحديث. أمَّا اليوم فهناك كلمة مختلفة تمامًا تتبادر إلى ذهني عند سماعي لاسم البلد نفسه، ألا وهو: الغُفران، وقدرته على أن يشفي كل شيء حتى أشرَّ فصل من فصول التاريخ البشري. وحصل هذا التغيير في رد فعلي في عام 2008م، بعد مقابلة جان بولس سامبوتو Jean-Paul Samputu.

فقد كان جان بولس سامبوتو موسيقياً من الطراز العالمي ولديه جدول مكثف للحفلات الموسيقية، وتمت مقارنته بالمغني الشهير بولس سايمون Paul Simon، وقد غنى في كل مكان، بدءاً من أرياف إفريقيا وانتهاءً بمركز لنكولن للفنون في مدينة نيويورك. وقد حصل على العديد من الجوائز الفخرية، ومن ضمنها جائزة كورا Kora Award المرموقة. ولكن لم تكن موسيقاه هي التي لفت انتباهي، وإنما كانت رحلته من الغضب والحقد إلى الغفران والفرح. فها هو يحكي لنا:

تأملوا هذا: مليون شخص قُتلوا في تسعين يوماً! فقتل الأصدقاء أصدقائهم، والإخوة إخوتهم، والأخوات أخواتهن، والأولاد والديهم. وقتل الوالدون أولادهم، والأزواج زوجاتهم ... وفي تلك الأثناء، كنتُ أقوم بجولة في دولة بوروندي وأوغندا — ولأني كنتُ معروفاً جداً في رواندا، نصحني والدي بالفرار وعدم الرجوع إلى البلد. ولكنني رجعتُ إلى بلدي في شهر يوليو من عام 1994م، عند نهاية المذابح الجماعية. وكنت أعلم سلفاً بأن والدي قد لقي مصرعهما — فكانا قد قُتلا في شهر مايو في قريننا بوتاري Butare الواقعة في جنوب العاصمة. وقُتل أيضاً ثلاثة من إخواني، وأختي البالغة من العمر 34 عاماً. فكان الأمر مُريعاً.

كانت أسرتي من قبيلة توتسي Tutsi، وكان جيراننا قد شرعوا في قتل أبناء قبيلتنا. وكنتُ أعتقد أن أختي بأمان لأنها كانت متزوجة من رجل من قبيلة هوتو Hutu. ولكنها لم تكن آمنة. فقد قتلوها شيئاً فشيئاً، على مدار ثلاثة أيام. وهناك أشياء كثيرة لا أستطيع التحدث عنها ...

وعندما رجعتُ إلى رواندا، سافرتُ إلى قرية بوتاري، وذهبتُ إلى منزل والدي. لقد كان فارغًا. فبحثتُ عن الجيران. فلم يكن هناك أحد. وكانت الجثث في كل مكان. والرائحة! وأخيرًا عثرتُ على بعض الناجين، وعرفتُ مَنْ الذي قُتل والدي. لقد كان أعزُّ أصدقائي في طفولتي، فينسنت Vincent. فقد نشأنا معًا، ولعبنا كرة القدم معًا. فصُغِقتُ من هول الخبر؛ ودمرتني كليًا.

لقد فقد الجميع تقريبًا — كل توتسي — فردًا من عائلته في عام 1994م. ولكن بمجرد التفكير في أن والدي قُتلًا على يد أعزُّ أصدقائي! كنتُ أفقد صوابي. وبدأتُ بالشرب وتعاطي المخدرات. فصرتُ أشرب قنينة كاملة من الجن الإفريقي «واراجي Waragi» كل يوم. وكنتُ أتساءل لماذا لم أمت. أمّا الآن فأعرفُ السبب.

وعلى مدى السنوات التسع التالية، عشتُ في حالة ذهول. فكان الغضب والألم والاستياء مُدمرين كليًا. فكانت هناك حرب تدور في داخلي، وتمزقني. ولم أعدُ أستطيع الغناء، لأنني كنتُ دائمًا في حالة سكر. ولم أستطع الإيفاء بالعقود الموسيقية؛ ولم أكن مستعدًا للصعود على خشبة المسرح الغنائي على الإطلاق.

ذهبتُ إلى أوغندا، وحاول الأصدقاء مساعدتي. فجاؤوا بي إلى طبيب ساحر، الواحد بعد الآخر، ولكن لم يساعدني أيُّ شيء منهم. وكنتُ غاضبًا على نفسي وعلى الله. «أين كنتَ يا الله؟» وصرتُ أسأله عدة مرات. «كيف تسمح بحدوث مثل هذه الأمور؟»



وفي نحو ذلك الوقت، أنجبتُ زوجتي طفلة أسميناها كلوديا. وكانت الطفلة ذات إعاقة شديدة؛ الأمر الذي جعلني أكثر غضبًا. وأخذتُ ألوم الله. وبحصولنا على تلك الطفلة الملعقة تحطمنا كلانا، أنا وزوجتي، وأخذ أحدهما يتهم الآخر ...

انتقلتُ أسرة جان بولس سامبوتو إلى كندا في عام 1998م. واستقرتُ الأسرة في مونتريال، حيث كانت تقطنها جالية كبيرة من المهاجرين الروانديين، وأنجبا طفلًا آخر. وفي عام 2000م انفصل الزوجان. وعاد جان بولس إلى إفريقيا. فيردف قائلاً:

ذهبتُ إلى أوغندا — إذ كنتُ نجمًا غنائيًا هناك — وأقمتُ عرضًا غنائيًا كبيرًا فيها. وكسبتُ مالًا كثيرًا مرة أخرى. ولكن بسبب إدماني على الشرب والمخدرات، كان الأمر ينتهي بي دائمًا إلى السجن. فصرْتُ أدخل وأخرج من السجون، مرة بعد أخرى. فأنا أعرف كل السجون هناك: فقد أمضيتُ وقتًا في كل منها.

وأخيرًا، دفع أحد إخواني مبلغًا ضخمًا لإطلاق سراحي، وذهبتُ إلى كينيا حيث كان هو يعيش لأكون معه في البلد نفسه. وأثناء وجودي هناك، زارني صديق لأهل زوجته، مُبشِّرُ اسمه موسى. وقال إنه جاء من أجلي - إذ أخبره الله بأن يجديني ويصلي من أجلي.

كنتُ مترددًا، ولكنني أصغيتُ إليه، وبعدئذ سمحتُ له بأن يصلي من أجلي. ولأكون صادقًا، كنتُ مستعدًا لأي شيء وقتذاك. فلم يكن لديَّ أيُّ خيار آخر. إذ لم ينجح أيُّ شيء آخر معي.

كانت لصلاة موسى قوة عظيمة. فقد أعانني على التغلب على إدمان الكحول والمخدرات عندما أَمَرَ الشياطين بأن يتركوني. فصلّى هكذا: «اخرجوا منه، باسم يسوع.» وكان كلما يذكر اسم يسوع، كنتُ أُحسُّ بشيء غريب. فكنتُ غالبًا ما أسقط أرضًا، وأحيانًا أتقيأ أيضًا. فمن الصعب وصف الموقف. فكل ما يمكنني قوله إنه عندما كان ذلك الرجل يُصَلِّي، كانت صلاته قوية بشكل لا يُصدّق.

في البداية قلتُ له: «أنت أفضل طبيب ساحر على الإطلاق.» (فكان هذا الشيء الوحيد الذي كنتُ أعرفه). فضحك وقال: «لا، أنا لستُ طبيبًا ساحرًا.» وعندما شكرته، أصرَّ على أنه لم يفعل شيئًا سوى الصلاة. «لا تشكرني أنا، فأنا لستُ الطبيب الذي شفاك. إنه يسوع المسيح.» وسرعان ما أخذتُ أشتاق إلى يسوع. وأردتُ معرفة المزيد عنه، ومَنْ هو. وبعد ثلاثة أشهر توقفتُ عن الشرب، وتوقفتُ عن تعاطي المخدرات.

وسافرتُ عائداً إلى أوغندا في عام 2003م. وأنا الآن مسيحي، وقد كتبتُ كل الصحف عني، مثلما فعلتُ سابقاً عندما سُجِنْتُ. فكانت قصة كبيرة: «سامبوتو يغيّر حياته.» «سامبوتو يؤمن بالصلاة.» أمّا أنا فذهبتُ إلى جبل سيجوكو Sseguku، وهو جبل صلاة مشهور في أوغندا. فالناس يقصدونه من كل مكان ليكونوا مع الله. وقضيتُ ثلاثة أشهر هناك لكي أكون في خلوة، محاولاً التعرف على يسوع المسيح واختبار وجوده.

صَلَّيْتُ وَصَلَّيْتُ على جبل سيجوكو، وطرحْتُ على الله جميع أسئلتي. وكنتُ أَتَلَقَّى دائماً الجواب نفسه. فكان

الجواب يأتيني في الأحلام، من خلال صوت وكأني كنتُ أتحدث معه بالفعل. وحدث هذا الأمر ليلة بعد ليلة، وكانت الرسالة نفسها دائماً: «عليك أن تغفر.»

واعدتُ هناك على ارتياد كنيسة على الجبل، وإذا بي أجد فيها الموضوع نفسه يُكرز به. وأنا لم أرغب في سماعه، لكن لم يكن هناك أيُّ مفر منه. وكنتُ أسمع هذا الصوت أثناء نومي يقول لي باستمرار: «لن تُشفى إلا بعد أن تغفر.» غير أنني تابعتُ العناد والمقاومة لمدة عام آخر على الأقل.

وزيادة في الإيضاح، فمع أنني كنتُ مسيحياً: وتوقفتُ عن الشرب ولم أعدُ أتعاطى المخدرات، إلا أنني لم أكن قد تحررتُ من سطوة الشرِّ تحرُّراً تاماً أو شُفيتُ روحياً شفاءً كاملاً. فكنتُ «على ما يرام» إلى حدٍّ ما، ولكن كان لا يزال يوجد استياء عميق بداخلي. فهذه كانت المشكلة. لأنه لا يكفي أن تكون مسيحياً، أو حتى أن تعرف الكتاب المقدس بأكمله. فهذا مجرد نصف البرنامج. فالشيء المهم هو أن تعيش ما تعرفه — أن تعيش الحق.

كان هذا الأمر يعني أمراً واحداً بالنسبة إليّ: يجب أن أتوب وأسدّد ديوني في كل مكان. ويجب أن أطلب المغفرة لما آذيت الآخرين به. ويجب أن أغفر لفنسنت، ويجب أن أغفر لزوجتي.

لقد كانت معركة صعبة. وكنتُ أقول دائماً لا. لا! واستغرق الأمر شهوراً. بعدئذ، في ذات يوم، أصبح الوضع لا يُحتمل بعد. فكان عليّ أن أستسلم، وأقول نعم. فقلتُ لنفسِي: «أنا مُستعدُّ في الحال لأن أغفر لفنسنت.» ولما فعلتُ ذلك، تحررتُ — وشُفيتُ شفاءً كاملاً، وكُسِرت قيود كل شيء

من الماضي. وحلّ سلام في قلبي. وحدث كل هذا لمجرد أنني  
قلتُ أخيراً: «نعم»، لذلك الصوت. واتصلتُ بزوجتي تلفونياً.  
وذهبتُ لأبحث عن فنسنت. لقد كان في السجن، ولكنني  
وجدتُ زوجته رَجينة Regina، وطلبتُ منها أن تخبر زوجها  
فنسنت بأنني قد غفرتُ له ...

وعندما طلبتُ من جان بولس أن يخبرني على وجه التحديد بالسبب  
الذي دفعه إلى أن يغفر لصديقه القديم، قال إنه كان يشعر بالقلق  
من أنه هو نفسه أخذ يتحوّل إلى قاتل. كما يقول هنا:

أحمد الله على أنني لم أجد فنسنت قبل ذلك الوقت. فأنا لم  
أتعدّ مطلقاً على أيّ إنسان، إلّا أنني، وبعد تلك المذابح، كنتُ  
في قرارة فكري عاقِد النية لأذية فنسنت. فكنتُ في طريقي  
لقتله. وكنتُ عازماً على قتله حتى لو لم أكن قادراً على فعل  
ذلك بنفسي، بل كنتُ سأطلب من أحدهم ليقتله لي. فهذا ما  
يأخذنا الحقّد إليه: حيث ينتهي الأمر بالإنسان ليصير قاتلاً،  
هو بنفسه، حتى لو لم يكن لديه أيُّ فكرة عن كيفية القتل.  
وأخيراً عندما غفرتُ لفنسنت بالفعل، أستصعب فنسنت  
تصديق الأمر. فقال لزوجته مُتَعَجِّباً: «كيف له أن يفعل ذلك؟  
وبعد كل الذي اقترفته؟» وكان كل ظنه أنها خدعة، ومناورة.  
إلّا أن زوجته قالت له: «لقد تكلمتُ مع جان بولس سامبوتو.  
وإنّ لم تقبل مغفرته، فهذه مشكلتك. لكن دعني أقول لك  
شيئاً، إنّ الذي يغفر لك هو ليس جان بولس سامبوتو بل الله.  
فإنها النعمة الإلهية.»

في النهاية، صدّقني فنسنت، وأحدث هذا الأمر شيئاً عجبياً. فقد كانت زوجته سابقاً لا تسمح له بالعودة إلى المنزل. فلم تستطع أن ترى نفسها تعيش مع قاتل غير تائب. أمّا عندما قبل فنسنت مغفرتي له (لأنه رأى أن الله فعلاً كان وراء كل شيء) أصبح في مقدوره أن يتوب ويغفر لنفسه. وبعد ذلك، غفرت له زوجته رجينة أيضاً. فقالت له: «إذا كان الله يستطيع أن يغفر لك من خلال سامبوتو، فلا بد أن أغفر لك أنا أيضاً.» وغفر له جميع أولاده أيضاً. وهو الآن في بيته. وجميع أفراد العائلة معاً. وعندما أزورهم أتناول الطعام معهم. فهكذا تعمل قوة الغفران.



جان بولس إلى اليمين مع صديقه فنسنت  
بعد الغفران والمصالحة

**إِنَّ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى حَيَاةِ جَان بولس جَمَعَتْ أَيْضًا أَفْرَادَ** عائلته الشخصية مرة ثانية. فقد عاد جان بولس إلى زوجته وأولاده في كندا في عام 2005م. فاسمعوه يحكي لنا ذلك بنفسه:

حدثت منذ ذلك الوقت معجزات كثيرة في حياتي. فقد تكلم الله معنا من خلال فم مُرَبِّية بنتنا المُعاقّة، وبيّن لنا أن بنتنا ليست بنت كسيحة وإنما ملاك. فقالت المُرَبِّية لنا: «لقد خلق الله بنتكما كلوديا، ولا يوجد في نظره أيُّ عيب فيها. أمّا أنتما فتشعران بالخزي من إنكما لديكما مثل هذه الطفلة. حتى أنكما لا تريدان النظر إليها. والأولى بكما أن تفتخرا بها.»

وفي المرة التي بعدها عندما ذهبتُ لزيارة كلوديا (فهي لم تكن قادرة على السكن معنا، بل كانت تسكن في منشأة خاصة لرعاية المعاقين)، بكيتُ هناك، ورآني ابني أبكي. فسألني: «لماذا تبكي؟» بعد ذلك صلّينا معها. وتمكّنتُ أخيرًا من أن أُقِرَّ وأقول: «نعم، لقد أنعم الله عليّ فعلاً بهذه الطفلة.»

ومن خلال مُرَبِّية كلوديا، بدأتُ أُحِسُّ بأن الله في الحقيقة قد باركني عندما رَزَقْنَا بِمِثْلِ هذه البنت. وأمّا اليوم، فقد أدركنا أنا وزوجتي أن بنتنا كنزٌ لا يُقَدَّر بِشَيْءٍ، بدلاً من توجيه التُّهَمِ أحدهما إلى الآخر على حالة بنتنا. وأعلم الآن سبب عدم موتي عندما كنتُ أحاول قتل نفسي بالموخدرات والشرب. فقد حفظني الله لأكون أبًا.

**وبمقتضى ما تبرهنه قصة جان بولس (مثل جميع قصص هذا الكتاب تقريبًا)، فإنَّ الغُفْران يُعْتَبَرُ مسألة شخصية بحتة. فمن**

الضروري أن يحصل كل واحد مِنّا على الشفاء الروحي الشخصي، عاجلاً أم آجلاً، وعلى قدر اشتياق قلبه، وفي الوقت المناسب لكل واحد مِنّا. أمّا على صعيد آخر، فإنّ الغفران أكثر من ذلك بكثير. فحتى لو كانت قوة الغفران تربط الناس فرداً تلو الآخر وتجعلهم يتآلفون، فإنّ التأثير التلقائي للغفران يمكن الشعور به ورؤية ثماره على نطاق أوسع بكثير من مكان حدوثه (كالرقرات المائية التي تتوسّع تدريجياً عند رمي الحصى إلى ماء البحيرة). وفي الواقع، يمكن للغفران أن يكون قوة اجتماعية قديرة، تعمل على تغيير وتقوية جماعات من الناس بأكملها.

فنى في التاريخ الحديث كيف أن دور مارتن لوثر كينغ في حركة الدفاع عن حقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية، ودور غاندي في صراع الهند من أجل الاستقلال، يُعتبران من أكثر الأمثلة شيوعاً على تأثير الغفران على نطاق واسع. ولكن هناك الكثير من الأمثلة غيرهما. فيمكن كتابة مجلدات عن دور «هيئة الحقيقة والمصالحة» في دولة جنوب إفريقيا، وعن جلسات التحقيق التي نظمتها في منتصف التسعينيات. وبفضل إرشادها وتوجيهاتها، أخذت المئات من الضحايا ومرتكبي جرائم سياسات الفصل العنصري الوحشية في البلد تتدفق للتّواجه مع الماضي المرير، وطلب العفو والمسامحة، أملاً في شفاء جراح الماضي وفي بناء مجتمع أكثر استقراراً.

**في عام 1999م (وكذلك في عام 2000م) سافرتُ مع زوجتي إلى عدة مناطق في آيرلندا الشمالية، مشتركين في رحلة خاصة سميت «رحلة من أجل السلام» والتقينا بمئات من البالغين — بل حتى مئات من الأطفال هناك الذين حمّسونا أكثر على السلام — الذين اجتمعوا ليشفوا جراح تلك المنطقة التي كانوا يسمونها «مشاكل»**

وذلك عن طريق ترويج الحوار والمصالحة ما بين المواطنين الكاثوليك والبروتستانت.

**بعد حوالي عشرة أعوام، يحدث الشيء نفسه في رواندا.** وخذوا بلدة نياماتا، على سبيل المثال، التي تقع في جنوب العاصمة كيغالي. فعندما بدأت المذابح الجماعية في ربيع عام 1994م، فإن كل من موكامانا، وهي فتاة من قبيلة توتسي، وأزيري، وهو مزارع من قبيلة هوتو، وجدا نفسيهما في معسكرين متضادين.

ففي أحد أيام الربيع، عندما عادت موكامانا إلى البيت راجعة من البئر مع الماء، وجدت أن أسرتها كلها مقتولة ومقطعة إربًا إربًا بالمناجل. فاختبأت في حقل، وفرت لاحقًا إلى دولة بوروندي المجاورة.

وأزيري المزارع لم يشترك في هذه المذبحة بالذات، لكنه اعترف لاحقًا بقتل آخرين في المنطقة نفسها.

أمّا اليوم، فقد أصبح الاثنان جارين في حيٍّ واحدٍ مرة أخرى، حتى أنهما يذهبان إلى الكنيسة نفسها أيام الآحاد. وقال أزيري لأحد المراسلين من وكالة الأنباء IRIN وهي خدمة إخبارية تابعة للأمم المتحدة: «إنّ بعضنا يساعد بعضًا. وعندما يمرض فرد من إحدى العائلات من جيراننا، نزوره على الفور.» حتى إنه يشير إلى شيء أكثر أهمية قائلاً: «وأولادنا أصدقاء بعضهم لبعض.»

وفي بلدة نياماتا، أصبح كل من موكامانا وأزيري، إضافة إلى حوالي أربعين أسرة أخرى، أفرادًا في مجتمع خاص يعيش فيه الناجون من المذابح الجماعية والجنّة المعترفون بها جنبًا إلى جنب. والقرية المُستحدثة التي أطلقوا عليها اسم إميديجيدو Imidugudo (ومعناها قرية المصالحة) كان قد بدأها قسيس أنكليكاني رواندي



(من الكنيسة الأنكليكانية الإنجليزية) ويدعى ستيفن كاهيجي Steven Gahigi، الذي كان كل من أبيه وأمه وإخوته قد قُتلوا في عام 1994م.

كان ستيفن كاهيجي قد ظنَّ أنه فَقَدَ قدرته على الغُفران، فقال: «داومتُ على الصلاة حتى رأيتُ ذات ليلة صورة يسوع المسيح وهو على الصليب ... وتأمَّلتُ كيف غفر المسيح للآخرين، فأدركتُ أنني وغيري من الناس بإمكاننا أيضًا أن نغفر للآخرين.» وبفضل هذه الرؤية، امتلأ ستيفن كاهيجي إلهامًا وعزيمة، وأخذ يَكرز بالغُفران. ولم يَكرز بالغُفران في بلدة نياماتا فحسب بل حتى في السجون حيث كان مرتكبو الجرائم من قبيلة هوتو في انتظار محاكماتهم. (ويُذكر أن الحكومة قامت بإخلاء سبيل آلاف السجناء في عام 2003م لتخفيف الازدحام في السجون.)

ويقول القرويون إنَّ تَعَلُّمَ المغفرة لم يَكُنْ أمرًا سهلاً. فقد أَقرَّتْ موكامانا بذلك قائلة: «كنتُ أظنُّ لفترة طويلة أنني غير قادرة على مسامحة الآخرين على الإطلاق.» ولكن حيثما يَكُنُ الناس على استعداد للتَّواجُه مع ماضيهم بأمانة، يمكن للجراح القديمة أن تلتئم، ويمكن لأشياء مذهلة أن تحدث.

ويبدو أن هذا الأمر هو الذي يجعل المغفرة ممكنة في قرية ايميديجيدو، حيث يحيي الناس لأولادهم عن دورهم في عام 1994م. ويقول خافيير ناماي Xavier Namay وهو أحد الجناة من الذين أَقرُّوا بشناعة ذنبهم ما يلي: «إنَّ للمذابح الجماعية عواقب وخيمة على مَنْ ارتكبها، وعلى مَنْ نجا منها.» ويردِّف قائلاً: «يجب أن يعرف أولادي ما فعلته حتى يتمكنوا من إعادة بناء هذا البلد بشكل إيجابي.»

لقد ظهرت مبادرات مماثلة في أماكن أخرى حول العالم في السنوات الأخيرة. فهناك جمعيات خيرية ومنظمات غير حكومية تعمل على ترويج المصالحة في الكثير من الدول، من إسرائيل إلى إندونيسيا، ومن بغداد إلى دول البلقان، مثل فرق صانعي السلام المسيحية Christian Peacemaker Teams، ولجنة طائفة الأصدقاء (كويكرز) للخدمات بفرعها الأمريكي American Friends Service Committee، لأن المصالحة هي السبيل الوحيد للتغلب على النزاعات العرقية. وفي معظم الحالات، تكون إنجازات تلك الجماعات متواضعة، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار جسامة حجم المشاكل التي يتعاملون معها. وغالبًا ما تتبع الانتصارات انتكاسات، واتهامات بأن محاولاتهم ما هي سوى تفاؤل وهمي أو مثالية. ففي رواندا، على سبيل المثال، حيث حضرت مؤتمرًا عن المغفرة في فبراير 2009م، قابلت الكثير من الأشخاص الذين يكرسون طاقاتهم لبناء مجتمع جديد مبني على المحبة والثقة. غير أن هناك ولحد الآن أعدادًا تفوقهم ممن يدعون بأن المصالحة هي أحلام عقيمة. وبعض من هؤلاء الناس يروجون علانية أيديولوجيات بمفاهيم قديمة التي أدت إلى مذابح الإبادة الجماعية. وفي مواجهة واقع كهذا، فإن جان بولس يقول الحقيقة بكل بساطة:

صحيح أن دوامة العنف تبدو في كثير من الأحيان لا نهاية لها. فكل حادثة عنف تُؤلّد أخرى. ويبدو أن لكل شخص أو جماعة من الناس عدوًا. ومن المفارقات أنه غالبًا لا يكون أولئك «الأعداء» موجودين معنا. حتى أنهم في كثير من الحالات ليسوا على قيد الحياة. أمّا في نظري، فإن العدو الحقيقي هو ذاك الذي نواجهه كلنا: الغضب والاستياء اللذان نحملهما

معنا خلال اليوم وأينما ذهبنا؛ والخوف والقلق اللذان ننام  
معهما في الليل. فلا نحتاج إلى ناس آخرين ليقتلونا! فإننا نقتل  
أنفسنا بأيدينا.

ولا يزال الناس مأسورين: بالخوف، والغضب، وعدم  
الثقة، والتشكيك، والانتقام. ولا تزال مشاعر الاستياء والنقمة  
مُعشِشة في النفوس، ولا تزال النظريات العنصرية، التي أدَّت  
إلى القتل الجماعي عام 1994م، تُدرَّس في مدارسنا. وها أن  
الناس الذين قد قضوا أعوامًا خلف القضبان يعودون الآن إلى  
بيوتهم، وإذا قابلت أحدهم — إذا قابلت مَنْ قتل ابن عمك  
أو عمك أو أمك، وتكلمت معه — فلا يسعك التكلُّم معه  
مثلما كنت تتكلَّم معه سابقًا. فالأمر مستحيل بدون محبة.  
فلا شيء يمكنه تحريرنا من الأحقاد القديمة ومن قيود الشرِّ  
وتحقيق الشفاء الحقيقي سوى المحبة.

والناس في جميع أنحاء العالم يتألَّمون بهذه الطريقة  
— ليس في رواندا فقط. والمأساة هي أنهم يتصرفون كما  
لو أنه لا يوجد أيُّ مخرج من هذا المأزق. ويقولون: «إنَّ  
مثل هذه الأمور تحدث. فهكذا هي الحياة.» ولا يتحدثون  
عن الحلِّ، الذي هو الغُفران. فلا شيء يمكنه إيقاف دَوَّامة  
العنف واليأس وتحريك دَوَّامات جديدة من الأمل والمحبة  
سوى ثقافة الغُفران.

ولنْ يحدث هذا بين ليلة وضحاها، لأن الغُفران اختيارٌ  
شخصيٌّ بحثٌ. إذ يتطلب الأمر من الإنسان تَفَحُّصًا ذاتيًا عميقًا  
لمشاعره ودوافعه واتجاه مسار حياته. فالناس بحاجة إلى  
أن نبيِّن لهم لماذا عليهم القيام بهذا التفحُّص الروحي الذي  
يتطلب عناءً إضافيًا. وهم بحاجة إلى سماع قصص حقيقية

عن الغُفران، لكي يتأثروا روحياً. وهم بحاجة أيضاً إلى رؤية شاملة عن كيفية سير الأمور إذا سمحوا للغُفران بأن يقودهم، من أجل أن يحصلوا على الأمل والاندفاع.

إنَّ رؤية كهذه تشبه فحوى ترنيمة أمريكية قديمة لحركة الحقوق المدنية من الستينيات، حيث تقول:

لا تقوى يد رجل واحد على كسر السجن  
ولا تقوى أياد رجلين على كسر السجن  
لكن إذا كان عدد اثنين مع اثنين مع خمسين يكون مليوناً  
فسنرى ذلك اليوم يتحقق ...

فهذا هو الأمل الذي دفع ضحايا ومرتكبي جرائم «التصفية العرقية» في بعض القرى بدولة كوسوفو إلى التآلف وحرث التربة في المزارع المشتركة؛ وهو الشيء نفسه الذي دفع الناجين المسيحيين من اضطهاد المسلمين في عامي 1998 - 1999م في جزر مالوكا بإندونيسيا إلى أن يغفروا لأولئك الذين أحرقوا منازلهم واغتصبوا زوجاتهم وبناتهم. ويستمر الأمل كذلك في إلهام دوافع إبداعية أخرى في جميع أنحاء العالم، مثل مشروع مسرحي أقيم في مدينة بيتسبرغ الأمريكية في صيف عام 2008م، الذي جمّع فيه يهوداً إسرائيليين ومسلمين عرباً ومسيحيين أمريكيين، من أجل بناء مجتمع إنساني. وقد استعملوا أسلوب «التمثيل»، وهو أسلوب درامي يشجع رواية القصص، فتمت دعوة الخصوم المحتملين لتبادل الأدوار من أجل أن يتخللوا أنفسهم وهم في مكان وظروف خصومهم، وأن يناقشوا حلولاً جديدة، بدلاً

من مجرد تكرار المشاكل القديمة. (بعد ذلك، خطط المشاركون لأخذ ما تعلموه إلى أوطانهم لاستخدامه كأداة لصنع السلام). ويقول مدير المشروع روني أوستفيلد Roni Ostfield: «هناك الكثير من الخوف، وسوء الفهم، والجروح النفسية لدى جميع الأطراف. فإنها معاناة حقيقية. ولكننا نأمل دائماً في أنه إذا كان قلب الشخص مفتوحاً للتواصل مع الطرف الآخر، فربما يمكن لهذا الشخص أن يؤثر في عشرة أشخاص آخرين، ويمكن للأمر أن ينمو من هناك ويزيد انتشاره.»

**ولما لا؟ فقد انتهرت ذات مرة مارجريت ميد Margaret Mead** الأخصائية في علم الإنسان موضوع التشكيك في قدرات المجاميع الصغيرة التي تسعى لنشر وترويج الغفران والمصالحة والسلام، قائلة: «يجب أن لا نشكك أبداً في قدرة مجموعة صغيرة من الأشخاص الملتزمين على تغيير العالم ... وفي الواقع، فإن أمثال هؤلاء هم الذين قد أثروا في العالم وحققوا تغييرات وإصلاحات في مجتمعات البلاد.» وصدق كلماتها مجدداً قبل بضع سنوات، في أعقاب ما يسمى بمذبحة مدرسة آمش Amish وقصتها العجيبة.

**جماعة آمش Amish، وهي طائفة مسيحية ملتزمة** ولها أسلوب حياتي بسيط، حصلت لها فاجعة كبيرة. ففي صباح الثاني من شهر أكتوبر عام 2006م، دخل مشياً سائق شاحنة لبيع الحليب، واسمه تشارلس روبرتس Charles Roberts دون سابق إنذار، إلى مدرسة الأمش المكونة من غرفة واحدة، التي كانت قريبة من منزله في شرق ولاية بنسلفانيا، وأمر الفتیان والمعلم بالمغادرة. وبعد ربطه لأقدام الفتيات المتبقيات، استعد تشارلس روبرتس لإطلاق النار



زوجان من جماعة آمش المسيحية

عليهن بأسلوب الإعدام، ببندقية آلية وستمئة طلقة من الذخيرة التي أحضرها للمهمة.

توسلت أكبر فتاة كانت موجودة هناك إلى تشارلس روبرتس، البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا، قائلة له: «اطلق النار عليّ أولاً ودّع الصغيرات يذهبن.» وبعد أن رفض عرضها، فتح النار عليهن جميعًا، مما أسفر عن مقتل خمس بنات وإصابة الأخريات بجروح. وثم أطلق النار على نفسه عندما اقتحمت الشرطة المبنى. ربما لا أحد يعرف أبدًا دافعه الحقيقي لهذه الجريمة، لكن يبدو أن تشارلس روبرتس أخبر الأطفال في المدرسة بأنه كان غاضبًا على الله لأنه أخذ بنته الصغيرة منه، التي ماتت وهي طفلة قبل عدة سنوات.

وفي غضون ساعات، استحوذت القصة على انتباه وسائل الإعلام حول العالم. وعند المساء، ازدحمت تلك القرية الصغيرة

المسماة نكل ماينز Nickel Mines بالفرق التلفزيونية. ومكثت هناك قرابة أسبوع إلى أن دُفِنَ القاتل والضحايا.

ورغم بشاعة هذا الحدث، إلّا أن المذبحة نفسها سرعان ما طغى عليها فصل ثانٍ رائع من القصة، ألا وهو: الموقف الغفور للعائلات التي فقدت بناتها. وفي الواقع، لم يكد الدم يَجِفُّ على أرضية المدرسة عندما توجّه أفراد من تلك الجماعة المسيحية الملتزمة جدًّا إلى والدي الرجل المُسلَّح وزوجته التي أصبحت أرملة لإبداء تعاطفهم والسؤال عن أحوالهم. وتعدى موقفهم الكلام — إذ أقامت أيضًا جماعة آمش صندوقًا ماليًّا لجمع التبرعات لأرملة القاتل وأولادها. وجمّعوا الطعام أيضًا لأسرة المُسلَّح. وقد صادف أحد المراسلين الصحفيين رجلًا من طائفة آمش يقوم بجولات في عدة مزارع محلية، ويجمع التبرعات، في يوم المذبحة نفسه. وما يزيد الأمر دهشة هو أن نصف عدد الذين حضروا مراسم الجناز الكنسية للقاتل كان من العائلات المفجوعة، وهناك أيضًا أبدت تلك العائلات مرة أخرى مشاعر المحبة لأرملته، ماري، ولأولادها الثلاثة.

وعادة ما يَكُنُّ عامة الناس مشاعر الاحترام والإعجاب لجماعة آمش، ولكن في هذه الحالة، وجد الكثيرون صعوبة في تصديق رد فعل آمش على عمليات القتل. كما قال مذيع تلفزيوني: «تُعَلِّم كل الأديان على المسامحة. ولكن لا أحد يُطَبِّقها فعلاً، مثلما تسعى جماعة آمش إليه. فما الفرق بين جماعة آمش وبقية المتديّنين؟»

لا أعتقد أنه كان من السهل على أفراد جماعة آمش أن يغفروا. فأنا شخصيًّا أعرف الكثير منهم، ولديّ أصدقاء يعرفون بعض العائلات المتضررة. فهم ليسوا أكثر قداسة من الآخرين: وفي الحقيقة، فإنَّ الغُفران بالنسبة إليهم، كما هو بالنسبة إلى معظم الناس، لم يَكُن قرارًا يتخذه المرء لكي يفعله مرة واحدة



وتنتهي المجاهدة الروحية. فقد تطلب الأمر منهم صراعاً روحياً وتجديد الالتزام بالغُفران، يومياً أحياناً. فقد قضت إحدى الفتيات الضحايا عدة أشهر في غيبوبة؛ وأُصيبَتْ أخريات بأضرار في الدماغ، وسيحتجَن دائماً إلى رعاية تمريضية خاصة. وبعض العائلات خائفة للغاية بحيث أنها ما تزال تُدرِّس أولادها في بيوتها. وكل الذين مسَّهم حدث ذلك الصباح المرعب، سيَظَلُّون يتعاملون مع الرواسب النفسيَّة له لبقية حياتهم.

أمَّا فيما يتعلق بالممارسة الفعلية للغضب أو العداء، فإنَّ جماعة آمش تعتبر هذه الممارسة أمراً مُدَمِّراً، كما كان موقفها لعدة قرون — وتعتبرها أيضاً إهداراً للطاقات بحيث أنها ستجعل من الناس رهائن وستقتلهم في النهاية، تماماً مثل بناتهم اللاتي احتجزهن غضب أحد الأشخاص رهينات، ومن ثم قتلهن. ولكن السبيل الوحيد بالنسبة إلى أتباع يسوع المسيح المُخْلِصين هو ذلك الذي قدَّمه لنا يسوع على خشبة الصليب، حين قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأنهم لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.»

**إنَّ موقف الغُفران الذي يريده مِنَّا يسوع المسيح** ليس موقفاً مقبولاً عند الكثير من الناس في يومنا الحاضر، حتى في الأوساط الدينية. وفي الحالات النادرة التي يتم فيها الترويج علناً للغُفران، غالباً ما تكون استجابة الناس مُتشكِّكة فيه، إن لم تكن ساخرة به كلياً. وهذا ما حصل في عام 2005م عندما فاجأت الكنيسة الأرثوذكسية الصربية المراقبين في جميع أنحاء أوروبا بطلب الصفح عن دعمها لنظام ميلوشيفيتش Milosevic. وقالت الكنيسة في الجملة الافتتاحية من بيان عام: «إننا نُقدِّم بِصدقِ المصالحة والمغفرة المتبادلة لأشقائنا المواطنين الألبانيين.»



إلا أن المُنْتقِدين استخفُّوا بالاعتذار ووصفوه بأنه خطوة سياسية، ولكن كان هناك آخرون من الذين رحَّبوا بفرصة الحوار. وأشاروا إلى أنه بغض النظر عن مدى تأثيرها، فإنها كانت المحاولة الأولى من نوعها للتعامل بأمانة مع الأحقاد التي أدت إلى ارتكاب الفظائع، الواحدة تلو الأخرى، في جميع أنحاء المنطقة خلال معظم سنوات التسعينيات.

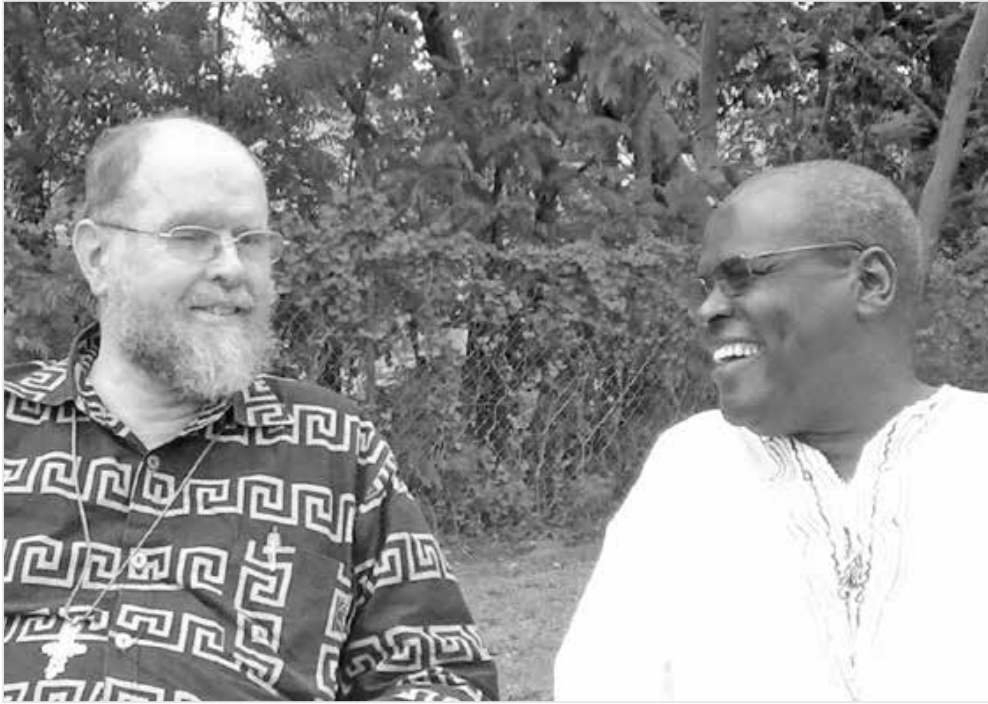
**وعلى المنوال نفسه، شكَّك المعارضون المُتَهَكِّمون في مصداقية** رئيس الوزراء الأسترالي كيفن رود Kevin Rudd عندما قدَّم اعتذاراً رسمياً، في أوائل عام 2008م، إلى سكان البلد الأصليين — أبورجِنال Aboriginal — عن سياسات الحكومة الطويلة الأمد في الفصل العنصري، وممارسة سياسة الاحتواء والعزل، وما يجري على أرض الواقع من اعتداءات وإساءات بحقِّهم. في حين رحَّب آخرون بكلام رئيس الوزراء. وكان أحدهم قسيساً من دولة جنوب إفريقيا، وهو الأب مايكل لابسلي Micheal Lapsley، فقال:

طبعاً أن الاعتذار لا يزيل حقيقة الظلم الذي أُقْترِفَ ولا الألم الذي ما يزال تشعر به أجيال متعاقبة من السكان الأستراليين الأصليين. ومع ذلك، ليس هناك أيُّ شكٍّ في أن اعترافاً رسمياً كهذا ... يمكن أن يكون بَلَسَماً للجروح، وخطوة كبيرة ونقطة تحوُّل في الرحلة الطويلة نحو استعادة إرساء أركان العدالة ونحو تقديم الشفاء للجميع ...

وعلى مر السنين، سمعتُ الكثير منكم يتحدثون عن شعوركم بالذنب والعار من جراء ما جرى في تاريخ بلدكم، أستراليا. أمّا اليوم، وبعد هذا الاعتذار الرسمي، فأنا متأكّد من

أن العديد منكم يذرفون دموع الفرح لأن اليوم قد جاء أخيراً  
بطريقة كريمة للتّواجه مع الأهوال التي حدثت في الماضي  
تواجهها مباشرة، ولبدء رحلة حياة جديدة.

لم يكن ردُّ الأب مايكل لابسلي مجرد ردٍّ أحد المراقبين. إذ إنّ هذا  
القسيس الناشط، والمدافع المعروف دولياً عن «العدالة الإصلاحية»،  
اضطهدته حكومة جنوب إفريقيا لنضاله ضد سياسة الفصل العنصري،  
ومُنِعَ من دخول البلاد، ثم فَقَدَ يديه كليهما وعينه في انفجار طَرِدَ  
مُفَخِّخٍ. ومنذ ذلك الحين، أخذ يعمل بتقديم الخدمات إلى ضحايا  
التعذيب، وأسس في مدينة كيب تاون العاصمة مؤسسة خيرية  
باسم The Institute for the Healing of Memories (أي بمعنى  
مؤسسة شفاء الذكريات)، حيث قدّم المشورة إلى مئات الناجين من



الأب القسيس مايكل لابسلي إلى اليسار مع أسقف شمال أوغندا

القسيس أونوينج Onweng

أعمال العنف. وقد أدرك أن الاعتذار — مهما كان شكله — له أهمية بالغة، لأنه غالبًا ما يُمثل الخطوة الحاسمة الأولى التي بدونها لا يمكن للحوار أن يتقدّم أيّ خطوة، ولا حتى الغُفران طبعًا.

إنّ عمل الأب مايكل لابسلي في مدينة كيب تاون مفيد للغاية ولا يُقدَّر بثمنٍ حتى خارج نطاق ضواحي المدينة، لأنه يُرينا كيف يمكن أن يبدو الطريق إلى المصالحة، ليس بمواجهة الفاجعة الشخصية فحسب، بل كيف يمكن أن يبدو أيضًا الطريق إلى المصالحة بين شعوب بأكملها لها تاريخ طويل ولقرون من الكراهية والحروب.

وباختصار، فإنّ عملاً كهذا يتضمّن الاستماع إلى الناس المتضررين من العنف، سواء كانوا من مرتكبي الجرائم أو من ضحايا الجرائم، ومساعدتهم على التعامل مع مشاعرهم، مثل الغضب والكراهية والشعور بالذنب. إذ يعني ذلك العمل توجيههم إلى المصالحة، وتعليمهم الغُفران. ويسعى إلى احترام تنوع الثقافات العرقية والدينية على كوكبنا، والإقرار بأن جميع الناس كائنات روحية ولديهم قيمة جوهرية. وأخيرًا، يرى هذا العمل أنه ليس هناك أيّ طريق مفتوح للمصالحة بدون استعداد جميع الناس الذين كانوا سابقًا أعداءً لأن يتقاسموا مسؤولية الماضي، وليس هناك أيّ طريق مفتوح للمصالحة بدون الاعتراف بأن كل إنسان يمكنه أن يكون ضحية ومُعتديًا.

إنّ التّواجه مع الذات بهذا الأسلوب — أيّ أن ترى في داخل نفسك احتمالية أن تصبح أنت شخصيًا من ألدّ أعداء نفسك — إنّها هو تدريب صعب للغاية. إلّا أنه يحررنا أيضًا. لأنه، وبحسب ما تبينّه فصول هذا الكتاب بكل وضوح، فإنه لا يوجد نصر بدون صراع، ولا خلاص بدون ندامة، ولا شفاء بدون توجّع. فلا يوجد ربيع بدون

شتاء. فما لم تُمَتَّ البذرة وتُدْفَن، لن تكون هناك أيُّ حبة جديدة ولا ثمار جديدة، مثلما قال يسوع المسيح في الإنجيل:

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتَ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.  
(يوحنا 12: 24)

**في عالم تحركه إثارة سريعة الوتيرة وقلق بدرجة عارمة، فإنَّ خبراً** عن العمل الشاق والطويل الأمد لإعادة بناء قرية مرَّقتها المذابح نادراً ما نراه في النشرة الإخبارية المسائية. وأرى شيئاً مماثلاً يحدث في عملي عندما أتحدَّثُ عن المغفرة في المدارس العامة (ضمن برنامج: كسر الدائرة Breaking the Cycle)، فلا ينجذب المراسلون الصحفيون أبداً إلى انعقاد مجلس مدرسي عن موضوع اللاعنف، أمَّا عند حصول إطلاق نار في مدرسة ما، فستصبح تلك المدرسة معروفة في الحال وبشكل دائم. ولكن، لماذا يجب أن يُقاس النجاح بالتغطية الإعلامية أو بمقدار شعبيته؟



دوروثي داي

**دوروثي داي Dorothy Day**، وهي من إحدى معارفي القدماء، ومؤسسة صحيفة Catholic Worker (العمال الكاثوليك) والمؤسسة الشريكة لحركة Catholic Worker Movement (الحركة العمالية الكاثوليكية)، التي عملت لعقود

في خدمة فقراء مدينة نيويورك، قالت إننا عندما نحاول تغيير العالم، فإنَّ العائق الأكبر لا يكمن في الناس الآخرين أو في المؤسسات الخيرية الأخرى، وإنما فينا نحن شخصيًا، وفي مشاعرنا، وهي مشاعر فتور العزيمة والإحساس بعدم الجدوى. وقد انتهرتْ دوروثي في إحدى مقالاتها الصحفية، قائلة:

إننا نستطيع تغيير العالم، إلى حدٍّ ما. فيمكننا رمي حَصَاتنا إلى ماء البحيرة ونتيقَّن من أنَّ رقرقاتها المائية الآخذة في الاتساع ستصل إلى جميع أنحاء العالم.

أيُّ إننا لابد وأن نبادر بالغُفران والخدمة حتى لو كان عملنا صغيرًا، لأنَّ التأثير الإيجابي لعملنا سينتشر في العالم.

**إني متأكّد من وجود قصص عن المحبة والغُفران في العالم أكثر من قصص الكراهية والانتقام. فكم ستنتظر أنت حتى تجعل قصتك مسموعة؟ ومتى سترمي بحَصَاتك إلى ماء البحيرة لتبدأ في رقرقة مياهها؟**

## خاتمة الكتاب

في بداية هذا الكتاب كتبتُ عن رجل قتل فتاة تبلغ السابعة من عمرها. وسألتُ: «أيمكن الغُفران لمثل هذا الرجل؟» ولكنني لاحظتُ، خلال السنوات التي تلتُ أول لقاء لي معه، تغييرًا عجيبيًا أخذ يطرأ على هذا الرجل. ومع أن مشاعره كانت في البداية مُخَدَّرة، وكان يرى جريمته بأنها نتيجة حتمية لأمراض المجتمع، إلا أنه بدأ لاحقًا بقبول تحمُّل مسؤولية أفعاله. وبدأ العذاب النفسي يستبدُّ به بسبب شعوره بالحاجة الماسة لمغفرة خطاياها — ثم إنه بكى على الآخرين أكثر من بكائه على نفسه. وبعدئذ، بدأتُ ألاحظ تدريجيًا وبجلاءٍ كيف أن ندمه أخذ يصنع العجائب: لقد كان قادرًا على التَّواجُه مع بشاعة أفعاله، وقبول الذنب بكل ثقله، والتَّعَمُّ بسلام روعي رائع — السلام الذي تتحدَّث عنه الأناجيل، الذي «يفوق كل عقل بشري»:

وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي  
الْمَسِيحِ يَسُوعَ. (فيلبي 4: 7)

أيمكن الغُفران لمثل هذا الرجل؟ فإذا آمَنَّا حقًا بقوة الغُفران القديرة على تغيير الناس، وجب علينا الإيمان بأن مثل هذا الرجل يمكنه أيضًا

أن ينال الغُفران. لأنه حتى لو رفض أقارب الضحية مسامحته، إلا أنه يمكن للخلاص مع ذلك أن يأتي من الله — وفي حالة هذا الرجل، فمن الصعب إنكار حقيقة أنه قد اختبر فعلاً بركات نعمة الخلاص هذه التي يُقدِّمها الرب يسوع المسيح.

ولا يمكننا طبعاً التقليل أبداً من العذاب الذي مرَّت به ضحيته، والأوجاع التي لا تزال أسرتها بالتأكيد تتحمّله. فلا يمكن لكل الندم في العالم أن يمحو جريمة القتل ويُرجع كل شيء إلى حالته السابقة. غير أننا لا يمكننا أيضاً أن نغسل أيدينا من شخص كهذا على أنه ميؤوس منه ونقطع الأمل من توبته ونحرمة من فرصة التغيير. فإننا، نحن البشر، عادة ما نريد من الآخرين أن يغفروا لنا، وأن يؤمنوا بإمكانية تغييرنا وانصلاحنا، حتى لو تكرر تعرُّثنا أو سقوطنا في الخطيئة. فَمَنْ مِنَّا معصومٌ؟ كما قال يسوع الناصري منذ قرون عديدة، عندما سألوه فيما إذا كان يحقُّ رجم الزانية:

مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ! (يوحنا 8ب: 7)

**إنَّ الغُفران قوةٌ قديرة.** فهو يحررنا من كل قيود الماضي، ويساعدنا في التغلُّب على كل عقبة. ويمكنه أن يشفي كُلاً من الشخص الذي يغفر والشخص المغفور له. وفي الواقع، يمكن أن يُغيِّر الغُفران العالم كله، إذا سمحنا له بذلك.

**ولدى كل واحدٍ مِنَّا القدرة على أن يغفر من دون الحاجة إلى مساعدة الآخرين لنا في هذا الموضوع.** ولكن المسألة متروكة لنا: «أنستعمل هذه القدرة أم لا؟»

## المؤلف

أصبح الناس يتوقعون الحصول على نصائح موثوقة من يوهان كريستوف آرنولد Johann Christoph Arnold، المؤلف الحائز



يوهان كريستوف آرنولد

على جائزة مبيعات الكتب، فقد وصلت مبيعات كتبه لأكثر من مليون نسخة من كتبه المطبوعة بأكثر من عشرين لغة، فضلاً عن كتبه الإلكترونية.

وكان يوهان مُتحدثاً وكاتباً مشهوراً في قضايا الزواج، والجنس، والتربية، وصنع السلام والمصالحة ما بين البلدان، والغُفران. وكان الراعي الروحي

لكنييسة الحياة المشتركة المعروفة باسم برودرهوف Bruderhof. وقد قدّم المشورة مع زوجته فيرينا Verena لآلاف الأفراد، والعائلات، والمدمنين، ونزلاء السجون، وضباط القوات المسلحة؛ والمعلمين، والطلاب، والمصابين بأمراض مُزمنة أو مُميتة، على مدار الأربعين عاماً الماضية.



وغالبًا ما كانت تجري استضافة يوهان كريستوف آرنولد في الندوات التلفزيونية الأمريكية؛ وله شعبيته لأنه كان مُحدثًا في المدارس والمؤتمرات الدولية فيما يخص دور الغُفران في معالجة الصراعات باللاعنف، وأهميته كخطوة في طريق المصالحة. وكان يدير أيضًا برنامجَه الخاص المعروف باسم Breaking the Cycle (أي بمعنى كسر الدائرة أو إنهاء دوامة العنف) في مجالس المدارس والجامعات، إذ يتخصص هذا البرنامج في معالجة انتشار العنف في المجتمع، وترويج المغفرة بين صفوف الطلاب والمواطنين.

ولمَّا كان يوهان ناقدًا اجتماعيًا، فقد اشترك في مبادرات لإحلال السلام والعدل في مناطق مختلفة من العالم. وقد أخذ عمله خلال السنوات الأخيرة في رحلات إلى أوروبا، والشرق الأوسط، وأمريكا الوسطى والجنوبية، وجنوب شرق آسيا، وإفريقيا — وإلى مدارس تلك الدول، ومستشفياتها، وسجونها، ومعسكرات لاجئها. وُلِدَ يوهان كريستوف آرنولد في بريطانيا عام 1940م لأسرة ألمانيَّة لاجئة. وقضى سنوات صباه في أمريكا الجنوبية، حيث حصل والداه على حق اللجوء خلال الحرب العالمية الثانية؛ وهاجر يوهان إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1955م. وأنجب هو وزوجته ولدين وست بنات؛ ومن ثم أصبح لهما أربعة وأربعون حفيدًا، وأربعة من أبناء الأحفاد. وكانوا يسكنون شمالي ولاية نيويورك. وتوفي يوهان في يوم سبت النور، المصادف 15 أبريل 2017م. أمَّا زوجته فيرينا فقد توفيت عام 2018م.

# برودرهوف

برودرهوف Bruderhof أو تُعرَف أيضًا بكنيسة الحياة المشتركة Church Communities International (إذ تعني برودرهوف بالألمانية: مكان الإخوة) هي الكنيسة التي تدير دار المحراث للنشر. وهي حركة مسيحية دولية مُلتزمة بحياة البساطة، والحياة المشتركة، واللاعنف. أمّا أفرادها فقد جاؤوا من بلدان مختلفة ومن خلفيات متنوعة، وجمعهم الرَّبُّ بطرق عجيبة ليعيشوا إخوة وأخوات في



إحدى الموائد المشتركة لبرودرهوف في الهواء الطلق

حياة متقاسمة ومتعاونة ضمن مجتمعات مسيحية طوعية، حيث ينضم إليها الشخص طوعاً وبمحض إرادته واختياره. ويتخلى جميع أفراد برودرهوف عن ملكيتهم الخاصة من أجل الملكية المشتركة، أسوة بالمسيحيين الأوائل، والحركات المسيحية الراسخة الأخرى عبر التاريخ. ومثالهم الرئيسي حياة جماعة يسوع المسيح مع التلاميذ، وحياة الكنيسة الرسولية المذكورة في الإنجيل كما يلي:

وَكَانُوا يُوَاظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ  
وَالصَّلَاةِ ... وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا، وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ  
شَيْءٍ مُشْتَرَكًا. وَالْأَمْلاكُ وَالْمُقْتَنِيَّاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا  
بَيْنَ الْجَمِيعِ، كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَاجَةٌ. (أعمال 2: 42،  
44-45)

وأفراد برودرهوف لا يتشاركون طوعاً في أموالهم وممتلكاتهم فحسب، بل يتشاركون أيضاً في وقتهم ومواهبهم. ويكمن في صميم التزامهم تكريس روعي عميق للخدمة، ومحبة القريب والأسرة، ومحبة جميع الناس، والإخلاص لتعاليم يسوع المسيح.

وقد تأسست برودرهوف في ألمانيا عام 1920م على يد اللاهوتي ايرهارد آرنولد Eberhard Arnold. وترجع جذور تقاليدھا المسيحية إلى حركة أنابابتسم Anabaptism والحركة الهوترية Hutterian في القرن الميلادي السادس عشر بأوروبا. ولما تم إجبارها على مغادرة ألمانيا النازية في عام 1937م، وجدت ملاذاً في إنجلترا قبل أن تستقر في أمريكا اللاتينية. وتم افتتاح أول مجتمع أمريكي لبرودرهوف في عام 1954م، وبحلول أوائل الستينيات، انتقل جميع أفراد برودرهوف إلى الولايات المتحدة وإنجلترا. ويوجد اليوم

تسعة وعشرين مجتمعًا لبرودرهوف في عدد من دول العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، وأستراليا، وإنجلترا، وكوريا الجنوبية، والنمسا، وباراغواي. ويبلغ عدد أفرادها حوالي 3000 من الرجال والنساء والأطفال.

وأغلب مجتمعاتها تشبه القرى القائمة بذاتها. ويتألف كل مجتمع من 100 - 300 شخص، يسكنون في بيوت متناثرة ضمن أراضٍ شاسعة من الحقول والمزارع والغابات. وعادة ما توجد ضمن مجتمعاتها المدارس والمعامل الإنتاجية وبقية المرافق الخدمية. ويداوم الأولاد في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية الخاصة بالمجتمع. وبعد المدرسة الثانوية، يواصل العديد من الشباب حياتهم في مسارات متنوعة. فبعضهم يلتحق بالجامعات ليدرسوا الطب أو الهندسة أو القانون أو التعليم ... إلخ؛ في حين يسعى البعض الآخر للتعليم المهني أو التدريب العملي. ويختار الآخرون الخدمة لمدة سنة متطوعين في إحدى المؤسسات الخيرية. ويعمل الكبار حيثما تحتاجهم أقسام العمل في مجتمعات برودرهوف، مثل قسم غسيل الملابس، أو المطبخ، أو العيادة الطبية، أو المدرسة، أو المزرعة، أو أحد المعامل الإنتاجية التي يسترزقون منها.

ولدى برودرهوف أيضًا بعض الأخويات الصغيرة التي تعيش هي الأخرى حياة مشتركة في المدن الكبيرة مثل نيويورك ولندن وأسونسيون وغيرها. ويجتمع يوميًا أفراد كل مجتمع من أجل الصلاة وتأمل كلمة الله، وتناول وجبات طعام مشتركة، وغيرها من الفعاليات والاحتفالات.

وتشارك برودرهوف في مجموعة واسعة من أنشطة الخدمات الاجتماعية في مجتمعات البلاد، بدءًا من زيارة السجون وإلى خدمة المشردين، إضافة إلى الرحلات الإنسانية إلى بلاد مختلفة.

وهي مُعارضة لعقوبة الإعدام في الولايات المتحدة الأمريكية، ولطالما ثابرتُ على تعزيز العدالة، والسلام، والمصالحة، على صعيد السياسة والحياة الشخصية، ولاسيّما في مجال العلاقات بين الأعراق، والحوار بين الأديان.

ولا تؤمن برودرهوف بأنها الكنيسة الحقيقية الوحيدة، بل تؤمن بأن كل من يتبع يسوع المسيح هو مسيحي حقيقي. ولا تدين أحداً. ثم إنها تتعاون في نشاطاتها مع بقية الكنائس، وأيضاً مع كل القوى الخيرة على اختلاف خلفياتها.

أمّا الانضمام إلى برودرهوف فهو أمر طوعي، وينبغي أن يكون نابعاً من قناعة ودعوة إلهية للشخص البالغ. وإمكانية الانضمام مفتوحة لأيّ شخص يبحث عن حياة البساطة والخدمة القائمة على الإيمان المسيحي. ويعمل جميع الناس في برودرهوف بدون أجور أو رواتب، مع الالتزام بإقامة علاقات أخوية مع زملائهم في العمل. ثم



تلاميذ إحدى مدارس برودرهوف الابتدائية مع معلمهم

يتعلمون صيد الأسماك

إنَّ الضيوف مُرَحَّبٌ بهم؛ إذ تستضيف مجتمعات برودرهوف آلاف الزوار سنويًا، من جميع العقائد والخلفيات.

**وللمزيد من المعلومات، تفضّلوا بزيارة موقعنا العربي «المحراث»:**

[www.Plough.com/ar](http://www.Plough.com/ar)

أو زيارة صفحتنا العربية في فيسبوك:

Bruderhof-Arabic

أو زيارة موقعنا الإنجليزي «Bruderhof»:

[www.brunderhof.com](http://www.brunderhof.com)

أو موقع Breaking the Cycle (كسر الدائرة):

[www.breakingthecycle.com](http://www.breakingthecycle.com)

[www.breakingthecycle.co.uk](http://www.breakingthecycle.co.uk)

ويمكنكم الاتصال بنا على هذه الإيميلات لكتابة استفساراتكم:

[Arabic@plough.com](mailto:Arabic@plough.com)

[info@plough.com](mailto:info@plough.com)

[info@bruderhof.co](mailto:info@bruderhof.co)

## إصدارات أخرى من دار المحراث

www.plough.com/ar

### التلمذة للمسيح

كتاب ثمينٌ وغنيٌّ بالإرشادات المُجربّة لتقوية الحياة الروحية، حيث يشجّع القسيس هاينريش آرنولد المؤمنين، أفرادًا وكنائس، على أن يحيوا رسالة الإنجيل بكامل أبعادها، واتباع المسيح في خضم تحديات وإجهاذ وتوترات عالمنا المعاصر. ويتميز الكتاب بأسلوبه البسيط وبعمقه الروحاني الذي يمسُّ الروح والضمير. وللأم تيريزا إشادة بهذا الكتاب.



### غَمَدْتُ سَيْفِي

شهادة حياة عن رحلة جندي عراقي مسيحي من أرض المعركة إلى الحياة الأخوية. حيث يحكي لنا يعقوب بكامل الصدق والإخلاص عن الجحيم التي شهدتها في الجيش العراقي خلال الحرب العراقية الإيرانية، وعن العذاب النفسي عندما كان عليه أن يختار ما بين أن يكون قاتلاً أو مقتولاً، وأن يختار ما بين طاعة الحكومة وطاعة المسيح. الأمر الذي دفعه إلى أن يبحث بعمق عن حقائق الكثير من أمور الحياة والبنية الحالية للمجتمعات ودوافعها وظواهرها كالطبقية والرشاوي والمحسوبية والعنف والانتقام والإكراه والكذب والظلم وعدم الإنصاف والغش والخطيئة بشتى أنواعها، فتجلّت له الأمور وأزيلت الغشاوة وتفتّحت عيناه. فكيف حصل ذلك؟ وما الحل لتلك الظواهر المجتمعية؟ تجدون الجواب في الكتاب.





## دعوة إلى حياة العِفَّة والنقاوة

عن الجنس والزواج في فكر الله. وفيه هامش من البابا ورسالة من الأم تيريزا والمقدمة بقلم الأسقف المصري أنطونيوس مرقس. ويختلف هذا الكتاب الرائد عن الغالبية العظمى لكتب الزواج، إذ يتعمَّق الكاتب يوهان كريستوف آرنولد إلى جذور معضلات الزواج تعمُّقًا غير مألوف، فيضع أصبعه على الجرح الذي هو افتقارنا لعلاقة وطيدة مع الله، تلك العلاقة التي لها دورها الحاسم في التأثير في الآخرين الذين في حياتنا. كما يتطرَّق الكتاب إلى موضوع الخدمة التي يقدِّمها العزاب، والتربية، والطلاق، والشذوذ الجنسي، ويقدم نصائح سديدة إلى المقبلين على الزواج. ويشدّد المؤلف يوهان على المعاناة المترتبة عن العلاقات الزوجية المفككة وعن امتهان الحرمة الجنسية. ويتناول بصيرة إنجيلية جديدة عن قضايا مهمة في هذا المضمار مثل قُدسيَّة الجنس، وتوقير العلاقات الأسريَّة، والصِّراع ضد التجارب الروحية. ويقدم الكتاب شفاءً وتعزية لكل من خارت عزيمته أو اعتراه الشعور بالذنب. ويعطي أيضًا أملاً لكل من يرغب في أن يلقي نظرة جديدة وجريئة على موضوع يهْمُ ويشدُّ العالم بأسره. وتستعمل العديد من الأبرشيات المسيحية كتاب «دعوة إلى حياة العِفَّة والنقاوة» في دروس التربية الدينية في معاهدها.



## اسمهم اليوم

يحتوي على نصائح سديدة وتجارب الكثير من التربويين والآباء الشجعان عن كيفية إعطاء الطفولة حقَّها في عالمنا المعاصر الذي تكتنفه التكنولوجيا والحياة السريعة الإيقاع والمصادمات بشتى أنواعها، التي سرقت فرحة الحياة، ولكن ما علينا سوى أن ننظر إلى الأطفال





فنستقي من براءتهم وحماسهم العزم لمواصلة التربية بكل متطلباتها. وهو مفيد للآباء والتربويين على اختلاف خلفياتهم ومعتقداتهم.

### التحرُّر من الأفكار الأثيمة

يحتوي على إرشاد اجتماعي وحكمة مُجَرَّبَة وتحليل موضوعي ثاقب عن أهم الصراعات الروحية الموجودة لدى جميع الناس أينما كانوا، وهو مكتوب بأسلوب مبسط يفهمه الناس عامَّةً. وعلاوة على ذلك، يحتوي الكتاب بين طياته على وعود لحياة جديدة لأولئك القراء الذين أدى قلقهم على الذات، وخطاياهم المقترفة بالسرّ، ومشاعر الذنب أو الخوف، إلى حجب صلواتهم من الوصول إلى الله، وإلى إعاقة محبتهم لله ومحبتهم لأخيهم الإنسان، وذلك لأن نفوسهم غير متحررة. ويؤكد الكاتب على أهمية الإيمان بالمسيح ودوره في التحرُّر وتحطيم القيود والحصول على الفرح. وفي هذا العالم الذي غالبًا ما يبدو مظلماً، ويبعث على اليأس، يحمل هذا الكتاب رسالة فرح وأمل.



### شهادة الكنيسة الأولى

توجد رسالة قوية موجهة إلينا في هذا الكتاب؛ رسالة ترسلها إلينا الشهادات الأصلية التي قدّمها المسيحيون الأوائل بحياتهم، منذ انبثاق المسيحية. ثم إننا نتلقى هذه الرسالة نفسها في زماننا المعاصر أيضًا؛ إذ تأتينا من خلال نار المحبة الأولى التي نعيشها عندما نلتقي بيسوع المسيح أول مرة ونتعرف عليه، وتفتتح أعيننا على ملكوته السامي. وتخطبنا شهادة الكنيسة الأولى وحياة المسيحيين الأوائل في الصميم، لتُهزِّنَا في أعماق كياننا، وتكشف أنانية



حياتنا المعاصرة، إذ يخاطبنا الروح القدس مباشرة اليوم —  
ذلك الروح الأصلي للمسيحية الأولى — ويسلمنا الدعوة  
نفسها. فما أخرجنا إلى هذه الدعوة لكي يتجدد وجه  
الأرض. والمقدمة بقلم الأسقف المصري أنطونيوس مرقس.

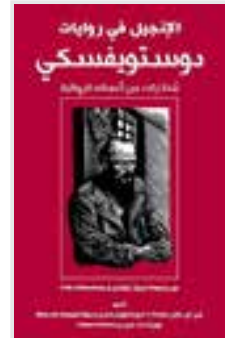
## ثورة الله

كتاب نفيس جدًا ويتناول المواقف المسيحية الخالصة  
للجوانب المهمة في الحياة، ويعطي أيضًا وضوحًا عن دور  
الكنيسة ودور الحكومة بمنظار الكتاب المقدس. وقد عاش  
المؤلف ايبرهارد آرنولد Eberhard Arnold شخصيًا  
الحياة المسيحية الخالية من المساومات بكامل التضحيات.  
والكتاب عمومًا عن الإيمان المسيحي ودور الروح القدس  
في صنع ثورة كاملة في حياة الإنسان عندما يدخل نور  
المسيح قلبه. إذ إنَّ طريق المسيح ليس طريقًا أنيسًا يأخذنا  
إلى تدين مريح بل إلى ثورة هوجاء وتحول حياتي كامل  
يبدأ من داخل الإنسان وينتشر تدريجيًا إلى كافة مجالات  
الحياة. ويلقي الكتاب الضوء على تميُّز الحياة المسيحية التي  
ليس لها مثيل حيث تدفعها المحبة إلى المقاسمة والعدالة  
والسلام، لأنها تُمثِّل مبادئ ملكوت الله الآتي. وللكتاب  
إشادة من توماس ميرتون وهو أشهر كاتب كاثوليكي في  
القرن الميلادي العشرين.



## الإنجيل في روايات دوستوفسكي

دوستوفسكي من رواد الكُتَّاب الروس والأدب العالمي،  
ومن أشهر كُتَّاب الرواية في العالم الذين تناولوا المواضيع  
المسيحية في أعمالهم الروائية. فقد أثَّرت في أعماق كيانه  
واقعية رسالة الإنجيل ومحبة المسيح الشافية إلى أبعد  
الحدود. فتتضمن كتاباته دعوة تهزُّ الضمير للتفكير



العميق من أجل إصلاح الحياة والمجتمعات. ورواياته شائعة للغاية وتتضمن الكثير من وقائع التاريخ والحياة والحروب، إضافة إلى أنه يسر غور الروح الإنسانية بأسلوبه الفذ. كما تكشف بوضوح رواياته المقتطفة أساليب المنطق المغلوط المبني على بديهيات وافتراسات واهية. ولكل من هذه المقتطفات السبعة عشرة، من رواية الإخوة كارامازوف، والأبله، والجريمة والعقاب، والمراهق، فقرة تقديمية لإعطاء نبذة للقارئ عن خلفية أحداث وموضوع الرواية المُقتطفة. وسيجد القراء في هذه الصفحات عيّنات غنيّة مُتاحة للقراءة. وسيفرح محبو دوستويفسكي عندما يجدون أعمق وأروع المقاطع المقتطفة منشورة في كتاب واحد.

### الحياة المشتركة

تتناول هذه الكراسة المصحوبة بالصور الملونة طبيعة حياة وإيمان مجتمعات برودرهوف المسيحية المسالمة، حيث يسعى أفرادها إلى أن يشهدوا للمسيح الذي بشر بملكوت الله ويحيوا وفقاً لمبادئه على هذه الأرض الشقية التي هي في أمس الحاجة إلى الشفاء الروحي الذي يهبه المسيح، إذ تتغيّر عندئذ كافة مجالات الحياة تدريجيّاً، ويتخطى الشفاء حدود حياة الفرد ليشمل شفاء حياة الجماعة. فيفضل الروح القدس الذي يجمع الناس في هذه الحياة، تسود المحبة والوئام، وينتهي الجفاء، وتشفى علاقاتنا، وتلتئم جراحنا، ونتغلب على المعاناة، والطبقية، والعنصرية، والانقسامات، والكراهية، والحروب. وقد أصبحت الحياة المسيحية المشتركة المنقطعة النظير التي عاشتها الكنيسة الرسولية الأولى منهلاً للأجيال عبر مرّ التاريخ ولغاية يومنا



المعاصر، حيث تحياها الكثير من الجماعات المسيحية. وهي شهادة حيّة عن الوحدة والفرح في عالم يتجزأ ويكفّر.

### صلوات مسائية

نريد أن نلتجئ إلى الله في نهاية كل يوم، ولكننا غالبًا ما لا نجد الكلمات التي تُعبّر عن أعمق مشاعرنا. أمّا هذه المجموعة من الصلوات المُركّزة على يسوع المسيح والمُقرّنة بقراءات من الكتاب المقدس لكل يوم فهي واحدة من بين عدد قليل مما مُتاح من الصلوات اليومية المخصصة للصلاة الروحيّة والتأمّل في كلمة الله في كل مساء.



### أسباب حياتنا المشتركة

يلفت الكتاب أنظارنا إلى ملكوت الله لنستقي منه الإلهام، فيثمر حياة مسيحية مشتركة ينضمُّ إليها الإنسان بإرادته وقناعته، ليحيا حياة التكريس المؤبد للمسيح والكنيسة، وتجسيد الملكوت على الأرض مع مسيحيين آخرين. فالحياة المشتركة ثمرة المحبة، والمحبة ثمرة الإيمان المسيحي. إذ يشهد التعاون والتضافر فيما بين الإخوة والأخوات للوحدة المسيحية. وما أحوج العالم إليها.



### مسيرتي في البحث

قصة حقيقة لرجل يهودي لم يعرف الكلل ولا اليأس في ظمأه وبحته عن الحياة الأخوية رغم ظلم المجتمعات والتهجّر وأهوال الإبادة الجماعية النازية بحق اليهود، ورغم انجرافاته لاحقًا بالتيارات الوطنية والسياسية المختلفة والحروب في داخل وخارج إسرائيل. ثم إنَّ خلفيته اليهودية لم تُثنه عن شغفه بالحياة الأخوية مع العرب الفلسطينيين ومع الألمانين ومع كل البشر، على



حدّ سواء. وكان مُتَيْقِنًا في قرارة ضميره وفي صميم قلبه من وجود جوابٍ شافيٍّ للإخاء البشري وللسلام، حتى جاءه الأمل أخيرًا، وعثر على أرض الميعاد المنشودة في المسيح، عندما زار أحد مجتمعات برودرهوف المسيحية، والتقى شخصيًا بشخص المسيح، وسكن ظمأه، وشفيت روحه الجريحة. ولكن كيف يمكن ليهودي الذي ضرب بالإيمان بالله عرض الحائط، وضرب بالأديان التي لاقى الاضطهاد منها عرض الحائط، ومن ثم سلّم نفسه للإلحاد، أن يتغيّر ويحصل على السلام الروحي؟ تجدون تفاصيل مسيرته في الكتاب. وهناك إشادة بالكتاب من قبل عز الدين أبو العيش.

## الصَّخْوَة

عندما وافق بلومهارت — وهو قسيس ألماني من منطقة الغابة السوداء الألمانية — على مساعدة ورعاية امرأة معذبة من أبناء رعيته كانت تسكنها الشياطين، اندلعت الجحيم بأكملها عليه، وبكل ما تعنيه الكلمة. غير أن ذلك كان مجرد بداية لأحداث مأساوية تلتها. وكتاب المؤلف فريدريك زُنْدَل، والمطروح هنا أول مرة بالعربية، يعطينا لمحة عن المعركة الأبدية ما بين قوى الخير وقوى الشر في الحياة اليومية للناس العاديين. وعلاوة على ذلك، فإنه يذكّرنا بأن تلك القوى ما تزال تحيط بنا اليوم، سواء كنا متيقظين لها أو لم نكن. وفي خريف عام 1841م، أخذ بلومهارت ينجرّ إلى معركة روحية، التي كان دائماً يسميها في بقية أيام حياته بـ «المعركة». وقد حاول تجنبها في البداية والابتعاد عنها، ولكن سرعان ما تبين له استحالة بقاءه خارج اللعبة. فخاض المعركة وتحررت بقدرة المسيح تلك المرأة بعد حرب طويلة، وانتشرت على أثرها



موجة واسعة من التوبة التي اجتاحت البلدات والقرى المحيطة. فلا بد من قراءة هذا الكتاب لكل من يشكك في المعارك الروحية وفي قدرة المسيح الشافية. ولا تزال مواقع أحداث معركة بلومهارت باقية لحد الآن في ألمانيا، ومفتوحة للزيارات.

### لماذا يهملنا الأطفال

إنَّ تربية الأطفال لم تكن بهذه الصعوبة سابقًا مثلما هي عليه الآن في هذا الزمان. لذلك يقدِّم لنا الكاتب يوهان كريستوف آرنولد حكمة تربية واقعية ومعقولة ومُجَرَّبَة حول أكثر ما يحتاجه الأطفال، وما يجعل الأسرة متماسكة، وكيفية اكتشاف الوالدين البهجة في التربية في عالمنا المعاصر. والكتاب قائم على الكتاب المقدس. وهو مفيد جدًا للآباء والتربويين. وكاتب المقدمة الكاردينال دولان رئيس الأساقفة الكاثوليك لولاية نيويورك الذي كان مُرَشَّحًا للبابوية.



**ولطلب أيّ كتاب ورقي من هذه الكتب يرجى إرسال إيميل إلى هذا العنوان الإلكتروني:**

Arabic@Plough.com

أو من خلال صفحتنا في فيسبوك:

Bruderhof-Arabic

ويمكنكم أيضًا تنزيل كتبنا العربية الإلكترونية المجانية ومقالاتنا من موقعنا «المحرث»:

www.plough.com/ar

**وليبارك الرب حياتكم**